

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَفْسِيَّوْشَحْ

الصحيفة النبجانية

آية الله الشيخ حسين رضا

الجزء السادس

تعريب: كمال السيد

تتمة الدعاء الثامن

اللجوء إلى الحق

[﴿١﴾ اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَعُوْذُ بِكَ مِنْ هَيِّجَانِ الْحِرْصِ وَسُوْرَةِ الْغَضَبِ وَغَلَبَةِ الْحَسَدِ
وَضَعْفِ الصَّبْرِ وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ وَشَكَاْسَةِ الْخُلُقِ وَالْحَاكِ الشَّهْوَةِ وَمَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ]

٣- الحسد

حالة نفسيّة مرضية وإن كانت تستند إلى أمر غريزي يدل على ذلك وجود هذه الحالة لدى الطفل، لكنه يبقى أمراً طبيعياً ما لم تتفاقم حالته لتفرز حالة من الحقد والكراهية أو تتطور إلى ما هو أبعد من ذلك وأخطر وهو التخطيط والتآمر ضد الشخص المحسود.

وحالة الحسد بشكل عام هي نشاط منحرف لحب الذات والانانية، حيث يشعر الحاسد أو الحسود بالنقص ازاء صاحب النعمة ولذا فهو يتمنى زوالها في أقرب وقت؛ ولو كان سوي الشخصية لسعى لاكتساب هذه النعمة ببذل الجهد والعمل وبالتالي سدّ النقص الذي يشعر به، لا أن ينظر إلى المحسود صاحب النعمة نظرة حقد ويطلق آهاته ويتمنى لو تحل بذلك الشخص الذي عادة ما يكون من أقاربه أو جيرانه مصيبة وتزول نعمته!

الحسد في كلام النراقي

يقول المولى محمد مهدي النراقي في موسوعته الأخلاقية :

«الحسد وهو تمنى زوال نعم الله تعالى من أخيك المسلم مما له فيه صلاح، فإن لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو «غبطة» ومنافسة؛ فإن لم يكن له فيها صلاح وارتدت زوالها عنه فهو «غيرة».

وللتعرف على طبيعة هذه الحالة النفسية يقول النراقي :

«إن اشتبه عليك الصلاح والفساد، فلا ترد زوال نعمة أخيك ولا بقاءها إلا مقيداً بالتفويض وشرط الصلاح، لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك حكم النصيحة.

والمعيار في كونك ناصحاً: أن تريد لأخيك ما تريد لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، وفي كونك حاسداً: أن تريد له ما تكره لنفسك وتكره له ما تريد لنفسك». والחסد أشد الأمراض وأصعبها، وأسوأ الرذائل وأخبثها ويؤدي بصاحبه إلى عقوبة الدنيا، وعذاب الآخرة، لأنه في الدنيا لا يخلو لحظة عن الحزن والألم، إذ هو مغموم بكل نعمة يرى لغيره.

ونعم الله غير متناهية لا تنقطع عن عباده، فيدوم حزنه وتألمه، فوبال حسده يرجع إلى نفسه، ولا يضر المحسود أصلاً، بل يوجد ازدياد حسناته ورفع درجاته من حيث يعيبه، ويقول فيه ما لا يجوز في الشريعة، فيكون ظالماً عليه، فيحمل بعضاً من أوزاره وعصيانته، وتنقل صالحات أعماله إلى ديوانه، فحسده لا يؤثر فيه إلا خيراً ونفعاً.

ومع ذلك يكون في مقام التعاند والتضاد مع رب الأرباب وخالق العباد، إذ هو الذي أفاض النعم والخيرات على البرايا كما شاء وأراد بمقتضى حكمته (وارادته) والحاسد المسكين يريد زوالها!

وهل هو إلا سخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض، وتمني انقطاع فيوضات الله التي صدرت عنه بحسب حكمته.

بل انه (الحاسد) يريد نقصه سبحانه وعدم اتصافه بالصفات الكمالية إذ افاضة النعم منه سبحانه في أوقاتها اللائقة على محالها المستعدة من صفاته الكمالية التي عدمها نقص عليه تعالى، والا لم يصدر عنه وهو يريد ثبوت هذا النقص.

إن لتمنيّه زوال النعم الالهية التي هي الوجودات ورجوع الشرور إلى الاعدام يكون طالباً للشر ومحباً له!

وقد صرح الحكماء بأن من رضي بالشر ولو بوصوله إلى العدو فهو شرير. فالحسد أشد الرذائل، والحاسد شرّ الناس وأي معصية أشد من كراهة راحة مسلم من غير أن يكون له فيها مضرة؟!!

ولذا ورد فيه الذم الشديد في الآيات والأخبار.

قال الله سبحانه في معرض الإنكار:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. (١)

﴿وَدَكْثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ

عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾. (٢)

٢. سورة البقرة (٢): ١٠٩.

١. سورة النساء (٤): ٥٤.

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾. (١)

بواعث الحسد

وبواعث هذه الحالة النفسية المرضية سبعة :

الأول : خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ، فانك تجد في زوايا العالم من يسرّ ويرتاح بابتلاء العباد بالبلاء والمحن ويحزن من حسن حالهم .
فمثله إذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم ، وفوات مقاصدهم وتنقص عيشهم يجد من طبعه الخبيث فرحاً وانبساطاً ، وان لم يكن بينه وبينهم عداوة ولا رابطة .

ولم يوجب ذلك تفاوتاً في حالة من وصوله إلى جاه أو مال أو غير ذلك .
واذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله وانتظام أموره شق ذلك عليه ،
وإن لم يوجب ذلك نقصاً في شيء مما له .
فهو ييخل بنعمة الله على عباده من دون قصد وغرض ولا تصور انتقال النعمة إليه ، فيكون ناشئاً عن خبث نفسه ورذالة طبعه .
ولذا يعسر علاجه ، لكونه مقتضى خباثة الجبلة .
وما يقتضيه الطبع والجبلة تعسر ازالته ، بخلاف ما يحدث من الأسباب العارضة .

الثاني : العداوة والبغضاء ، وهي أشد أسبابه اذ كل أحد - إلا أوحدي من

١ . سورة آل عمران (٣) : ١٢٠ .

المجاهدين - إذا أصابت عدوه بلية فرح بذلك، أما لظنّها مكافأة من الله لأجله، أو لحبه طبعاً ضعفه وهلاكه.

ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك، لأنه ضد مراده، وربما تصور لأجله انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم من عدوه وأنعم عليه فيحزن لذلك.

الثالث: حب الرئاسة وطلب المال والجاه، فإن من غلب عليه حب التفرد والثناء، واستقره الفرح بما يمدح به من أنه وحيد الدهر وفريد العصر في فنه، من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو غير ذلك، لو سمع بنظير له من أقصى العالم ساءه ذلك وارتاح بموته أو زوال النعمة التي يشاركه فيها، ليكون فائقاً على الكل في فنه ومتفرداً بالمدح والثناء في صفته.

الرابع: الخوف من فوت المقاصد، وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد (حالة التنافس في الانتخابات والسباق والمبارات) فإن كل واحد منهما يحسد صاحبه في وصوله إلى هذا المقصود، طلباً للتفرد به كتحاسد الضرات في مقاصد الزوجية والاخوة في نيل المنزلة في قلب الأبوين توصلاً إلى مآلهما، والتلامذة لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه، وندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة والكرامة عنده، والوعاظ والفقهاء المتزاحمين على أهل بلدة واحدة في نيل القبول والمال عندهم، إذا كان غرضهم ذلك.

الخامس: التعزز: وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه بعض أقرانه (نزعة التفوق) ويعلم انه لو أصاب بعض النعم يستكبر عليه ويستصغره وهو لا يطيق ذلك لعزة نفسه، فيحسده لو أصاب تلك النعمة تعززاً لنفسه.

السادس: التكبر وهو أن يكون في طبعه التكبر على بعض الناس، ويتوقع منه الانقياد والمتابعة (التبعية) في مقاصده.

فاذا نال بعض النعم خاف ألا يحتمل تكبره ويرفع عن خدمته. وربما أراد مساواته أو التفوق عليه، فيعود مخدوماً بعد أن كان خادماً فيحسده في وصول النعمة لأجل ذلك.

وقد كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ من هذا القبيل، حيث قالوا: كيف يتقدم علينا غلام فقير يتيم؟!

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١).

السابع: التعجب: وهو أن يكون المحسود في نظر الحاسد حقير (صغيراً) والنعمة عظيمة! فيعجب من فوز مثله بمثلها! فيحسده ويحب زوالها عنه.

ومن هذا الحسد حسد الامم لأنبيائهم، حيث قالوا:

﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٢).

﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾^(٣).

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾^(٤).

يقول المولى النراقي:

«وقد تجتمع هذه الأسباب أو أكثرها في شخص واحد، فيعظم لذلك حسده، وتقوى قوة لا يقدر معها على المجاملة فتظهر العداوة بالمكاشفة.

٢. سورة يس (٣٦): ١٥.

١. سورة الزخرف (٤٣): ٣١.

٤. سورة مؤمنون (٢٣): ٣٤.

٣. سورة مؤمنون (٢٣): ٤٧.

وربما قوى الحسد بحيث يتمنى صاحبه زوال النعمة عن كل أحد يراه في نعمة وانتقالها إليه.

ومثله لا ينفك عن الجهل والحرص إذ هو يتمنى استجماع جميع النعم والخيرات الحاصلة لجميع الناس له، ولا ريب في استحالة ذلك، ولو قدر إمكانه، لا يمكنه الاستمتاع بها، فلو لم يكن حريصاً لم يتمن ذلك أصلاً، ولو كان عالماً لدفع هذا التمني بقوته العاقلة». (١)

قال رسول الله ﷺ:

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ: يَا بَنَ عِمْرَانَ، لَا تَحْسُدَنَّ النَّاسَ عَلَى مَا آتَيْنَهُمْ مِنْ فَضْلِي، وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى ذَلِكَ وَلَا تَتَّبِعْهُ نَفْسَكَ، فَإِنَّ الْحَاسِدَ سَاحِطٌ لِنِعْمِي، صَادٌّ لِقَسَمِي الَّذِي قَسَمْتُ بَيْنَ عِبَادِي، وَمَنْ يَكُ كَذَلِكَ فَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ مِنِّي. (٢)

والحسد شأنه شأن الأمراض النفسية يتسلل إلى قلب الانسان شيئاً فشيئاً وبحسب تعبير الأدبيات الأخلاقية في الشريعة فانه «يدبّ ديب النمل في الليلة الظلماء فوق الصخرة الصماء»! ثم تتفاقم الحالة فتصل بالانسان إلى حافة الهاوية.

والحسود يشقى في الدنيا بهمهم وغمهم وفي الآخرة بعذاب الله، فهو شقي في الحال والمآل.

لا مات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد

١. علم اخلاق الاسلامي: ٢٥٦/٢ - ٢٧٠ مع التلخيص.

٢. الكافي: ٣٠٧/٢؛ بحار الأنوار: ٣٥٨/١٣.

لازلت محسوداً على نعمة فانما الكامل من يُحسد

ولا خلاك الدهر من حاسد فانما الفاضل من يُحسد

جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ قوله:

كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ. (١)

إنّ للحسد في نفس الانسان تأثيراً قوياً ربما يحمله حسده على قتل المحسود وأهلاك ماله وإبطاله معاشته، فكأنه سعى في غلبة المقدور لأنّ الله تعالى قد قدر للمحسود الخير والنعمة وهو يسعى في ازالة ذلك عنه، وقيل ما أعدل الحسد لأنه يبدأ بصاحبه وقيل الحسود لا يسود وقيل الحسد يأكل الجسد وقال الشاعر:

اصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله

النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله (٢)

حكاية عجيبة !

إنّ الحسد من أكثر الأمراض النفسية خطراً وتعقيداً، فهو يفتك بالحسود أولاً وأخيراً ويحيل دنياه وآخرته إلى شقاء في شقاء.

يورد كتاب «الضوء اللامع» حكاية عجيبة وقعت في عهد الخليفة العباسي «موسى الهادي» شقيق هارون الرشيد.

وهذه من أعجب القصص في الحسد وهي من أعاجيب الدنيا.

كان أيام موسى الهادي ببغداد رجل من أهل النعمة وكان له جار في دون حاله

٢. المصدر السابق: ٢٥٨.

١. بحار الأنوار: ٢٥٧/٧٠.

وكان يحسده ويسعى له بكل مكروه يمكنه ولا يقدر عليه قال: فلما طال عليه أمره وجعلت الأيام لا تزيد فيه إلا غيظا اشتري غلاما صغيرا فرباه وأحسن إليه فلما شب الغلام واشتد وقوي غضبه قال له مولاه يا بني إني أريدك لأمر من الأمور جسيم فليت شعري كيف لي أنت عند ذلك! قال: كيف يكون العبد لمولاه والمنعم عليه المحسن إليه والله يا مولاي لو علمت أن رضاك في أن أتقحم النار لرميت بنفسي فيها ولو علمت أن رضاك في أن أغرق نفسي في لجة البحر لفعلت ذاك وعدد عليه أشياء فسر بذلك من قوله وضمه إلى صدره وأكب عليه يترشفه ويقبله وقال أرجو أن تكون ممن يصلح لما أريد.

قال: يا مولاي إن رأيت أن تمن على عبدك فتخبره بعزمك هذا ليعرفه ويضم عليه جوانحه.

قال: لم يأن لذلك بعد وإذا كان ذلك فأنت موضع سري ومستودع أمانتي.

فتركه سنة فدعاه فقال أي بني قد أردتك للأمر الذي كنت أرشحك له.

قال له: يا مولاي مرني بما شئت فوالله لا تزيدني الأيام إلا طاعة لك.

قال: إن جاري فلانا قد بلغ مني مبلغا أحب قتله.

قال: فأنا أفتك به الساعة.

قال: لا أريد هذا وأخاف ألا يمكنك وإن أمكنك أحوالوا ذلك علي ولكنني دبرت

أن تقتلني أنت وتطرحني على سطحه فيؤخذ ويقتل بي.

فقال له الغلام: أتطيب نفسك بنفسك وما في ذلك تشف من عدوك وأيضا فهل

تطيب نفسي بقتلك وأنت أبر من الوالد الحذب والأم الرفيقة.

قال: دع عنك هذا فإنما كنت أريبك لهذا فلا تنقض علي أمري فإنه لا راحة لي إلا في هذا.

قال: الله الله في نفسك يا مولاي وأن تتلفها للأمر الذي لا يدرى أيكون أم لا يكون فإن كان لم تر منه ما أملت وأنت ميت.

قال: أراك لي عاصيا وما أرضى حتى تفعل ما أهوى.

قال: أما إذا صح عزمك على ذلك فشأنك وما هويت لأصير إليه بالكرة لا بالرضى فشكره على ذلك وعمد إلى سكين فشحذها ودفعها إليه وأشهد على نفسه أنه دبره ودفع إليه من صلب ماله ثلاثة آلاف درهم.

وقال: إذا فعلت ذلك فخذ في أي بلاد الله شئت فعزم الغلام على طاعة المولى بعد التمتع والالتواء.

فلما كان في آخر ليلة من عمره قال له: تأهب لما أمرتك به فإنني موقظك في آخر الليل.

فلما كان في وجه السحر قام وأيقظ الغلام فقام مذعورا وأعطاه المديّة فجاء حتى تسور حائط جاره برفق فاضطجع على سطحه فاستقبل القبلة ببدنه وقال للغلام: ها وعجل فترك السكين على حلقه وفرى أوداجه ورجع إلى مضجعه وخلاه يتشحط في دمه.

فلما أصبح أهله خفي عليهم خبره فلما كان في آخر النهار أصابوه على سطح جاره مقتولا فأخذ جاره وأحضروا وجوه المحلة لينظروا إلى الصورة ورفعوه وحبسوه وكتبوا بخبره إلى الهادي فأحضره فأنكر أن يكون له علم بذلك وكان الرجل من أهل الصلاح فأمر بحبسه ومضى الغلام إلى أصفهان.

وكان هناك رجل من أولياء المحبوس وقرابته وكان يتولى العطاء للجنود بأصفهان فرأى الغلام وكان عارفاً به فسأله عن أمر مولاه وقد كان وقع الخبر إليه فأخبره الغلام حرفاً حرفاً فأشهد على مقاتله جماعة وحمله إلى مدينة السلام وبلغ الخبر الهادي فأحضر الغلام فقص أمره كله عليه فتعجب الهادي من ذلك وأمر بإطلاق الرجل المحبوس وإطلاق الغلام أيضاً.^(١)

أجل هكذا يفتك هذا المرض الأخلاقي بالإنسان لقد وصل بذلك إلى أن يقتل نفسه فوق سطح دار المحسود!!

ولكن الظاهرة العامة أن الحسد يقتل المصابين به على نحو بطيء اذ تمتلئ نفوسهم كمداً حزناً وهماً وتذهب حياتهم حشرات.
قال أحدهم:

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِداً أَتَذَرِي عَلَيَّ مِنْ أَسَاتِ الْأَدَبِ
أَسَاتٌ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ
جَزَاؤُكَ مِنْهُ الزِّيَادَاتُ لِي وَأَنْ لَا تَنَالَ الَّذِي تَطْلُبُ^(٢)

أحكام الحسد

صدرت عن كبار فقهاء الشيعة فتاوى تستلفت النظر بشأن الحسود هذه طائفة منها:

فقد أفتى الشيخ المفيد زعيم الطائفة في عصره برد شهادة الفاسق والحقود والحسود.

١. بحار الأنوار: ٢٥٩/٧٠.

٢. روائشناسى اسلامى: ٢٤٩.

وقال ابن ادريس في «السرائر»: الحسد حرام واجتنابه واجب.
وقال العلامة الحلي: الحسد حرام وكذا عداوة المؤمن وعلان ذلك يثبتان عدم عدالته.

وقال المحقق الحلي في كتابه الجليل «الشرايع»:
الحسد ذنب وكذا عداوة المؤمن وعلانها مفسد للعدالة.
وعدّ الشهيد الأول (محمد بن مكي) في كتابه «الدروس» الحسد من الكبائر ومبطل العدالة قائلاً:

«ان حسد المؤمن وعداوته من كبائر الذنوب».

وقال الشهيد الثاني (زين الدين البجعي العاملي) في كتابه «المسالك»:
«لا يوجد بين فقهاء الاسلام مخالف في حرمة حسد المؤمن وعداوته، وقد تضافرت الأخبار في النهي عنه وتوعد الحسود بالعذاب يوم القيامة، وكلاهما (الحسد وعداوة المؤمن) من كبائر الذنوب مفسدان للعدالة، سواء كان مضمراً في القلب أو معلناً عنه باليد واللسان».

يقول السيّد جمال الخونساري في شرح حديث أمير المؤمنين عليه السلام وقوله:
«إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ فَإِنَّهُ شَرٌّ شَيْمَةٌ وَأَقْبَحُ سَجِيَّةٍ وَخَلِيقَةُ إِبْلِيسَ»^(١).
انّ الحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخر من قبيل زوال الجاه أو المال أو العلم، وهو مذموم وحرام.
ومن الذين سلّموا بحرمة الحسد المحقق المازندراني في «شرح اصول الكافي».

وقال الفاضل في «كشف اللثام»:

«الحسد حرام ولأنه خفي فإن التظاهر به ضار بالعدالة».

وروي عن الشيخ الطوسي قوله:

«إذا جرّ الحسد الحاسد إلى السب والشتيم علناً فهو فاسق».

وقال العلامة المجلسي في «شرح الكافي» و«بحار الأنوار»:

كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل محب لمساءة المسلمين فهو حاسد فأما كونه حاسداً بمجرد حسد القلب من غير فعل فهو في محل النظر والإشكال.

وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال. أحدها أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعاً لأنه يدخل تحت الاختيار أكثر منه. الثانية أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعاً. الثالثة وهي بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا محل الخلاف وقيل إنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه.^(١)

الحسد في الروايات

قال الامام الصادق عليه السلام:

١. بحار الأنوار: ٢٤٤/٧٠.

إِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ.^(١)

وقال عليه السلام:

اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا يَحْسُدْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، إِنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَانَ مِنْ شَرَائِعِهِ
السَّيِّئِ فِي الْبِلَادِ فَخَرَجَ فِي بَعْضِ سَيِّحِهِ وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَصِيرٌ
وَكَانَ كَثِيرَ اللَّزُومِ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فَلَمَّا انْتَهَى عِيسَى إِلَى الْبَحْرِ قَالَ بِسْمِ
اللَّهِ بِصِحَّةٍ يَقِينٍ مِنْهُ فَمَشَى عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ فَقَالَ الرَّجُلُ الْقَصِيرُ حِينَ نَظَرَ إِلَى
عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاذَهُ بِسْمِ اللَّهِ بِصِحَّةٍ يَقِينٍ مِنْهُ فَمَشَى عَلَى الْمَاءِ وَلَحِقَ
بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَخَلَهُ الْعُجْبُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ: هَذَا عِيسَى رُوحُ اللَّهِ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ
وَأَنَا أَمْشِي عَلَى الْمَاءِ فَمَا فَضْلُهُ عَلَيَّ قَالَ فَرُمِسَ فِي الْمَاءِ فَاسْتَغَاثَ بِعِيسَى
فَتَنَاولَهُ مِنَ الْمَاءِ فَأَخْرَجَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا قُلْتَ يَا قَصِيرٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: هَذَا رُوحُ اللَّهِ
يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ وَأَنَا أَمْشِي فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ عُجْبٌ فَقَالَ لَهُ عِيسَى: لَقَدْ
وَضَعْتَ نَفْسَكَ فِي غَيْرِ الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَكَ اللَّهُ فِيهِ فَمَقَّتَكَ اللَّهُ عَلَى مَا قُلْتَ
فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِمَّا قُلْتَ، قَالَ: فَتَابَ الرَّجُلُ وَعَادَ إِلَى الْمَرْتَبَةِ الَّتِي وَضَعَهُ
اللَّهُ فِيهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا يَحْسُدَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.^(٢)

وقال رسول الله ﷺ:

كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا، وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ.^(٣)

قال الراوندي:

الحسد سبب في زوال نعمة الحسود.

١. الكافي: ٣٠٦/٢؛ بحار الأنوار: ٢٤٤/٧٠.

٢. بحار الأنوار: ٢٤٤/٧٠ - ٢٤٥. ٣. الكافي: ٣٠٧/٢؛ وسائل الشيعة: ٣٦٥/١٥.

قال الامام الصادق عليه السلام:

آفَةُ الدِّينِ الْحَسَدُ وَالْعُجْبُ وَالْفَخْرُ. ^(١)

وقال عليه السلام أيضاً:

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغْبِطُ وَلَا يَحْسُدُ، وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ وَلَا يَغْبِطُ. ^(٢)

وجاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

أَقَلُّ النَّاسِ لَذَّةَ الْحَسَوْدِ. ^(٣)

وقال الامام الباقر عليه السلام:

لَا يُؤْمِنُ رَجُلٌ فِيهِ الشُّحُّ وَالْحَسَدُ وَالْجُبْنُ. ^(٤)

وجاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

قال لقمان لابنه: لِلْحَاسِدِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: يَغْتَابُ إِذَا غَابَ، وَيَتَمَلَّقُ إِذَا شَهِدَ،

وَيَشْتَمُ بِالْمُصِيبَةِ. ^(٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأُمير المؤمنين عليه السلام:

يَا عَلِيُّ، أَنَهَاكَ عَنْ ثَلَاثٍ خِصَالٍ عِظَامٍ: الْحَسَدِ، وَالْحِرْصِ، وَالْكَذِبِ. ^(٦)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

١- الكافي: ٣٠٧/٢، حديث ٥؛ وسائل الشيعة: ٣٦٦/١٥، باب ٥٥، حديث ٢٠٧٥٨.

٢. الكافي: ٣٠٧/٢؛ وسائل الشيعة: ٣٦٦/١٥.

٣. بحار الأنوار: ٢٥٠/٧٠، باب ١٣١؛ مستدرک الوسائل: ١٩/١٢.

٤. بحار الأنوار: ٣٠١/٧٢؛ وسائل الشيعة.

٥. بحار الأنوار: ٢٥١/٧٠، باب ١٣١؛ الخصال: ١٢١/١.

٦. بحار الأنوار: ٢٥١/٧٠؛ وسائل الشيعة: ٣٦٧/١٥.

لَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ^(١)

وقال عليه السلام أيضاً:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ سِتٍّ: مِنَ الشَّكِّ وَالشَّرِّ وَالْحَمِيَّةِ
وَالْغَضَبِ وَالْبَغْيِ وَالْحَسَدِ^(٢)

وروى عليه السلام عن آبائه عن جدّه الأكرم ﷺ قوله الشريف:

لَا تَتَحَاسَدُوا، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ الْيَابِسَ^(٣)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

بَيْنَمَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ يُنَاجِي رَبَّهُ وَيُكَلِّمُهُ اذْ رَأَى رَجُلًا تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِ اللَّهِ،
فَقَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا الَّذِي قَدْ أَظْلَمَ عَرْشُكَ؟ فَقَالَ: يَا مُوسَى، هَذَا مِمَّنْ لَمْ يَحْسُدِ
النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^(٤)

وقيل الحاسد بارز ربه (حارب الله) من ستّة أوجه .

أبغض كل نعمة تظهر على غيره وسخط القسمة وضاد قضاء الله وكابر مقدوره و
خذل وليه وأعان عدوه؛ وقيل الحاسد جاحد لأنه لم يرض بحكم الواحد وقيل
في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ يعني الحسد
وقيل الحسد منصف لأنه يؤثر في الحاسد ولا يؤثر في المحسود^(٥)

١. بحار الأنوار: ٢٥٢/٧٠؛ الخصال: ١٦٩/١.

٢. بحار الأنوار: ٢٥٢/٧٠؛ الخصال: ٣٢٩/١.

٣. بحار الأنوار: ٢٥٤/٧٠؛ مستدرك الوسائل: ١٧/١٢.

٤. بحار الأنوار: ٢٥٥/٧٠؛ مستدرك الوسائل: ١٥/١٢.

٥. بحار الأنوار: ٢٦١/٧٠.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

الْحَسَدُ لَا يَجْلِبُ إِلَّا مَضَرَّةً وَغَيْظاً يُوهِنُ قَلْبَكَ، وَيُمْرِضُ جِسْمَكَ وَشَرُّ مَا
اسْتَشْعَرَ قَلْبُ الْمَرْءِ الْحَسَدُ. ^(١)

وقال عليه السلام أيضاً:

الْحَاسِدُ مُغْتَاظٌ عَلَى مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِلَيْهِ، بَخِيلٌ بِمَا لَا يَمْلِكُهُ. ^(٢)
الْحَسَدُ آفَةٌ الدِّينِ، وَحَسْبُ الْحَاسِدِ مَا يَلْقَى. ^(٣)

لَا مُرُوءَةَ لِكَذُوبٍ، وَلَا رَاحَةَ لِحَسَوْدٍ. ^(٤)

الْحَسَوْدُ مَغْمُومٌ، وَاللَّئِيمُ مَذْمُومٌ. ^(٥)

إني لأرحم حاسدي لحر ما ضمنت صدورهم من الأسعار
نظروا صنيع الله لي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار ^(٦)

٤- الجزع

وهو اطلاق دواعي الهوى من الاسترسال في رفع الصوت وضرب الخدود
وشقّ الجيوب أو ضيق الصدر، والتبرم والتضجر.

١. بحار الأنوار: ٢٥٦/٧٠؛ مستدرك الوسائل: ١٧/١٢.

٢. بحار الأنوار: ٢٥٦/٧٠؛ مستدرك الوسائل: ١٧/١٢.

٣. بحار الأنوار: ٢٥٦/٧٠؛ كنز الفوائد: ١٣٦/١.

٤. مستدرك الوسائل: ١٧/١٢؛ بحار الأنوار: ٢٥٦/٧٠.

٥. بحار الأنوار: ٢٥٦/٧٠؛ مستدرك الوسائل: ١٧/١٢.

٦. بحار الأنوار: ٢٦٢/٧٠.

ويعدّ الجزع مؤشراً على ضعف الشخصية في مقابل الصبر الذي هو من مظاهر القوة في الشخصية.

واظهار الجزع في المصائب يضع الانسان على شفا حفرة نار فهو مهتد بالسقوط فيها ذلك انه استنكار للقضاء الالهي واحتجاج غاضب على القدر.

وان اظهار الجزع ازاء المشكلات دليل على ضعف الارادة.

وبالعكس فان الصبر والصلابة أمام المشكلات يعزز من شخصية الانسان ويكشف عن تجذر حالة الايمان في القلب ولذا فانه يصب في مصلحة الانسان ويزيد من رقيه الروحي والأخلاقي.

الصبر في القرآن الكريم

ان الصبر والثبات والمرابطة من العناصر الأساسية في النجاح وتحقيق النصر، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)

الصبر والنصر

في ضوء الآية أعلاه فان الصبر أساس النصر وان للنصر أربعة عوامل والصبر هو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمحن:

١- وان اول عوامل النصر هو الاستقامة والثبات والصبر في وجه الحوادث

١. سورة آل عمران (٣): ٢٠٠.

الذي هو في الحقيقة أصل كل نجاح مادي وعلّة كل انتصار معنوي، وقد جاء في الحديث الشريف عن الامام علي عليه السلام قوله: «إنّ الصبر من الايمان كالرأس من الجسد».

٢- و«صابروا» بمعنى الاستقامة والثبات في مقابل صبر الآخرين وثباتهم. وعلى هذا فان القرآن الكريم يوصي المؤمنين أولاً بالصبر والاستقامة التي تشمل كل ألوان الجهاد كجهاد النفس والاستقامة في مواجهة مشاكل الحياة ثم يوصي ثانياً بالصبر والثبات أمام الأعداء وهذا بنفسه يفيد أنّ الأمة ما لم تتغلب وتنتصر في جهادها مع النفس وفي اصلاح ما بها من نقاط الضعف الداخلية يستحيل انتصارها على الأعداء، وهذا يعني ان أكثر هزائمها أمام أعدائها إنّما هي بسبب ما لحق بها من هزائم في جبهة الجهاد مع النفس وما أصابها من أخفاقات في اصلاح نقاط الضعف التي تعاني منها.

كما وانه يستفاد من هذا التعليم «صابروا» أن على المسلمين أن يضاعفوا من صبرهم ومن ثباتهم كلما ضاعف العدو من صبره وثباته ومقاومته وعناده.

٣- «ورابطوا» وهذه العبارة مادّة «الرابط» وتعني ربط شيء في مكان (كربط الخيل في مكان) ولهذا يقال لمنزل المسافرين (محطتهم) «الرابط» ويقال أيضاً ربط على قلبه بمعنى انه أعطاه السكينة، وملأه بالطمأنينة، وكان قبله انشداً إلى مكان وارتكز على ركن وثيق و«المراقبة» بمعنى مراقبة الثغور وحراستها لأن فيها يربط الجنود خيولهم.

وهذه العبارة أمر صريح إلى المسلمين بأن يكونوا على استعداد دائم لمواجهة الأعداء وأن يكونوا في حالة تحفز وتيقظ ومراقبة مستمرة لثغور البلاد الاسلاميّة

وحدودها حتى لا يفاجئوا بهجمات العدو المباغتة، كما انه حث على التأهب الكامل لمواجهة الشيطان والأهواء الجامحة، حتى لا تبغتهم وتأخذهم على حين غرة وغفلة، ولهذا جاء في بعض الأحاديث عن الامام علي عليه السلام تفسير المرباط بانتظار الصلاة بعد الصلاة، لأن من حافظ على وعيه ويقظه ضميره بهذه العبادات المستمرة المتواصلة كان كالجندي المتأهب لمواجهة الأعداء على الدوام.

ويتسع مفهوم المرباط ليشمل كل أنواع الدفاع عن النفس والمجتمع .
كما أن هناك في الفقه الاسلامي باباً خاصاً تحت عنوان «المرباط» بمعنى الاستعداد والتأهب الكامل في الثغور لحراستها وحمايتها وحفظها أمام أي هجوم محتمل من قبل العدو .

وجاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام قوله :
«علماء شيعتنا مرباطون في الثغر الذي يلي ابليس وعفاريته ويمنعونهم عن الخروج عن ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم ابليس» .^(١)
فعلماء الدين هم حماة وحراسه والأمناء المدافعون عن القيم الاسلامية والجنود حماة الثغور الجغرافية .

ومن المؤكد ان جبهات الصراع الفكري والثقافي هي الأكثر أهمية، لأن الامة إذا تعرضت إلى غزو ثقافي وهزمت ثقافياً فسوف تلحق بها الهزائم العسكرية .

٤ - «واتقوا الله» وهذه التوصية آخر التعاليم والأوامر وهي بمثابة المظلة

١ . تفسير الأمل : ٦٩ / ٣ بالاستناد إلى الاحتجاج : ٣٨٥ / ٣ ؛ تفسير الامام العسكري عليه السلام : ٣٤٣ .

الواقية لما سبقها من التعاليم، انه حث على التقوى ولا بد للاستقامة والمصابرة والمراعاة في أن تمتزج بعنصر التقوى ولا يشوبها شيء من أنانية أو رياء أو غايات شخصية .

وفي الختام تأتي عبارة «لعلكم تفلحون» بالاشارة إلى الفلاح والنصر والنجاح وتحقيق الهدف المنشود بعد الالتزام بهذا البرنامج الرباعي، والآ فلن تحصلوا على شيء من النجاح والانتصار.^(١)

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.^(٢)

ومن هنا فإن الصبر هو في مقدمة التوصيات من أجل تحقيق النصر وقد أشرنا إلى انه يمثل ازاء حالة الايمان الرأس من الجسد.

اصبر على تعب الإدلاج والسهل وبالروح على الحاجات والسكر
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها فالنجاح يتلف بين العجز والضجر^(٣)

* * *

اصبر قليلا فبعد العسر تيسير وكل أمر له وقت وتدبير
و للمهيمن في حالاتنا نظر وفوق تدبيرنا لله تقدير^(٤)

١. تفسير الأمثل : ٦٩/٣ ذيل الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران .

٢. سورة العصر (١٠٣) : ١ - ٣ . ٣. ديوان الامام علي عليه السلام : ١٨٢ .

٤. ديوان الامام علي عليه السلام : ١٨٦ .

تفسير الصبر في كلام العلامة الطباطبائي

يؤكد القرآن الكريم في العديد من آياته البينات على مسألة الصبر لأنّ الصبر هو الأساس في النصر وتحقيق الغايات المنشودة؛ والامم المؤمنة برسالات الله كانت تنتصر في مواجهاتها مع العدو بعد التزامها بالصبر.

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(١).

يقول صاحب تفسير الميزان في توضيح مفاهيم الآية أعلاه:

«قوله تعالى: «استعينوا بالصبر والصلاة» الاستعانة وهي طلب العون إنما يتم فيما لا يقوى الانسان عليه وحده من المهمات والنوازل واذ لا معين في الحقيقة الا الله سبحانه، فالعون على المهمات مقاومة الانسان لها بالثبات والاستقامة والاتصال به تعالى بالانصراف إليه والاقبال عليه بنفسه وهذا هو الصبر والصلاة وهي أحسن سبب على ذلك.

فالصبر يصغر كل عزيمة نازلة وبالاقبال على الله والالتجاء إليه تستيقظ روح الايمان وتنتبه.

أن الانسان منك على ركن لا يهدم وسبب لا ينفصم»^(٢).

آيات اخرى في الصبر

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا

١. سورة البقرة (٢): ٤٥.

٢. الميزان: ١/ ١٥٢.

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ. (١)

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾. (٢)

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. (٣)

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. (٤)

﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. (٥)

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. (٦)

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِقَابِي الدَّارِ﴾. (٧)

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً

وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ﴾. (٨)

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. (٩)

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

١. سورة البقرة (٢): ١٥٥ - ١٥٧.

٢. سورة الأعراف (٧): ١٣٧.

٣. سورة الأنفال (٨): ٤٦.

٤. سورة يونس (١٠): ١٠٩.

٥. سورة هود (١١): ١١٥.

٦. سورة يوسف (١٢): ٩٠.

٧. سورة رعد (١٣): ٢٢.

٨. سورة النحل (١٦): ٤١ - ٤٢.

٩. سورة النحل (١٦): ٩٦.

الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ^(١)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ^(٢)

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ^(٣)

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ^(٤)

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ^(٥)

اصبر على الدهر لا تغضب على أحد فلا ترى غير ما في اللوح مخطوط
ولا تقمن بدار لا انتفاع بها فالأرض واسعة والرزق مبسوط

* * *

تجزعن إذا نابتك نائبة و اصبر ففي الصبر عند الضيق متسع
إن الكريم إذا نابته نائبة لم يبد منه على علاته الهلع

الصبر في الروايات

قال الامام الصادق عليه السلام:

١. سورة المؤمنون (٢٣): ١٠٩ - ١١١.
٢. سورة العنكبوت (٢٩): ٥٨ - ٥٩.
٣. سورة روم (٣٠): ٦٠.
٤. سورة زمر (٣٩): ١٠.
٥. سورة الانسان (٧٦): ١٢.

الصَّبْرُ رَأْسُ الْإِيمَانِ.^(١)

وقال عليه السلام أيضاً:

الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ،
كَذَلِكَ إِذَا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإِيمَانُ.^(٢)

وجاء في الحديث الشريف عن الامام الباقر عليه السلام:

الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى الْبَلَاءِ حَسَنٌ جَمِيلٌ، أَفْضَلُ الصَّبْرَيْنِ الْوَرَعُ عَنِ
الْمَحَارِمِ.^(٣)

وجاء في حديث طويل للامام الصادق عليه السلام:

يَا حَفْصُ! إِنَّ مِنْ صَبْرٍ قَلِيلاً وَإِنْ مِنْ جَزَعٍ قَلِيلاً.
ثُمَّ قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَمَرَهُ
بِالصَّبْرِ وَالرَّفْقِ فَقَالَ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾
وَقَالَ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فَصَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَابَلُوهُ بِالْعِظَامِ وَرَمَوْهُ بِهَا فَضَاقَ
صَدْرُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ثُمَّ كَذَّبُوهُ
وَرَمَوْهُ فَحَزَنَ لِدَلِكِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا
يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ
قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ ﷺ

١. الكافي: ٨٧/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٥٧/٣.

٢. الكافي: ٨٧/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٥٨/٣.

٣. الكافي: ٩١/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٣٧/١٥.

الصَّبْرَ فَقَعَدُوا وَذَكَرُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَكَذَّبُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَقَدْ صَبَرْتُ فِي نَفْسِي وَأَهْلِي وَعِزِّي وَلَا صَبْرَ لِي عَلَى ذِكْرِهِمْ إِلَهِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ فَصَبَرَ ﷺ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ثُمَّ بَشَّرَ فِي الْأَيَّامَةِ مِنْ عِزَّتِهِ وَوُصِفُوا بِالصَّبْرِ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ ﷺ: الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْبَدَنِ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (١).

فأنزل الله عليه:

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (٢).

فقال رسول الله ﷺ:

آيَةُ بُشْرَى وَانْتِقَامٍ فَأَبَاحَ اللَّهُ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجِدُوا فَقَتَلَهُمْ عَلَى يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَأَحْبَبَائِهِ وَعَجَّلَ لَهُ نَوَابَ صَبْرِهِ مَعَ مَا ادَّخَرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ (٣).
﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

١. بحار الأنوار: ١٨٢/١٨ - ١٨٤. ٢. سورة الأعراف (٧): ١٣٧.

٣. بحار الأنوار: ١٨٤/١٨.

وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١).
 ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ
 مِّنَ الْقَتْلِ﴾^(٢).

وجاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُومُ عُنُقُ مِنَ النَّاسِ فَيَأْتُونَ بَابَ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ: مَنْ أَنْتُمْ؟
 فَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الصَّبْرِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: عَلَى مَا صَبَرْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَصْبِرُ
 عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَنَصْبِرُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقُوا،
 أَدْخِلُوهُمْ الْجَنَّةَ. وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣).^(٤)

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرُ
 عِنْدَمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ. وَالدَّكْرُ ذِكْرَانِ: ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ،
 وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ حَاجِزًا.^(٥)

وجاء في الحديث الشريف عن الامام الباقر عليه السلام قوله:

لَمَّا حَضَرَتْ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَفَاةُ ضَمَنِي إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أُوصِيكَ
 بِمَا أُوصَانِي بِهِ أَبِي حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أُوصَاهُ بِهِ: يَا بُنَيَّ،
 إِصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا.^(٦)

١. سورة التوبة (٩): ٥.

٢. سورة البقرة (٢): ١٩١.

٣. سورة الزمر (٣٩): ١٠.

٤. الكافي: ٧٥/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٣٦/١٥.

٥. الكافي: ٩٠/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٣٧/١٥.

٦. الكافي: ٩١/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٣٧/١٥.

وقال نجله الامام الصادق عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْعَمَ عَلَى قَوْمٍ فَلَمْ يَشْكُرُوا فَصَارَتْ عَلَيْهِمْ وَبَالًا، وَابْتُلِيَ قَوْمًا
بِالْمَصَائِبِ فَصَبَرُوا فَصَارَتْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً.^(١)

وقال الامام الصادق عليه السلام أيضاً:

مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَلَاءٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ أَلْفِ شَهِيدٍ.^(٢)

وقال عليه السلام أيضاً:

إَصْبِرُوا عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ، فَإِنَّ مَا مَضَى مِنْهُ لَا تَجِدُ لَهُ أَلَمًا وَلَا
سُرُورًا، وَمَا لَمْ يَجِءْ فَلَا تَدْرِي مَا هُوَ، وَإِنَّمَا هِيَ سَاعَتُكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا،
فَاصْبِرْ فِيهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَاصْبِرْ فِيهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ.^(٣)

وروى الشيخ المفيد رضوان الله عليه:

أَتَى رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْصِنِي، فَقَالَ: لَا يَفْقِدُكَ اللَّهُ
حَيْثُ أَمَرَكَ، وَلَا يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ. قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: لَا أَجِدُ.^(٤)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

دَخَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ كَنِيبٍ حَزِينٍ
فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا لَكَ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبْتُ بِأَبِي وَأُمِّي
وَأَخِي وَأَخْتِي أَنْ أَكُونَ قَدْ وَجِلْتُ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: عَلَيْكَ بِتَقْوَى

١. الكافي: ٩٢/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٥٩/٣.

٢. الكافي: ٩٢/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٥٥/٣.

٣. الكافي: ٤٥٤/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٣٧/١٥.

٤. وسائل الشيعة: ٢٣٩/١٥؛ المستطرفات: ٦٥٠؛ الحكايات، الشيخ المفيد: ٩٥.

اللَّهُ وَالصَّبْرُ تَقْدَمُ عَلَيْهِ عَدَاً وَالصَّبْرُ فِي الْأُمُورِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ فَإِذَا
فَارَقَ الرَّأْسُ الْجَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ وَإِذَا فَارَقَ الصَّبْرُ الْأُمُورَ فَسَدَتِ الْأُمُورُ.^(١)

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

الصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ: صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.
فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمُصِيبَةِ حَتَّى يَرُدَّهَا بِحُسْنِ عَزَائِهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثِمِائَةَ
دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ. وَمَنْ صَبَرَ عَلَى
الطَّاعَةِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سِتِّمِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ تَحُومِ
الْأَرْضِ إِلَى الْعَرْشِ. وَمَنْ صَبَرَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ تِسْعِمِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا
بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ تَحُومِ الْأَرْضِ إِلَى مُنْتَهَى الْعَرْشِ.^(٢)

كلام المحقق الطوسي في الصبر

قال المحقق الطوسي رحمته الله:

الصبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه وهو يمنع الباطن عن
الاضطراب واللسان عن الشكاية والأعضاء عن الحركات غير المعتادة.
أن الصبر يكون على البلاء وعلى فعل الطاعة وعلى ترك المعصية وعلى
سوء أخلاق الخلق قال الراغب الصبر الإمساك في ضيق يقال صبرت الدابة
حبستها بلا علف وصبرت فلانا حلفته حلفة لا خروج له منها والصبر حبس
النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر
لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فإن كان حبس

١. الكافي: ٩٠/٢.

٢. الكافي: ٩١/٢؛ بحار الأنوار: ١٣٩/٧٩.

النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وإن كان في محاربة
 سمي شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر
 ويضاده الضجر وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده الإذاعة وقد
 سمي الله تعالى كل ذلك صبرا ونبه عليه بقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
 وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالصَّابِرِينَ
 وَالصَّابِرَاتِ﴾ وسمي الصوم صبرا لكونه كالنوع له وقوله: ﴿اصْبِرُوا
 وَصَابِرُوا﴾ أي احبسوا أنفسكم على العبادة واجاهدوا أهواءكم وقوله عز
 وجل: ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي تحمل الصبر بجهدك وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ
 يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بما تحملوه من الصبر في الوصول إلى
 مرضاة الله. (١)

روايات اخرى

قال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

إِنَّ الْحَرْ حُرٌّ عَلَىٰ جَمِيعِ أَحْوَالِهِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ صَبَرَ لَهَا وَإِنْ تَدَاكَتْ عَلَيْهِ
 الْمَصَائِبُ لَمْ تَكْسِرْهُ وَإِنْ أُسِرَ وَقُهِرَ وَاسْتَبْدِلَ بِالْيُسْرِ عُسْرًا كَمَا كَانَ يُوسُفُ
 الصَّدِيقُ الْأَمِينُ ص لَمْ يَضُرُّ حُرِّيَّتَهُ أَنْ اسْتُعْبِدَ وَقُهِرَ وَأُسِرَ وَلَمْ تَضُرَّهُ
 ظُلْمَةُ الْجُبِّ وَوَحْشَتُهُ وَمَا نَالَهُ أَنْ مَنَّْ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَ الْجَبَّارَ الْعَاتِيَّ لَهُ عَبْدًا
 بَعْدَ إِذْ كَانَ لَهُ مَالِكًا فَأَرْسَلَهُ وَرَحِمَ بِهِ أُمَّةً وَكَذَلِكَ الصَّبْرُ يُعْقِبُ خَيْرًا فَاصْبِرُوا
 وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ تَوَجَّرُوا. (٢)

٢. الكافي: ٢ / ٨٩.

١. بحار الأنوار: ٦٨ / ٦٨ - ٦٩.

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام يوصي ابنه محمد بن الحنفية :

إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ، وَسُوءَ الْخُلُقِ، وَقِلَّةَ الصَّبْرِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَكَ عَلَى هَذِهِ
الْخِصَالِ الثَّلَاثِ صَاحِبٌ، وَلَا يَزَالُ لَكَ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ مُجَانِبٌ.^(١)

وقال الامام زين العابدين عليه السلام :

أَخَذُوا النَّاسَ ثَلَاثَةً مِنْ ثَلَاثَةٍ: أَخَذُوا الصَّبْرَ عَنْ أَيُّوبَ عليه السلام، وَالشُّكْرَ عَنْ
نُوحٍ عليه السلام، وَالْحَسَدَ عَنْ بَنِي يَعْقُوبَ عليه السلام.^(٢)

وروى الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قوله الشريف :

عَلَامَةُ الصَّابِرِ فِي ثَلَاثٍ: أَوَّلُهَا أَنْ لَا يَكْسَلَ، وَالثَّانِيَةُ أَنْ لَا يَضْجَرَ، وَالثَّالِثَةُ أَنْ
لَا يَشْكُو مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُ إِذَا كَسَلَ فَقَدْ ضَيَّعَ الْحَقَّ، وَإِذَا ضَجَرَ لَمْ يُؤَدِّ
الشُّكْرَ، وَإِذَا شَكَا مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَصَاهُ.^(٣)

وروى الامام الصادق عليه السلام عن جده أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

ثَلَاثٌ مِنْ أَبْوَابِ الْبِرِّ: سَخَاءُ النَّفْسِ، وَطَيِّبُ الْكَلَامِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى.^(٤)

وروى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ الْبِرُّ، وَإِخْفَاءُ الْعَمَلِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الرِّزَايَا، وَكِثْمَانُ
الْمَصَائِبِ.^(٥)

١. مستدرک الوسائل: ١٣٦/١؛ الخصال: ١٤٧/١.

٢. بحار الأنوار: ٨٦/٦٨؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٤٥/٢.

٣. بحار الأنوار: ٨٦/٦٨؛ وسائل الشيعة: ٢٣/١٦.

٤. بحار الأنوار: ٨٩/٦٨؛ مستدرک الوسائل: ٤٢١/٨.

٥. بحار الأنوار: ٩٥/٦٨؛ تحف العقول: ٢٠٠.

وجاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام قوله :

أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ ع أَنَّ قَرِينَكَ فِي الْجَنَّةِ خَلَادَةُ بِنْتُ أَوْسٍ فَأَتَاهَا
وَأَخْبَرَهَا وَبَشَّرَهَا بِالْجَنَّةِ وَأَعْلَمَهَا أَنَّهَا قَرِينُكَ فِي الْآخِرَةِ فَانْطَلَقَ دَاوُدُ ع إِلَيْهَا
فَقَرَعَ الْبَابَ عَلَيْهَا فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ فَقَالَ أَنْتَ خَلَادَةُ بِنْتُ أَوْسٍ قَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ
لَسْتُ بِصَاحِبَتِكَ الَّتِي تَطْلُبُ قَالَ لَهَا دَاوُدُ أَلَسْتَ خَلَادَةُ بِنْتُ أَوْسٍ مِنْ سِبْطِ
كَذَا وَكَذَا قَالَتْ بَلَى قَالَ فَأَنْتِ هِيَ إِذَا فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَعَلَّ اسْمًا وَافَقَ اسْمًا
فَقَالَ لَهَا دَاوُدُ مَا كُذِّبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ وَإِنَّكَ لَأَنْتِ هِيَ فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَكْذَبُكَ وَلَا
وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ مِنْ نَفْسِي مَا وَصَفْتَنِي بِهِ قَالَ لَهَا دَاوُدُ خَبَّرْنِي عَنْ سَرِيرَتِكَ مَا
هِيَ قَالَتْ أَمَّا هَذَا فَسَأُخْبِرُكَ بِهِ إِنَّهُ لَمْ يُصِيبْنِي وَجَعٌ قَطُّ نَزَلَ بِي مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى كَائِنًا مَا كَانَ وَلَا نَزَلَ بِي مَرَضٌ أَوْ جُوعٌ إِلَّا صَبَرْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أَسْأَلِ اللَّهَ
كَشْفَهُ حَتَّى هُوَ يَكُونُ الَّذِي يُحَوِّلُهُ عَنِّي إِلَى الْعَافِيَةِ وَالسَّعَةِ لَمْ أَطْلُبْ بِهَا بَدَلًا
وَشَكَرْتُ اللَّهَ عَلَيْهَا وَحَمِدْتُهُ قَالَ لَهَا دَاوُدُ ع فَبِهَذَا النَّعْتِ بَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ثُمَّ قَالَ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع هَذَا وَاللَّهُ دِينُ اللَّهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِلصَّالِحِينَ.^(١)

٥ - انعدام القناعة

أي الحرص وهي حالة نفسية تنبعث في داخل النفس من خلال الرغبة في جمع ما لا يحتاج إليه الانسان من الأموال من دون احساس بالاكْتفاء ولا بالانتهاء إلى سقف معين وبعد الحرص أقوى نوازع حب الدنيا وأكثرها تعبيراً. وهذه النزعة تشتدّ بمرور الزمن اذ تجد الانسان وهو يتقدم في العمر فتزداد في

١. بحار الأنوار : ٩٧/ ٦٨ .

داخله نزع الحرس وتتأجج، فهي أشبه ما تكون بالنار المستعرة، لا يطفئها سوى التراب.

ومن هنا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى وراءهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

والقناعة بالخذ من الحرص تماماً وهي ملكة نفسية، تدفع الانسان إلى الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال، ومن دون اللهاث في طلب الكماليات. وتعد القناعة من أرقى الفضائل الأخلاقية والطريق الأكثر ضماناً في الوصول إلى الهدف المنشود في تحقيق السعادة الأبدية.

جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

«أيها الناس اجملوا في الطلب، فانه ليس للعبد إلا ما كتب له في الدنيا، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا».

وقال ﷺ:

«نفث روح القدس في روعي: انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله واجملوا في الطلب».

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

حكاية

حكى لي أحد تلامذة آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري (مؤسس الحوزة العلمية في قم) عن استاذة (الشيخ الحائري) انه قال: كنت والميرزا النائيني من أبرز تلامذة السيد محمد فشاركي (استاذ الفقه والاصول في النجف الأشرف) وقد زرناه في منزله بعد وفاة المرجع الكبير حسن الشيرازي، ففتح لنا الباب وقال: ما حاجتكم؟ قلنا: اتنا نقول بأنكم الأعلام بعد الميرزا الشيرازي ورأينا أن تتصدى إلى المرجعية العامة!

فتجمعت في عينيه الدموع وتلا قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١)

الغنى في النفوس والفقر فيها	إن تجزت فقل ما يجزيها
علل النفس بالقنوع وإلا	طلبت منك فوق ما يكفيها
ليس فيما مضى ولا في الذي لم	يأت من لذة لمستحليها
إنما أنت طول عمرك ما	غمرت بالساعة التي أنت فيها (٢)

القناعة والعمل

القناعة في الثقافة الاسلامية ليست بالضد من العمل والنشاط والحركة في الشؤون الدنيوية.

١. سورة القصص (٢٨): ٨٣.

٢. ديوان الامام امير المؤمنين عليه السلام: ٤٨٢.

الانسان القانع هو من لا تأسره الدنيا ولم يجعلها أكبر همه وأهل القناعة هم أولئك الذين ينظرون إلى الدنيا فيرونها مزرعة للآخرة.

وأهل القناعة هم من يكتفون بالضروريات من العيش بعيداً عن الكماليات. فتراهم يتاجرون ويعملون ولكنهم في الوقت نفسه يذكرون الله في كل لحظة من لحظات حياتهم.

قد ملأ النور الالهي نفوسهم وأشرق الوعي على قلوبهم، فرفع الله مقامهم وطهرهم.

قال عز وجل:

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١)

بيوت يسبح أهلها ليل نهار، فيها رجال أشداء عرفوا مصدر النور، فهرعوا إليه. بيوت محصنة بأمر الله فاضحت مراكز لذكره ولبيان حقيقة الاسلام تشع من خلال مشكاة النور الالهي.

ولهذه البيوت عدة خصائص:

أولها: أنها شيدت بأمر الله.

١. سورة النور (٢٤): ٣٦ - ٣٨.

والاخرى: ان جدرانها رفعت وأحكم بناؤها لتمنع تسلل الشياطين.
وثالثها: انها مركز لذكر الله.

وأخيراً: فان فيها رجالاً يحرسونها ليل نهار، وهم يسبحون الله، ولا تلهيهم
الجواذب الدنيوية عن ذكر الله وهذه البيوت بهذه الخصائص، مصادر للهداية
والايمان»^(١).

ومحترس من نفسه خوف زلة	تكون عليه حجة هي ماهيا
فقلص برديه وأفضى بقلبه	إلى البر والتقوى فنال الأمانيا
وجانب أسباب السفاهة والخنى	عفاها وتنزيها فأصبح ماليا
وصان عن الفحشاء نفسا كريمة	أبت همة إلا العلى والمعاليا
تراه إذا ما طاش ذو الجهل والصبأ	حليما وقورا صائن النفس هاديا
له حلم كهل في صرامة حازم	وفي العين إن أبصرت أبصرت ساهيا
يروق صفاء الماء منه بوجهه	فأصبح منه الماء في الوجه صافيا
صبورا على ريب الزمان وصرفه	كتوما لأسرار الضمير مداريا
له همة تعلو على كل همة	كما قد علا البدر النجوم الداريا ^(٢)

الحياة الطيبة

قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُخَوِّبَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٣).

٢. ديوان الامام امير المؤمنين عليه السلام: ٤٨١.

١. تفسير الأمثل: ١١/١١١.

٣. سورة النحل (١٦): ٩٧.

جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: ان المراد من الحياة الطيبة الرزق الحلال وقد ورد هذا المعنى في ما رواه ابن عباس وسعيد بن جبير في ان الرزق الحلال حصيلة صفة القناعة وروي عن رسول الله ﷺ ان الحياة الطيبة القناعة والرضا بما يؤتي الله. (١)

وكذا ما ورد عن الامام أمير المؤمنين في أن الحياة الحياة الطيبة القناعة. (٢)
وروي عنه عليه السلام قوله:

وقال عليه السلام في خطبته المعروفة بـ «القاصعة»:

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولَى قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيهِمَا تَرَى
الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونُ غِنًى وَخَصَاصَةً تَمَلُّ
الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعُ أذًى. (٣)

وقال عليه السلام:

أَلْهَمَ نَفْسَكَ الْقُنُوعَ. (٤)

نِعْمَ حَظُّ الْمَرْءِ الْقَنَاعَةَ. (٥)

إِنْتَقِمَ مِنْ حِرْصِكَ بِالْقُنُوعِ كَمَا تَنْتَقِمُ مِنْ عَدُوِّكَ بِالْقِصَاصِ. (٦)

أَشْكُرُ النَّاسَ أَقْنَعُهُمْ، وَأَكْفُرُهُمْ لِلنِّعَمِ أَجْشَعُهُمْ. (٧)

١. مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٩٨/٦، ذيل آية ٩٧ من سورة النحل؛ شرح نهج البلاغة،

ابن أبي الحديد: ١٩٨/١١. ٢. نهج البلاغة: الحكمة ٢٢٩.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٤؛ بحار الأنوار: ٤٦٩/١٤.

٤. بحار الأنوار: ٨/٧٥.

٥. بحار الأنوار: ٢٣٢/٧٤، باب ٨؛ تحف العقول: ٨٣.

٦. مستدرک الوسائل: ٦٢/١٢؛ غرر الحكم: ٣٩١.

٧. بحار الأنوار: ٤٢٤/٧٤؛ الارشاد، الشيخ المفيد: ٣٠٤/١.

كَفَى بِالْقِنَاعَةِ مُلْكًا وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيمًا.^(١)

مَا أَحْسَنَ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَقْنَعَ بِالْقَلِيلِ وَيَجُودَ بِالْجَزِيلِ.^(٢)

مَنْ قَنَعَتْ نَفْسُهُ، أَعَانَتْهُ عَلَى النَّزَاهَةِ وَالْعِفَافِ.^(٣)

مِنْ شَرَفِ الْهِمَّةِ لُزُومُ الْقِنَاعَةِ.^(٤)

مِنْ عِزِّ النَّفْسِ لُزُومُ الْقِنَاعَةِ.^(٥)

الْقِنَاعَةُ سَيْفٌ لَا يَنْبُؤُ.^(٦)

خِيَارُ أُمَّتِي الْقَانِعُ، وَشِرَارُهُمُ الطَّامِعُ.^(٧)

وجاء عن الامام الباقر عليه السلام:

أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام تناول تمرات ثم شرب الماء وضرب على بطنه وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله!

روايات اخرى

وفي مضممار القناعة ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته أحاديث كثيرة هذه طائفة اخرى:

الْقِنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ.^(٨)

١. نهج البلاغة: الحكمة ٢٢٩؛ بحار الأنوار: ٦٨/ ٣٤٥.

٢. غرر الحكم: ٣٧٦.

٣. مستدرک الوسائل: ١٥/ ٢٣٣؛ غرر الحكم: ٣١٨.

٤. غرر الحكم: ٣٩١. ٥. غرر الحكم: ٣٩٢.

٦. بحار الأنوار: ٩٦/ ٦٨؛ غرر الحكم: ٣٩١.

٧. كنز العمال: ٣/ ٣٩١؛ الجامع الصغير: ١/ ٦١٤.

٨. نهج البلاغة: الحكمة ٤٧٥؛ وسائل الشيعة: ١٥/ ٢٧٨.

الْقِنَاعَةُ تُغْنِي. ^(١)

طَلَبْتُ الْغِنَى فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِالْقِنَاعَةِ، عَلَيْكُمْ بِالْقِنَاعَةِ تَسْتَغْنُوا. ^(٢)

الْقِنَاعَةُ غُنْيَةٌ، وَالْإِقْتِصَادُ بُلْغَةٌ. ^(٣)

الْقَانِعُ غَنِيٌّ وَإِنْ جَاعَ وَعَرِيَ. ^(٤)

الْقِنَاعَةُ رَأْسُ الْغِنَى. ^(٥)

لَا كَنْزٌ أَغْنَى مِنَ الْقِنَاعَةِ. ^(٦)

مَنْ قَنِعَ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ. ^(٧)

أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَضَعْتُ الْغِنَى فِي الْقِنَاعَةِ وَهُمْ يَطْلُبُونَهُ فِي

كَثْرَةِ الْمَالِ فَلَا يَجِدُونَهُ. ^(٨)

انْزِلْ سَاحَةَ الْقِنَاعَةِ بِاتِّقَاءِ الْحِرْصِ، وَادْفَعْ عَظِيمَ الْحِرْصِ بِإِيثَارِ الْقِنَاعَةِ. ^(٩)

لَنْ تُوَجَدَ الْقِنَاعَةُ حَتَّى يُفْقَدَ الْحِرْصُ. ^(١٠)

يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ أَنْ يَلْزِمَ الْقِنَاعَةَ وَالْعِفَّةَ. ^(١١)

١. غرر الحكم: ٣٩٢.

٢. مستدرک الوسائل: ١١/١٩٢؛ بحار الأنوار: ٦٦/٣٩٩.

٣. بحار الأنوار: ٧٥/١٠.

٤. مستدرک الوسائل: ١٥/٢٢٨؛ غرر الحكم: ٣٩٢.

٥. غرر الحكم: ٣٩٢.

٦. نهج البلاغة: الحكمة ٣٧١؛ بحار الأنوار: ٦٦/٤١١.

٧. مجموعة ورام: ٢/١٩٥؛ الكافي: ٢/١٣٩.

٨. بحار الأنوار: ٧٥/٤٥٣؛ عدّة الدّاعي: ١٧٩.

٩. بحار الأنوار: ٧٥/١٦٣؛ تحف العقول: ٢٨٤.

١٠. غرر الحكم: ٣٩٣. ١١. غرر الحكم: ٣٩١.

ثَمَرَةُ الْقَنَاعَةِ الْعِزُّ. ^(١)

وَأَقْنَعْ بِمَا أُوتِيَتْهُ يَخْفَ عَلَيْكَ الْحِسَابُ. ^(٢)

مَنْ رَضِيَ مِنَ اللَّهِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْمَعَاشِ رَضِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ. ^(٣)

أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشاً مَنْ مَنَحَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْقَنَاعَةَ، وَأَصْلَحَ لَهُ زَوْجُهُ. ^(٤)

الْقَنَاعَةُ أَهْنًا عَيْشٌ. ^(٥)

إذا أظمأتك أكف الرجال كفتك القناعة شبعاً ورياً

فكن رجلاً رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

أبياً لنائل ذي ثروة تريه لما في يديه أبيعاً

فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا ^(٦)

٦- سوء الخلق

وهو التضجر واكفهرار الوجه وانقباضه وسوء الكلام وملامح العبوس والشدة والغلظة والفظاظة في التعامل مع الناس.

ومن المؤكد ان سوء الأخلاق في طبيعة العوامل التي تبعد المصاب بهذا المرض الأخلاقي عن الخالق تبارك وتعالى وعن الخلق والمجتمع ومن الملاحظ اجتماعياً ان الناس بطبيعتهم ينفرون من سيء الخلق، حيث يتحول لدى الناس

١. غرر الحكم: ٣٩٢. ٢. بحار الأنوار: ١٨٩/٧٤؛ أعلام الدين: ٣٤٤.

٣. الكافي: ١٣٨/٢؛ وسائل الشيعة: ٥٣٠/٢١.

٤. غرر الحكم: ٣٩٣. ٥. غرر الحكم: ٣٩٣.

٦. ديوان الامام علي عليه السلام: ٤٨٤.

إلى مادة للضحك والسخرية، أما هو فتراه في حالة ألم يعيش حالة من التعذيب الذاتي وجلد النفس.

ولذا ورد في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

«لما خلق الله الايمان قال: اللهم قَوْنِي، فقَوَاه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الكفر قال: اللهم قَوْنِي، فقَوَاه بالبخل وسوء الخلق».

وقيل له ﷺ: ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها، فقال ﷺ:

«لا خير فيها! هي من أهل النار».

وعلى العكس فان حسن الخلق يمهّد للانسان الطريق إلى السعادة في الدارين، فهو في الدنيا محبوب لدى المجتمع وفي الآخرة من أهل الجنة.

وقد عبر القرآن الكريم عن قوى الباطن بـ «النفس الأمارة»:

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (١)

وفي مقابل هذه القوة التي تحاول دفع الانسان باتجاه المعاصي تبرز «النفس اللوامة» التي تحاول احتواء «النفس الأمارة» وحث الانسان باتجاه الخير.

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾. (٢)

ذلك ان التكوين النفسي للانسان ينطوي على توجهين توجه نحو الحياة العابثة واشباع الغرائز الحيوانية بأي ثمن وبأي شكل، وتوجه نحو التقوى والحياة

١. سورة يوسف (١٢): ٥٣.

٢. سورة القيامة (٧٥): ٢.

الاخلاقية ضمن الضوابط والتعاليم الدينية .

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا * فَآلَھَمَّھَا فُجُورَھَا وَتَقْوِیْھَا﴾^(١).

ان الالتزام بالتعاليم الأخلاقية ترسخ في داخل الانسان ملكة حسن الخلق التي تُعد في ذاتها الجوهر لانسانية الانسان وأدميته .

وبما ان الانسان اجتماعي بالطبع؛ فانه بأمس الحاجة إلى مهارات اجتماعية وثقافة اجتماعية تعزز من مكانته في المجتمع .

ان حسن الخلق سوف يؤدي الدور الابرز في اجتذاب قلوب الناس بل انه يمثل محور الفضائل جميعاً، ذلك انها تفقد قيمتها أساساً ما لم تتجسد من خلال التعامل الأخلاقي الايجابي .

فأي قيمة مثلاً لهدية يقدمها الانسان المكفهر الوجه العابس الملامح ! بل ولعلّ المهدى إليه سوف يردّها، لأنه لا يشعر بالارتياح ما لم تمتزج معها ابتسامة تودد ومحبة .

وقد عرّف علماء الأخلاق حسن الخلق، بأنه حالة نفسية تجعل المرء انساناً طيباً يتعامل مع المحيطين به بلين الكلام ووجه بشوش .

وقد جاء في الحديث الشريف عن أهل البيت عليهم السلام :

تلين جناحك وتطيب كلامك وتلقى أخاك ببشر حسن^(٢).

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام :

وَعَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا رِفْعَةٌ وَإِيَّاكُمْ وَالْأَخْلَاقَ الدَّنِيَّةَ فَإِنَّهَا تَضَعُ

٢ . بحار الأنوار : ١٧١ / ٧١ .

١ . سورة الشمس (٩١) : ٧ - ٨ .

الشَّرِيفُ وَتَهْدِمُ الْمَجْدَ.^(١)

اذن هنا يكمن المجد الحقيقي للانسان وهنا أيضاً ينفتح أمامه المستقبل المشرق الخالد في الآخرة.

عذاب النفس

جاء في الروايات عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ.^(٢)

ذلك ان سييء الخلق سوف يزداد انزواء ويزداد غربة وسوف تتردد هذه المشاعر السلبية فتصيبه بالكآبة والحزن وحتى الشعور بالنقص حيث ينتابه احساس دائم بالمرارة.

جاء في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم:

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْعَدِكُمْ مِنِّي شَبَهاً قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْفَاحِشُ الْمُتَفَحِّشُ
الْبَذِيءُ الْبَخِيلُ الْمُخْتَالُ الْحَقُودُ الْحَسُودُ الْقَاسِي الْقَلْبُ الْبَعِيدُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ
يُرْجَى غَيْرُ الْمَأْمُونِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يَتَّقَى.^(٣)

ان سوء الخلق من العوامل الرئيسة في التفكك الاجتماعي.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ

١. بحار الأنوار: ٥٣/٧٥؛ تحف العقول: ٢١٥.

٢. الكافي: ٣٢١/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٨/١٦.

٣. الكافي: ٢٩١/٢.

الضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازُرُونَ وَلَا تَنَاصِحُونَ وَلَا تَبَاذِلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ.^(١)

ولهذا فان المجتمع المتماسك القوي والمتضامن هو المجتمع الذي انبرى أفراده إلى تصفية الباطن والتحلي بحسن الخلق وارتقى روحياً ونفسياً في أدب المعاشرة.

روى الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله الشريف :

طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَطَابَ كَسْبُهُ وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ.^(٢)

٧- الاستغراق في الشهوات

ان الاستغراق في الشهوات واللهاث وراء الغرائز وتلبية الرغبات والاستجابة للميول الهابطة الذي يدمر الحياة الروحية والأخلاقية للفرد والمجتمع . وينبغي ألا نسيء الفهم في الرسائل الالهية والأديان السماوية فأنها ما جاءت لكبت الرغبات وقمع الغرائز وانما لترشيدها ووضعها في المسار الصحيح والاستفادة منها في حركة الانسان التكاملية؛ تماماً كالسكين التي ينبغي استعمالها في المطبخ لا كأداة للاجرام وكذا الطاقة الذرية التي يجب توظيفها في انتاج الكهرباء لا في صنع أسلحة التدمير الشامل .

وقد اثبتت الدراسات التاريخية ان الاستغراق في الغرائز هو المرحلة الأخيرة في حياة المجتمعات والامم حيث تشهد سقوط الحضارة وتفسخ الحياة الاجتماعية وزوال مجد الامم؛ وهذا هو تاريخ اليونان والرومان وتاريخ الاسلام

١. نهج البلاغة: الخطبة ١١٢.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ١٢٣.

أرض المغرب (الاندلس) والمشرق يؤكد هذه الحقيقة.

سقوط الغرب

ان المجتمعات الغربية في امريكا واروبا تعيش حالة من السقوط الأخلاقي المريع، فانزلوا عاطفة الحب الطاهرة واختصروها في ممارسة الجنس على نحو شاذ.

ان معظم المجتمعات والامم (الغربية) حتى مطلع عصر النهضة كانت ضعيفة الارادة أمام التحكم بالغرائز والسيطرة عليها، وقد استشرت الجرائم الجنسية على نحو مريع وإن كانت تمارس في الخفاء بعيداً عن العيون.

ومنذ بدايات عصر النهضة كان علماء اليهود هم من يصلون ويجول في حلبة علم النفس والصحة النفسية وحلبة الاقتصاد والسوق وحلبة علم الاجتماع والدراسات الانسانية.

وظهرت نظريات (علمية) كانت تحث المجتمعات الغربية وتشجعها على الانفلات الغرائزي وتحطيم المنظومة الأخلاقية التي تركز إلى الديانة المسيحية. وهكذا فقدت كلمات مثل الشرف والعفة والنقاء والطهر معانيها وانقلبت المعايير. حتى أصبحت الفتاة العذراء أقل حظاً في فرص الزواج لأنها تفتقد الثقافة الجنسية!!!

فانحدر الانسان في الغرب إلى حضيض الحياة البهيمية الحيوانية والغرائزية. هذه نظريات السلوك في علم النفس تعلل كل شيء بالعقدة الجنسية التي تتحكم في حياته.

وذاك يحلل تاريخ البشرية فيقول: ان تاريخ الانسانية هو تاريخ البحث عن الطعام!!!

فانهار مجد الانسان لتختزل شخصيته بين البطن واسفل البطن وليصبح حيواناً يمشي على ساقين.

ولقد أصبحت المنظومة الأخلاقية لدى الغرب مجرد عراقيل تعيق حركة التطور وأصبحت الأخلاق تابعة للأوضاع الاقتصادية وأصبح الربح المادي هو الهدف الأول والأخير وكل شيء يجب أن يسخر من أجل ذلك.

ووفق هذا المنطق أصبحت المرأة حرة في كل ممارساتها وأصبحت سلعة رخيصة جداً في عالم السوق فتراجعت مكائنها الانسانية وتدنست منزلتها بشكل مخيف إلى أن أصبحت مادة للدعاية من أجل تسويق «الصابون».

وبسبب الفوضى في العلاقات الجنسية انتشرت أمراض من قبيل السفلس والزهري والسيلان وأخيراً مرض فقدان المناعة المكتسبة «الايدز» إلى جانب الأمراض النفسية والعصبية، التي تنذر بسقوط الحضارة الانسانية.

الغرب إلى أين ؟

يقول الكاتب الايراني «كاظم زاده ايرانشهر» الذي أمضى سنين طويلة من عمره في الغرب:

يخلص علماء الغرب الذين يذهبون إلى أنّ التطور المادي في العلوم (المادية) والاختراعات (بعيداً عن التربية الالهية) سوف يجر البلاء على البشرية ويقود الحضارة الغربية إلى الانحطاط وأدلتهم في ذلك ما يلي:

الأول: أنّ التقدم في انتاج المزيد من الآلات والمكائن أدى إلى انحسار

وزوال العديد من الحرف اليدوية خاصة الوسائل المنزلية، ما أدى إلى انتشار البطالة بشكل مخيف، حتى أن بعض هؤلاء الحرفيين يصوّر المكائن والآلات على أنها بلاء نازل ووسائل شيطانية تنزع من أفواه أطفالهم الخبز وتركهم يتضورون جوعاً.

ان البطالة خطر يهدد الحياة الاجتماعية بالسقوط في الغرب وسوف ينتقل هذا الخطر إلى الشرق عما قريب.

الثاني: ان هذا التقدم المادي وتزايد الاختراعات ضاعف من احتياجات الانسان حتى وصل إلى مستوى اضطره إلى العمل ليل نهار من أجل تأمين هذه الاحتياجات.

وبسبب صخب الحياة المادية والاحتياجات المادية التي تفرزها لا يجد الانسان فرصة للتفكير في حياته الروحية، فهو مستغرق في العمل من أجل تأمين الغذاء والكساء وغير ذلك من متطلبات الحياة.

الثالث: ان هذه الاختراعات أدت إلى تجمع الثروات الهائلة في أيدي الرأسماليين وهم يشكلون نسبة ضئيلة جداً قياساً بعامّة الشعب، وبالتالي تحول الملايين إلى عمال وأجراء وعبيد مسخرين، مقابل انقراض الحرف اليدوية في المنازل التي عادة ما يقوم بها الشيوخ والعجائز الأمر الذي اضطر الحكومات إلى انشاء المزيد من دار العجزة والمستشفيات والملاجئ لتأمين الحد الأدنى من وسائل العيش.

وقد أدى النظام الاقتصادي القائم في الغرب إلى أن يخسر العمال نعمة الحرية التي هي هبة الله للانسان.

فقد أصبح العامل عبداً للآلة^(١) ومرتزقاً يعيش على فئات المصانع الكبرى وتحول الانسان إلى مجرد آلة فهو عديم العاطفة بليد المشاعر وأحياناً يصبح قاسياً جداً ومتوحشاً إذا أصبح جزءاً من السلطة).

الرابع: أدى تجمع الثروات الهائلة في أيدي طبقة تتحكم بالاقتصاد وأحياناً بالسياسة إلى نشوء صراع بين شريحة العمال وحيث عمدوا إلى تشكيل النقابات والاتحادات لانتزاع حقوقهم المهضومة من رؤساء المصانع والشركات العملاقة، وقد نجم عن ذلك المزيد من السقوط الاخلاقي والتمزق الاجتماعي.

الخامس: أدى تزايد وتيرة الاختراعات إلى تزايد الاحتياجات وبسبب عجز العمال عن تأمين متطلبات العيش لأسرهم فقد اضطر البنون والبنات إلى العمل الأمر الذي أضعف عرى الأواصر العائلية وجفاف منابع الحنان وانطفأ شعلة الامومة المقدسة ونمو الأطفال بعيداً عن أحضان الامهات وهو نمو غير طبيعي كما تنمو الادغال في الغابة!

السادس: وقد أدى تنامي الاحتياجات إلى تفاقم أوضاع الاتحادات والنقابات واشتعال حمى المنافسات غير الشريفة وتزايد عصابات السطو والسرقة وتضاعف اعداد الشرطة واستشراء حمى الرشوة والكذب والتحايل على القانون والخيانة.

١. من يقرأ رواية «الساعة الخامسة والعشرون» للكاتب الروماني كونستاتين جورجيو (صدرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية فانه سيقف أمام هذه الحقيقة المروعة حيث استحال الانسان في الغرب إلى عبد ذليل للآلة، الا ان الكاتب لا ينسى أن يطلق نبوءته حول ظهور النور من آسيا ولكن ليس من روسيا لأن الروس انحنوا للآلة أيضاً - المترجم.

السابع: وبسبب خشية الحكومات من ظهور القلاقل والاضطرابات فإنها راحت تتساهل أمام انتشار المخدرات وانتشار الدعارة ودور البغاء وتزايد الملاهي وحانات الخمور لالهاء الشعب وفي المقابل ارهاق كاهل الشعب بالضرائب.

وأمام هذه الأوضاع وجد الشباب الاوربي وهو في بداية تفتحه على الحياة العقلية، نفسه في مهب العاصفة اذ سرعان ما يقع فريسة سهلة للادمان على المخدرات والانزلاق في مستنقعات الرذيلة.

الثامن: بما ان النفس الانسانية تنقاد إلى الأهواء بسهولة وتميل إلى الشهوات ببسر فان المجتمعات البشرية سرعان ما تجنح نحو الحالة الغرائزية فتشيع في داخلها مظاهر الانحلال الأخلاقي وتظهر فيها نزعات قوية نحو الاستغراق في مستنقع الرذيلة، فتعرض عن الدين والأخلاق بل تصل إلى نقطة تنقلب فيها المعايير فيصبح الدين والتعاليم الدينية والأخلاق من مظاهر التخلف والرجعية؛ ومظاهر الفساد والانحطاط الأخلاقي من مظاهر التقدم والمدنية.

التاسع: وينجم عن كل هذا التدهور والسقوط انحلال اجتماعي وانطفاء للقيم الانسانية والروحية والأخلاقية، ويعقبه انطفاء للمشعل السماوي المقدس أعني العقل، ويتحول الانسان إلى حيوان همه الأول والأخير اشباع غرائزه وتلبية رغباته واللهات وراء الأهواء الهابطة، التي تجرّ من وحل إلى وحل ومن مستنقع آسن إلى آخر.

العاشر: وهكذا تنقلب الحضارة الانسانية رأساً على عقب وتسمى الأشياء بغير مسمياتها، فالخداع يصبح ذكاءً وفطنةً والكذب والانتهازية والوصولية حنكة

سياسية، والرجل الناجح هو من يكون ثروته بأي وسيلة.

وتسلط الأضواء على جميع مظاهر السقوط الأخلاقي، ويصبح الساقطون نجوماً والحاكمون آلهة تعبد من دون الله، ويضيع الإنسان المفكر وينزوي العالم الرباني، ويمتلاً الفضاء بضجيج الغوغاء، ونقيق الضفادع ويغطي الصخب والضوضاء على ألحان السماء، وتندلع نيران الحروب والصراعات هنا وهناك وينطفئ خريز الجداول والسواقي تحت دوي المدافع وازيز الرصاص وهدير الطائرات المغيرة.

إن المكارم أخلاق مطهرة	فالدين أولها والعقل ثانيها
و العلم ثالثها والحلم رابعها	و الجود خامسها والفضل سادها
و البر سابعها والصبر ثامنها	و الشكر تاسعها واللين باقيها
و النفس تعلم أني لا أصادقها	و لست أرشد إلا حين أعصيا ^(١)

* * *

أرى حمرا ترعى وتعلف ما تهوى	و أسدا جيعا تظماً الدهر ما تروى
و أشراف قوم ما ينالون قوتهم	و قوما لثاماً تأكل المن والسلوى
قضاء لخلاق الخلائق سابق	و ليس على رد القضاء أحد تقوى
و من عرف الدهر الخئون وصرفه	تصبر للبلوى ولم يظهر الشكوى ^(٢)

الأهواء النفسية في الروايات

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

١. ديوان الامام علي عليه السلام: ٤٧٩. ٢. ديوان الامام علي عليه السلام: ٤٧٣.

إِنَّ طَاعَةَ النَّفْسِ وَمُتَابَعَةَ أَهْوِيَّتِهَا أَسُّ كُلِّ مِحْنَةٍ، وَرَأْسُ كُلِّ غَوَايَةٍ.^(١)

الْهَوَى، هَوَى إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ.^(٢)

الْهَوَى مَطِيَّةُ الْفِتَنِ.^(٣)

قَالَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيُّ سُلْطَانٍ أَغْلَبَ وَأَقْوَى؟ قَالَ:
الْهَوَى.^(٤)

الْهَوَى قَرِينٌ مُهْلِكٌ.^(٥)

الشَّهَوَاتُ سُمُومٌ قَاتِلَاتٌ.^(٦)

الشَّهَوَاتُ مَصَائِدُ الشَّيْطَانِ.^(٧)

أُحْجِرُوا الشَّهَوَاتِ فَإِنَّهَا تَقُودُكُمْ إِلَى رُكُوبِ الذُّنُوبِ وَالتَّهَجُّمِ عَلَى السَّيِّئَاتِ.^(٨)
أَوْصِيكُمْ بِمُجَانَبَةِ الْهَوَى فَإِنَّ الْهَوَى يَدْعُو إِلَى الْعَمَى، وَهُوَ الضَّلَالُ فِي الْآخِرَةِ
وَالدُّنْيَا.^(٩)

مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ أَغْمَاهُ وَأَصَمَّهُ، وَأَذَلَّهُ وَأَضَلَّهُ.^(١٠)

١. غرر الحكم: ٢٣٧؛ مستدرک الوسائل: ١٢/ ١١٤.

٢. مستدرک الوسائل: ١٢/ ١١٣؛ غرر الحكم: ٣٠٦.

٣. مستدرک الوسائل: ١٢/ ١١٣؛ غرر الحكم: ٣٠٦.

٤. من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٨١؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٩٤.

٥. غرر الحكم: ٣٠٦. ٦. غرر الحكم: ٣٠٤.

٧. غرر الحكم: ٣٠٤، حديث ٦٩٣٧؛ مستدرک الوسائل: ١١/ ٣٤٣.

٨. غرر الحكم: ٣٠٥؛ مستدرک الوسائل: ١١/ ٣٤٣.

٩. مستدرک الوسائل: ١٢/ ١١٣؛ دعائم الاسلام: ٢/ ٣٥٠.

١٠. غرر الحكم: ٦٥؛ مستدرک الوسائل: ١٢/ ١١٥.

رَأْسُ الدِّينِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى. (١)

مِلَاكُ الدِّينِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى. (٢)

رَدُّعُ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ. (٣)

إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ شَهْوَتَهُ، وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ بِصَلَاةٍ
آخِرَتِهِ. (٤)

٨ - التعصّب الأعمى

الاصرار على الباطل وعدم الاصغاء لمنطق العقل والدين، يقول الامام
السجاد عليه السلام في توضيح مفهوم التعصّب والعصبية:

الْعَصَبِيَّةُ الَّتِي يَأْتُمُّ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا أَنْ يَرَى الرَّجُلُ شِرَارَ قَوْمِهِ خَيْرًا مِنْ خِيَارِ
قَوْمٍ آخَرِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ
يُعِينَ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ. (٥)

هذه هي العصبية المقيتة عندما تقف لمساندة مخلوق ضد الخالق! انها تمثل
التمرد على الله عز وجل.

وقائع الحديبية

بالقرب من مدينة مكة المكرمة وفي السنة السادسة من الهجرة رفضت قريش

١. غرر الحكم: ٢٤١؛ مستدرک الوسائل: ١٢/ ١١٤.

٢. غرر الحكم: ٢٤١. ٣. غرر الحكم: ٢٤١.

٤. غرر الحكم: ٥٠. ٥. الكافي: ٢/ ٣٠٨؛ وسائل الشيعة: ١٥/ ٣٧٣.

الوثنية دخول النبي ﷺ والمسلمين الذين جاءوا لأداء مناسك الحج مكة المكرمة وسادت في المدينة أجواء من التعصب اندرت بوقوع الحرب اذ عصفت الحمية بالمشركين ورفضوا دخول النبي ﷺ مكة بأي ثمن كان!

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١)

جاء في التفسير:

«تتحدث الآية عن وقائع الحديبية حيث تشير أولاً إلى واحد من أهم العوامل التي تمنع الكفار من الايمان بالله ورسوله والتسليم للحق والعدالة. فقد رأوا أنه من العار أن يدخل النبي ﷺ والمسلمون وينحرون الهدى! فأى هيبة تبقى لنا عند العرب؟!»

فقادهم التعصب إلى مخالفة تقاليدهم في اعتبار مكة مدينة مفتوحة للجميع لأداء مناسك الحج والعمرة وزيارة البيت العتيق.

وفي المفاوضات رفضوا توقيع معاهدة السلام لأنها تبدأ بالبسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» وأصرّوا على أن تبدأ «باسمك اللهم».

وهكذا دفعتهم الحمية والتعصب إلى انتهاك حرمة بيت الله الحرام وهكذا هي آثار الحمية الجاهلية المقيتة.

والحمية في أصلها اللغوي من مادة حمي على وزن «حمد» ومعناها حرارة

١. سورة الفتح (٤٨): ٢٦.

الشمس أو النار التي تصيب جسم الانسان وما شاكله؛ ومن هنا سميت الحمى التي تصيب الانسان، ويقال للغضب والنخوة أو التعصب المقرون بالغضب حمية أيضاً.

وهذه الحالة السائدة في الامم هي بسبب الجهل وقصور الفكر والانحطاط الثقافي خاصة بين «الجاهليين» وكانت مدعاة لكثير من الحروب وسفك الدماء.

وفي مقابل هذه الحمية الجاهلية يأتي قوله تعالى:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

هذه السكينة التي هي وليدة الايمان والاعتقاد بالله تعالى والاعتماد على لطفه دعتهم إلى الاطمئنان وضبط النفس وأطفأت لهيب الغضب في نفوسهم حتى أنهم وافقوا ومن أجل تحقيق أهدافهم السامية على حذف «بسم الله الرحمن الرحيم» التي هي رمز الاسلام في الشروع بأية خطوة، وأن يثبتوا مكانها «باسمك اللهم» التي هي من موروثات العرب القديمة، وأيضاً وافقوا على حذف عبارة «رسول الله» التي تلي اسم النبي محمد ﷺ.

وكذلك وافقوا على العودة إلى المدينة المنورة مع حبهم وتوقعهم إلى زيارة البيت الحرام وأداء مناسك العمرة، فنحروا الهدى خلافاً للسنن في الحديبية وحلّوا احرامهم.

أجل لقد تحملوا مرارة الصبر وواجهوا المشكلات بهذه الروح ولو سمحوا للحمية والتعصب بالنفوذ إلى نفوسهم لاشتعلت الحرب وسالت الدماء في ذلك الوادي على مشارف مكة.

أجل ان الثقافة الجاهلية تدعو إلى «الحمية» و«التعصب»، أما الثقافة

الاسلامية فانها تدعو إلى «ضبط النفس» و«السكينة والطمأنينة».

يقول القرآن الكريم:

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.

وتعني «كلمة» «الروح» أي ان الله سبحانه وتعالى ألقى في نفوس النبي ﷺ والمؤمنين روح التقوى وجعلها ملازمة لهم وبديهي ألا يتوقع من حفنة عتاة وجهلة وعبداء أصنام سوى «الحمية الجاهلية» والأ يتوقع من المسلمين الموحدون الذين تربوا سنين طويلة في مدرسة الاسلام مثل هذا الخلق والطباع الجاهلية.

ان ما يتوقع منهم هو الطمأنينة والسكينة والوقار والتقوى ومع ان البعض من الصحابة الحادّي الطباع والمزاج حاول تفجير الأوضاع وافشال المساعي السلمية الا ان سكينة النبي ومن معه من الصحابة الأتقياء كانت بمثابة الماء الذي أطفأ نار التعصب الأعمى وفي ختام الآية يأتي قوله تعالى:

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

فهو سبحانه يعرف نوايا الكفار السيئة ويعرف طهر قلوب المؤمنين أيضاً، فينزل السكينة والسلام عليهم هنا ويترك أولئك في غيهم وحميتهم الجاهلية.

ان الله عز وجل يشمل كل قوم وأمة بما تستحقه من اللطف والرحمة أو الغضب والنقمة.

وان أفضل طريق لعلاج هذه الحالة المرضية الأخلاقية، هو من خلال تنمية الفكر والثقافة الانسانية وترسيخ الحالة الايمانية والحقيقة ان القرآن الكريم يقدم العلاج من خلال الآية الآتفة الذكر حيث يتحدث عن المؤمنين ذوي السكينة

والتقوى فحيث توجد التقوى فلا مكان لحمية الجاهلية والتعصب الأعمى وحيث توجد الحمية الجاهلية تغيب حالة التقوى والسكينة.^(١)

الغيرة في كلام النراقي

عندما تكون الحمية في طريق الحق وعندما يكون الغضب من أجل الله والدين فهي الغيرة، يقول المولى محمد مهدي النراقي عن الغيرة:

«هي السعي في محافظة ما يلزم محافظته وهي من نتائج الشجاعة وكبر النفس وقوتها، وهي شرائف الملكات وبها تتحقق الرجولية والفحلية، والفاقد لها غير معدود من الرجال.

قال رسول الله ﷺ:

إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَالْمُؤْمِنُ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ.^(٢)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيُورٌ وَيُحِبُّ الْغَيْرَةَ، وَلِغَيْرَتِهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا.^(٣)

ومقتضى الغيرة والحمية في الدين أن يجتهد في حفظه عن بدع المبتدعين وانتحال المبطلين، وقصاص المرتدين واهانة من يستخف به من المخالفين وردّ

١. تفسير الأمثل: ٤٨٣/١٦ - ٤٨٥.

٢. جامع السعادات: ٢٣٩/١؛ صحيح مسلم: ١٠١/٨؛ سنن الترمذي: ٣١٧/٢.

٣. الحقائق الناضرة: ١٥٢/٢٣؛ جامع السعادات: ٢٣٩/١؛ الكافي: ٥٣٥/٥.

كيد الجاحدين ويسعى في ترويجه ونشر أحكامه ويبالغ في تبیین حاله وحرامه ولا يتسامح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومقتضى الغيرة على الحريم ألا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها فيحفظهن عن أجانب الرجال ويمنعهن عن الدخول في الأسواق.

وأما مقتضى الغيرة على الأولاد أن تراقبهم من أول أمرهم فاستعمل في حضانه كل مولود له وارضاعه امرأة صالحة تأكل الحلال إذ أن الصبي الذي تتكون أعضاؤه من اللبن الحاصل من غذاء حرام يميل طبعه إلى الخبائث لأن طينته انعجنت من الخبث.

وأما الغيرة على المال، فلا تظن أنها ليست ممدوحة لسرعة فناء المال وعدم اعتناء الأخيار، إذ كل إنسان مادام في دار الدنيا محتاج إليه وتحصيل الآخرة أيضاً يتوقف عليه.

اذ كسب العلم والعمل موقوف على بقاء البدن وهو موقوف على بدل مما يتحلل عنه من الأغذية والأقوات.

فلابد لكل عاقل أن يعتني بالمال ويجتهد في حفظه وضبطه بعد تحصيله من المداخل الطيبة والمكاسب المحمودة.^(١)

[﴿٢﴾ وَمُتَابِعَةِ الْهَوَىٰ وَمُخَالَفَةِ الْهُدَىٰ وَسِنَةِ الْغَفْلَةِ وَتَعَاطِي الْكُلْفَةِ وَإِثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ]

٩ و ١٠ - اتباع الهوى ومخالفة الهوى

عندما يتخلق السالك إلى الله بالأخلاق الإلهية تحرر من أسر الأهواء النفسية وتجلت في أعماقه الحقيقة. أما إذا ترك الإنسان زمام نفسه لأهوائه تقوده حيث تشاء سهل على الشيطان قيادته، فيكون ظالماً لنفسه ويتخلق بالأخلاق الوحشية. ويشبه القرآن الكريم سيرة الظالمين بالحيوانات، كما نلاحظ ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)

وهذه هي حقيقة الظلم للنفس التي تسخر من الحق في كل الأحوال وهؤلاء

١. سورة الأعراف (٧): ١٧٦.

الذين يكذبون بآيات الله عز وجل إنما يظلمون أنفسهم ويجزونها إلى المصير الأسود.

«فان الله خلّى بينهم وبين أنفسهم بسبب أعمالهم السيئة فتاهو في وادي الضلالة فمن يهدي من أضل الله؟ والتعبير «ظلموا» مكان «أشركوا» إشارة إلى الشرك يعدّ من أعظم الظلم، فهو ظلم للخالق، إذا جعله مخلوقه إلى جانبه وأشركه معه (ونعرف ان الظلم أن تضع الشيء في غير موضعه).

وظلم للخلق؛ إذ منعوهم عن طريق الخير والسعادة «طريق التوحيد» وظلم لأنفسهم أطلقوا كلّ وجودهم وكيانهم للريح وظلّوا يتخططون في متاهات الضياع ومنعطفات غارقة في ظلمات حالكة.

قال رسول الله ﷺ :

كَفَّ أَذَاكَ عَنْ نَفْسِكَ وَلَاتَتَابِعْ هَوَاهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ إِذْ تُخَاصِمُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ وَيَسْتُرَ.^(١)

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له :

وَإِنَّ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى تَضُرُّهُ
الضَّلَالَةُ وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْيَقِينُ يَضُرُّهُ الشَّكُّ.^(٢)

وقد تصل الحيرة والشكوك بالانسان إلى الاستغراق في الحياة المادية فتراه منتشياً بلذائذها قد أسكرته الثروة والسلطة والنفوذ.

يقول الامام أمير المؤمنين يوصي أبناءه وأنصاره وهو في الحقيقة يوصي قوافل الأجيال.

١. مجموعة ورام: ٩٦/١.

٢. بحار الأنوار: ٢٩٥/٧٤؛ تحف العقول: ١٥٢.

وَأَوْصِيَكُمْ بِمُجَانَبَةِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْهَوَىٰ يَدْعُو إِلَى الْعَمَى، وَهُوَ الضَّلَالُ فِي
الْآخِرَةِ وَالْدُنْيَا... وَإِنَّ أَوَّلَ الْمَعَاصِي تَصْدِيقُ النَّفْسِ وَالرُّكُوءُ إِلَى الْهَوَى. (١)

ويقول صلوات الله عليه يقارن بين المتقين والفاستقين في صفاتهم:

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيَّ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ... فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ
دِينِهِ وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ،
يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ....

وَأَخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جِهَائِلَ مِنْ جُهَالٍ، وَأَضَالِيلَ مِنْ
ضَلَالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَكَاءَ مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وَقَوْلٍ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى
آرَائِهِ وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعِظَائِمِ. وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ
الْجَرَائِمِ، يَقُولُ: أَقِفْ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ. وَفِيهَا وَقَعَ وَيَقُولُ: اَعْتَزِلْ الْبِدْعَ، وَبَيْنَهَا
اضْطَجَعَ فَالْصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى
فَيَتَّبِعُهُ، وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ. فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ. (٢)

ولذا يحذر الحكماء من الأهواء النفسية لأنها تشكل خطراً على مصير الانسان
إذا تركت لحالها من دون ضبط وترشيد.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

احْذَرُوا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا تَحْذَرُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْدَى لِلرَّجَالِ مِنْ اتِّبَاعِ
أَهْوَائِهِمْ وَحَصَائِدِ السِّنِّتِهِمْ. (٣)

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

١. دعائم الإسلام: ٣٥٠/٢.

٣. الكافي: ٣٣٥/٢.

من أجل ذلك يستعيز الإنسان المؤمن بالله ويلوذ بحصنه من شرور الأهواء النفسانية هذه الأهواء التي تعمل لاغواء الإنسان.

يقول الامام السجاد عليه السلام في «المناجاة الانجيلية».

اللَّهُمَّ لَكَ قَلْبِي وَلِسَانِي وَبِكَ نَجَاتِي وَأَمَانِي وَأَنْتَ الْعَالَمُ بِسِرِّي وَإِعْلَانِي
فَأَمِتْ قَلْبِي عَنِ الْبَغْضَاءِ وَأَصْمِتْ لِسَانِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَأَخْلِصْ سِرِّي عَنِ
عَلَانِي الْأَهْوَاءِ وَاكْفِنِي بِأَمَانِكَ عَنْ عَوَائِقِ الضَّرَاءِ وَاجْعَلْ سِرِّي مَعْقُوداً عَلَى
مُرَاقَبَتِكَ وَإِعْلَانِي مُوَافِقاً لِبَطَاعَتِكَ وَهَبْ لِي جِسْماً رُوحَانِيّاً وَقَلْباً سَمَاقِيّاً
وَهِمَةً مُتَّصِلَةً بِكَ وَيَقِيناً صَادِقاً فِي حُبِّكَ وَالْهَمْنِي مِنْ مَحَامِدِكَ أَمْدَحُهَا وَهَبْ
لِي مِنْ فَوَائِدِكَ أَسْمَحُهَا إِنَّكَ وَلِيُّ الْحَمْدِ وَالْمُسْتَوَلِي عَلَى الْمَجْدِ يَا مَنْ لَا
يَنْقُصُ مَلَكُوتُهُ عِصْيَانُ الْمُتَمَرِّدِينَ وَلَا يَزِيدُ جَبَرُوتُهُ إِيمَانُ الْمُؤَحِّدِينَ.^(١)

وهكذا فان اتباع الأهواء يقود الإنسان إلى الشقاء الأبدي والجحيم السرمدي.

١١- نوم الغفلة

الإنسان مركب من جسم وروح وعقل وقلب وحالات معنوية ومادية،
فالجسم من أجل تمشية الشؤون المادية في عالم الدنيا والقلب والروح والعقل من
أجل سلوك الطريق نحو الملكوت وعالم الحقيقة والاتصال بالأنبياء والأوصياء
في يوم المعاد والقيامة.

ومن أجل أن يبلغ الإنسان درجة الرشد والكمال والحصول على الحالات
الالهية والربانية وتحوله إلى مصدر للخير عليه أن ينمي في وجوده هذه الحالات

من خلال الاستعانة بالهداية الإلهية وان إهمال النفس الذي هو نتيجة للاعراض عن نظام الخلق وربوبية رب العزة والنبوة والأنبياء والأوصياء يعني في الثقافة الدينية «نوم الغفلة».

والذين يعانون من نوم الغفلة هذا يكونون في مهب رياح البلاء والحوادث والذنوب يقاسون من حرمان الخيرات والفيوضات والبركات.

ولو عرف الانسان نفسه لتاقت روحه إلى الحياة الأبدية ولما رأى غيرها ولتطلع إليها بشوق وحب، وعندما نرى الانسان معرضاً عنها فلا أنه يجهل نفسه ولا يعرف عن حقيقتها شيئاً؛ قد استغرق في لذائذ الدنيا الزائلة.

وكلما استغرق الانسان في اللذائذ الحسية فانه يستغرق في نوم الغفلة، وسها عن مبدأ الخلق وعن المعاد أي تستمر غفلته عن مبدأ وجوده وعن مصيره وعودته إلى النقطة التي جاء منها.

ويشير القرآن الكريم إلى السرّ الكامن وراء غفلة الانسان عن المبدأ وهي غفلة الانسان عن نفسه و«نسيان النفس» وعندما ينسى الانسان نفسه ينسى الله فنسى نتيجة ذلك القيامة والمعاد يوم الجزاء.

قال تعالى في آيات الختام من سورة يس:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(١)

ولو رأى نفسه، لا انه يفهمها، بل لو شاهدها بالعلم الحضوري لرأى ذاته عين الارتباط بالله وهي حتماً مرتبطة به سبحانه وبمقدار شهودها تصبح مشهودة لديه.

ولو ان الانسان رأى نفسه فسوف يرى ربه بعين اليقين وبصيرة القلب لأنه يرى نفسه ونفسه حقيقة هي عين الارتباط بالله سبحانه، فاذن يرى ربه أيضاً، لكن ليس ببصره الحسي لأنه سبحانه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(١). بل يراه بحقائق الايمان وبصيرة الروح كما عبر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وهذه المعرفة الفطرية هي نفسها المعرفة الحضورية والشهودية.

وعليه لو ان الانسان رأى نفسه لرأى ربه ورأى قيامته أيضاً لأنه نفسه مرتبط منذ مبدأ الخلق بمبدأ الغاية وأيضاً متعلق بمبدأ الغاية، فهو مرتبط بـ «هو الأول» ومرتبط بـ «هو الآخر»، فكيف يمكن للمرء أن يرى نفسه ولا يرى ربه الذي «هو الأول» وهو المبدأ، وكيف يمكن أن يرى نفسه ولا يرى ربه الذي «هو الآخر» وهو المعاد.^(٢)

وعليه تتضح أكثر الآثار المدمرة لنوم الغفلة الذي هو منشأ انفصال الانسان عن الحق وسقوطه في مستنقع الرذيلة.

الغفلة في الروايات

جاء في الحديث الشريف عن الامام علي عليه السلام قوله:

الْغَفْلَةُ أَضَرُّ الْأَعْدَاءِ.^(٣)

الْغَفْلَةُ ضَلَالُ النَّفْسِ وَعِنَانُ النَّحْوِسِ.^(٤)

١. سورة الأنعام (٦): ١٠٣.

٢. التفسير الموضوعي، جوادى آملي: ١٩٦/٥.

٣. غرر الحكم: ٢٦٥.

٤. غرر الحكم: ٢٦٥.

الْغَفْلَةُ تَكْسِبُ الْإِغْتِرَارَ، وَتُذْنِي مِنَ الْبَوَارِ.^(١)

وَيْلٌ لِمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ، فَنَسِيَ الرَّحْلَةَ وَلَمْ يَسْتَعِدَّ.^(٢)

إِخْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ، وَقَلَّةَ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.^(٣)

أَلَا مُسْتَيَقِظٌ مِنْ غَفْلَتِهِ قَبْلَ نَفَادِ مُدَّتِهِ؟^(٤)

مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ، وَنُسَاكاً بِلَا صَلَاحٍ، وَتَجَاراً

بِلَا أَرْبَاحٍ، وَأَيْقَاضاً نَوْمًا، وَشُهُوداً غُيْبًا.^(٥)

و أفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

يعيش الفتى في الناس بالعقل إنه على العقل يجري علمه وتجاربه

يزين الفتى في الناس صحة عقله وإن كان محظورا عليه مكاسبه

يشين الفتى في الناس قلة عقله وإن كرمته أعراقه ومناصبه^(٦)

١٢- التكلّف

الثقافة الالهية تتصادم بشدة مع التكلّف، وعلى الانسان أن لا يشقى بالعبادة بحيث يترك الدنيا ويدير ظهره للحياة؛ أجل ان الاسلام يرفض أن يترك الانسان دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه.

١. غرر الحكم: ٢٦٦. ٢. غرر الحكم: ١٤٦.

٣. نهج البلاغة: الكتاب ٦٩؛ غرر الحكم: ٢٦٦.

٤. غرر الحكم: ١٤٦.

٥. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٧؛ بحار الأنوار: ٢٤٠/٣٤.

٦. ديوان الامام علي عليه السلام: ٦٦.

والاعتدال في انتهاج الطريق المتوازن، بحيث تصبح الحياة الدنيا طريقاً
للاخرة وتكون الدنيا مزرعة للاخرة فالتكلف أمر سلبي يتناقض مع جوهر الدين
ومقاصد الرسالات الالهية.

يقول الامام الباقر (عليه السلام):

إِنَّ اللَّهَ بَرَأَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثَلَاثٍ: أَنْ يَتَقَوَّلَ عَلَى اللَّهِ، أَوْ يَنْطِقَ عَنْ هَوَاهُ، أَوْ
يَتَكَلَّفَ. (١)

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ بُرَاءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ. (٢)

وجاء في الدعاء المأثور:

وَارْحَمْنِي أَنْ أَتَكَلَّفَ مَا لَا يَغْنِينِي. (٣)

ويقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام):

إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا،
وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدْعَهَا نِسْيَاناً فَلَا
تَتَكَلَّفُوهَا. (٤)

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

لَا تُكْرِهُوا إِلَى أَنْفُسِكُمُ الْعِبَادَةَ. (٥)

١. بحار الأنوار: ١٧٨/٢؛ المحاسن: ٢٧١/١.

٢. بحار الأنوار: ٣٩٤/٧٠؛ مصباح الشريعة: ١٤٠.

٣. مستدرک الوسائل: ٣٨٦/٤؛ بحار الأنوار: ٢٨٩/٨٦؛ مصباح المتهجد: ٢٦٤.

٤. نهج البلاغة: الحكمة ١٠٥؛ بحار الأنوار: ٢٦٠/٢.

٥. الكافي: ٨٦/٢؛ وسائل الشيعة: ١٠٨/١.

وقال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام:

يَا عَلِيُّ، إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ وَلَا تُبْغِضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ.^(١)

فلا يجوز للانسان المسلم أن يتكلف هذا في أمور الدنيا فكيف بأمور الدنيا؟!

١٣- ترجيح الحق على الباطل

خلق الله عز وجل الانسان وأودع فيه القدرة على الاختيار والحرية في انتخاب أحد طريقين، طريق التكامل والرقى الأخلاقي والسمو إلى درجة أعلى من الملائكة وطريق التسافل والانحدار إلى حضيض الحيوانية وإلى ما دون ذلك! فمن يصغي لصوت العقل ونداء الرسالات الالهية فانه يسمو من خلال السير على خطى الأنبياء نحو الأفق المشرق. أمّا الذي يستجيب لصوت الغرائز والأهواء فانه سيتبع خطوات الشيطان الذي سيقوده نحو هاوية تتكاثر فيها الظلمات.

و من يذق الدنيا فإني طعمتها	و سيق إلينا عذبا وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا	كما لاح في أرض الفلاة سرابها
و ما هي إلا جيفة مستحيلة	عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها	وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الأمور فإنها	حرام على نفس التقى ارتكابها
و لا تمشين في منكب الأرض فاخرا	فعما قليل يحتويك ترابها
فطوبى لنفس أوطنت قعر دارها	مغلقة الأبواب مرخا حجابها ^(٢)

١. الكافي: ٨٧/٢؛ وسائل الشيعة: ١١٠/١.

٢. ديوان الامام علي عليه السلام: ٨٦.

[وَالْإِصْرَارِ عَلَى الْمَأْثَمِ وَاسْتِصْغَارِ الْمُعْصِيَةِ وَاسْتِكْبَارِ الطَّاعَةِ]

١٤- الإصرار على الاثم

المعصية وارتكاب الذنب يعني التمرد على التعاليم الإلهية والشرائع الدينية والرسالات التي جاء بها الأنبياء.

والذنوب نار يشعلها الانسان بيديه ويحرق بها وجوده وكيانه ويدمر بها مستقبله في العالم الآخر.

والمعاصي غدة سرطانية خبيثة تستشري في جسم الانسان وروحه وتطيح بكرامة وتسلبه عن آدميته وانسانيته فيتحول إلى ما هو أدنى من الحيوان.

وقد حذر الأنبياء والرسل والأوصياء الناس من الاستغراق في المعاصي والذنوب.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١)

والتماذي في الباطل والتماذي في ارتكاب الذنوب يفضي بالانسان إلى الضياع والنيه والضلال.

١. سورة الأنعام (٦): ١٤١.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾. (١)

ان الاستغراق في وحل الخطيئة ومستنقع الآثام سوف يؤدي بالانسان إلى الغرق والانحطاط إلى قعر الجحيم.

﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (٢)

وقد يزل الانسان ويكبو وقد يغفل وينسى ويسهو ولكنه سرعان ما ينهض وسرعان ما يصحو وينتبه، وسرعان ما يشعر بالندم فيعود إلى جادة الصواب وطريق الرشاد ويستغفر ربه ويتوب ويعود إلى ذاته وينيب.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. (٣)

ذنوبي إن فكرت فيها كثيرة	ورحمة ربي من ذنوبي أوسع
فما طمعي في صالح قد عملته	ولكنني في رحمة الله أطمع
فإن يك غفران فذاك برحمة	وإن تكن الأخرى فما كنت أصنع
مليكي ومعبودي وربّي وحافظي	وإنني له عبد أقر وأخضع ^(٤)

١٥- استصغار الذنوب

الذنوب منها ما هو صغير ومنها ما هو كبير، والمعاصي صغائر وكبائر، غير ان

١. سورة غافر (٤٠): ٢٨. ٢. سورة البقرة (٢): ٨١. ٣. سورة آل عمران (٣)، ١٣٥ - ١٣٦. ٤. ديوان الامام علي عليه السلام: ٢٦٢.

بعض الباحثين يرى أنه حتى الذنوب الصغيرة هي في الواقع كبيرة لأن المعصية معصية ولا معنى لصغرها وكبرها لأن ذلك تمرد على أمر الله وتجاوز على نهيه.

ولذلك ينهى القرآن الكريم الإنسان عن العصيان في كل أشكاله:

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾^(١).

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾^(٢).

ويقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

اجْتَنَابُ السَّيِّئَاتِ أَوْلَى مِنْ اكْتِسَابِ الْحَسَنَاتِ^(٣).

ويقول عليه السلام أيضاً:

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَحْتَمُونَ الطَّعَامَ مَخَافَةَ الْأَذَى، كَيْفَ لَا يَحْتَمُونَ الذُّنُوبَ مَخَافَةَ

النَّارِ^(٤).

وقال رسول الله ﷺ في وصايا لعبد الله بن مسعود:

إِحْذَرْ سُكْرَ الْخَطِيئَةِ، فَإِنَّ لِلْخَطِيئَةِ سُكْرًا كَسُكْرِ الشَّرَابِ بَلْ هِيَ أَشَدُّ سُكْرًا

مِنْهُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿صُمُّكُمْ عَنْكُمْ فَهُمْ لَا يَرِجْعُونَ﴾^(٥).^(٦)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

-
١. سورة الأنعام (٦): ١٢٠.
 ٢. سورة الأنعام (٦): ١٥١.
 ٣. غرر الحكم: ١٨٥.
 ٤. بحار الأنوار: ٤١/٧٥؛ تحف العقول: ٢٠٤.
 ٥. سورة البقرة (٢): ١٨.
 ٦. بحار الأنوار: ١٠٤/٧٤؛ مكارم الأخلاق: ٤٥٣.

الذُّنُوبُ الدَّاءُ، وَالِدَوَاءُ الْإِسْتِغْفَارُ، وَالشِّفَاءُ أَنْ لَا تَعُودَ.^(١)

فكل الذنوب تفتك في روح الانسان، وأشدّها خطراً تلك التي يستصغرها الانسان وتصبح لديه مسألة عادية.

يقول الامام الباقر عليه السلام:

الذُّنُوبُ كُلُّهَا شَدِيدَةٌ، وَأَشَدُّهَا مَا نَبَتَ عَلَيْهِ اللَّحْمُ وَالْدَّمُ.^(٢)

ويقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ذَنْبٌ صَغُرَ عِنْدَ صَاحِبِهِ.^(٣)

وقال عليه السلام أيضاً:

أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَحَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ.^(٤)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ أَنْ يَطْلُبَ إِلَيْهِ فِي الْجُرْمِ الْعَظِيمِ، وَيُبْغِضُ الْعَبْدَ أَنْ

يَسْتَحَفَّ بِالْجُرْمِ الْيَسِيرِ.^(٥)

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وآله:

لَا تُحَقِّرَنَّ ذَنْباً وَلَا تُصَغِّرَنَّه، وَاجْتَنِبِ الْكِبَائِرَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَظَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِلَى ذُنُوبِهِ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ قَيْحاً وَدَمًا.^(٦)

١. غرر الحكم: ١٩٤؛ عيون الحكم والمواعظ: ٥٦.

٢. الكافي: ٢/٢٧٠؛ بحار الأنوار: ٣١٧/٧٠.

٣. غرر الحكم: ١٨٧؛ مستدرک الوسائل: ٣٤٩/١١.

٤. نهج البلاغة: الحكمة ٤٧٧؛ وسائل الشيعة: ٣١٢/١٥.

٥. بحار الأنوار: ٣٥٩/٧٠؛ الكافي: ٤٢٧/٢.

٦. بحار الأنوار: ١٠٣/٧٤؛ مستدرک الوسائل: ٣٥٠/١١؛ مكارم الأخلاق: ٤٥٢.

وقال ﷺ:

إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ صَخْرَةٍ يَخَافُ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ لَيَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ ذُبَابٌ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ. ^(١)

وقال السيد المسيح للحواريين:

إِنَّ صِغَارَ الذُّنُوبِ وَمُحَقَّرَاتِهَا مِنْ مَكَائِدِ إِبْلِيسَ، يُحَقِّرُهَا لَكُمْ وَيُصَغِّرُهَا فِي أَعْيُنِكُمْ فَتَجْتَمِعُ وَتَكْثُرُ فَتَحِيطُ بِكُمْ. ^(٢)

وقال الامام الرضا عليه السلام:

الصَّغَائِرُ مِنَ الذُّنُوبِ طُرُقٌ إِلَى الْكِبَائِرِ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ فِي الْقَلِيلِ لَمْ يَخَفْهُ فِي الْكَثِيرِ. ^(٣)

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

أَشَدُّ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ذَنْبُ اسْتِهَانٍ بِهِ رَاكِبُهُ. ^(٤)

١٦- الاستكبار على الطاعات

ان مصلحة الانسان في الدنيا والآخرة توجب عليه طاعة الله تبارك وتعالى.

وان الله عز وجل لا يكلف الانسان فوق طاقته.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. ^(٥)

١. بحار الأنوار: ٧٩/٧٤؛ مستدرک الوسائل: ٣٢٩/١١؛ الأملی، الشيخ الطوسي: ٥٢٧.

٢. بحار الأنوار: ٣٠٧/٧٥؛ مستدرک الوسائل: ٣٥٠/١١؛ تحف العقول: ٣٩٢.

٣. بحار الأنوار: ٣٥٣/٧٠؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٨٠/٢.

٤. غرر الحكم: ١٨٧؛ مستدرک الوسائل: ٣٤٩/١١.

٥. سورة البقرة (٢): ٢٨٦.

والشريعة الالهية شريعة سمحاء تنسجم مع فطرة الانسان وتكوينه النفسي،
ولذا فان التعاليم الالهية تنسجم مع طبيعة الانسان وما جبل عليه من نزعة الخير
وحبه للعدالة ويحثه عن طريق الرقي الأخلاقي .

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١)

ان الدين يضمن للانسان خير الدنيا والآخرة ويحقق له السعادة المنشودة
ويحفظ حقوق الفرد والأسرة والمجتمع .

ولهذا تدعو التعاليم الدينية الانسان إلى التسامي عن الحالة الحيوانية والارتقاء
بالنفس إلى عالم أرحب يمكنه أن يحقق له الكمال المنشود .

ومن أجل ذلك ترى الانسان العاقل يصبر على طاعة الله في الدنيا لأنه يدرك
زوالها وفناءها ثم يعقبه بعد ذلك سعادة خالدة في ظلال الرحمة الالهية .

أما هؤلاء الذين يبيعون آخرتهم بالدنيا ويخذلون الحق مساندين الباطل
ويرتضون حياة الظلام معرضين عن النور، سوف يفضي بهم ذلك إلى الحرمان من
الفيض الالهي وسيكون مصيرهم إلى أسفل درجات الجحيم .

أما الذين آمنوا بأن طاعة الله عز وجل أحلى من الشهد فان الله سبحانه يقول
بشأنهم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا مِنْهَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)

٢ . سورة يونس (١٠) : ٩ - ١٠ .

١ . سورة الحج (٢٢) : ٧٨ .

كما ان الاعراض عن الطاعة والعبادة لله يفضي إلى اصابة الانسان بمرض الاستكبار الذي يدمر حياة الانسان الروحية.

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(١).

وبعكس ذلك عندما يشعر الانسان بالذنب ويقوده هذا الشعور إلى الندم، فانه سوف يؤهله لأن يكون من أهل التجاء يوم القيامة.

إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلها	فها أنا في روض الندامة أرتع
إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي	وأنت مناجاتي الخفية تسمع
إلهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ	فؤادي فلي في سيب جودك مطمع
إلهي أجرنى من عذابك إنني	أسير ذليل خائف لك أخضع
إلهي فآنسني بتلقين حجتي	إذا كان لي في القبر مثوى ومضجع ^(٢)

١. سورة البقرة (٢): ٤٥.

٢. ديوان الامام علي عليه السلام: ٢٦٥.

[﴿٣﴾ وَمُبَاهَاةِ الْمُكْثَرِينَ وَالْأَزْرَاءِ بِالْمُقَلِّينَ وَسُوءِ الْوَلَايَةِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِينَا وَتَرْكِ الشُّكْرِ لِمَنْ اضْطَنَّعَ الْعَارِفَةُ عِنْدَنَا.

[﴿٤﴾ أَوْ أَنْ نَغْضُدَ ظَالِمًا أَوْ نَخْذُلَ مَلْهُوفًا أَوْ نَرْوِمَ مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ أَوْ نَقُولَ فِي الْعِلْمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ].

١٧ و ١٨ - مباهاة الأثرياء وازدراء الفقراء

ان التباهي بالثروة والغنى والتفنن في استعراض هذه الثروة أمام الآخرين وازدراء الفقراء والبؤساء لهو من أسوأ مظاهر السلوك الذي يسليخ الانسان عن آدميته وهذا التصرف الشائن يدل على سكر الانسان بالثروة ويقوده إلى حالة الطغيان التي تبدأ بازدراء الفقراء ، فيرى نفسه أعلى مرتبة منهم ، ينظر إليهم باحقار ويعاملهم بقسوة ومعظم هؤلاء الناس المرضى بهذا المرض الخطير كانت أيديهم خالية ثم حصلوا على الثروة فأسكرتهم وأفقدتهم توازنهم وهم عما قريب سوف يغادرون الدنيا بأيدي فارغة ، فالأكفان ليس فيها جيوب كما تقول الأمثال !

وسوف تنقلب ثرواتهم إلى نار تكوى بها جباههم وظهورهم :

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ

وَجُؤِبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنَزْتُمْ لِنَفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ^(١).
فهذه الدنيا كلها مجرد ظلال وسراب وخيال لأن كل ما فيها يسير نحو الفناء والزوال.

والذي يعي أسرار الحياة يتطلع إلى عالم آخر عالم مفعم بالسعادة الأبدية والنعيم الخالد الذي لا يعرف الزوال.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾^(٢).

كنوز قارون

كان قارون من قوم موسى أي من بني إسرائيل وكان ثرياً جداً وقد دفعه الثراء إلى الطغيان لأنه كان ضعيف الإيمان.

وقد وصف القرآن ثراءه العريض في قوله تعالى:

﴿وَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾.

فبنى القصور المنيفة والتي تحيطها الحدائق الغناء وملاها بالخدم الذين يعملون في خدمته وقد أفسده الثروة فكان دائم اللهاة وراء غرائزه وأهوائه، وكان المال والثراء الهه الذي يعبده من دون الله.

وقد حاول البعض من المؤمنين تقديم النصيحة إليه:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ

١. سورة التوبة (٩): ٣٤ - ٣٥.

٢. سورة الشورى (٤٢): ٢٠.

الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴿١﴾.

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن المال والثروة ليس أمر سيئاً وقد يكون سبباً في النجاة يوم القيامة ودخول الجنة، ذلك أن الأمر يتوقف على سيرة الانسان وكيفية تصرفه بالمال.

لقد كان بإمكان قارون أن يستخدم الثروة استخداماً ايجابياً فتصبح سلماً لرفيه الأخلاقي، ولكن الثروة زادت حرساً وبخلاً وطغياناً وبغياً على قومه. ولقد كان بإمكانه أن يتنعم مادياً ودينوياً بثروته بالقدر المعقول.

﴿وَلَا تَنَسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾. (٢)

والانسان ينظر إلى الدنيا فان تعمق في نظره عرف سرّها وانها ظلال سرعان ما تنحسر وتزول وانها دار امتحان واختبار؛ حينئذ يكون قد اعتبر ممّا يجري فيها من حوادث، فالموت قدر حتم لكل انسان.

أجل ان «من أبصر بها بصّره ومن أبصر إليها عمته».

ان الذين ينظرون إلى بهارج الدنيا وبريقها سوف يصابون بالعمى الروحي والقلبي.

غير ان قارون قد أسكرته الثروة وكونت له مركزاً اجتماعياً ونفوذاً. لذلك كان يتفنن في استعراض ثروته وكنوزه من ارتداء الثياب الفاخرة المزركشة بخيوط الذهب، ومن مراكبه وقد حفّه رجاله في موكب مهيب.

٢. سورة القصص (٢٨) : ٧٥.

١. سورة القصص (٢٨) : ٧٤ - ٧٥.

وكان بعض الفقراء وهم ينظرون إليه يتحسرون ويطلقون الآهات ويتمنون
الأمنيات!

﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. (١)

فيردّ عليهم ذوو الحكمة والعلم:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾. (٢)

وتمادى قارون في طغيانه وغطرسته، ولم تنفع معه مواعظ نبي الله موسى عليه السلام،
بل أنه راح يتأمر على النبي ويكيد له!
هنالك دعا موسى عليه السلام ربه أن ينزل غضبه على قارون واستجاب الله دعاءه.
فقد اهتزت الأرض تحت قصره وحدث الخسف وابتلعت مع قصره الكبير
وكنوزه الضخمة.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾. (٣)

وأصبح عبرة للآخرين، وإذا بأولئك الذين كانوا يتمنون أن يصبحوا مثله
يقولون ان الرزق بيد الله ولقد رحمنا الله اذ لم يختبرنا بما اختبر به قارون ولأصبح
مصيرنا مثل مصيره الرهيب.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُّ اللَّهُ يُمْسِطُ الرِّزْقَ

٢. سورة القصص (٢٨): ٨٠.

١. سورة القصص (٢٨): ٧٩.

٣. سورة القصص (٢٨): ٨١.

لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنًا وَيُكَانَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾.

١٩- إساءة التعامل مع المرووسين

تؤكد ثقافة الاسلام السامية على الاحسان في التعامل مع الأشخاص الذين يعملون في الدوائر والمؤسسات قرب العمل ملزم أخلاقياً ودينياً أن يتعامل بلطف ومحبة مع العمال، ورئيس القسم موظف بأن يتعامل بأخلاقية عالية مع مرووسيه. يقول القرآن الكريم:

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. (٢)

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾. (٣)

وجاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام يصف الأئمة من أهل البيت عليه السلام:

وَدِينُهُمُ الْوَرَعُ وَالْعِفَّةُ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَحُسْنُ الصُّحْبَةِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ. (٤)

ويقول الامام الباقر عليه السلام:

أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ: مَنْ آوَى الْيَتِيمَ، وَرَحِمَ الضَّعِيفَ، وَأَشْفَقَ عَلَى الْوَلَدِ، وَرَفَقَ بِمَمْلُوكِهِ. (٥)

١. سورة القصص (٢٨): ٨٠. ٢. سورة البقرة (٢): ١٩٥.

٣. سورة النحل (١٦): ٩٠.

٤. بحار الأنوار: ١٥٨/٧١؛ مستدرک الوسائل: ٣١٥/٨.

٥. بحار الأنوار: ١٤٠/٧١؛ وسائل الشيعة: ٣٣٨/١٦.

وقال الامام الصادق عليه السلام:

مَنْ أَرَادَ أَنْ يُدْخِلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي رَحْمَتِهِ وَيُسْكِنَهُ جَنَّتَهُ، فَلْيُحْسِنْ خُلُقَهُ
وَلْيُعْطِ النِّصْفَةَ مِنْ نَفْسِهِ، وَلْيَرْحَمْ الْيَتِيمَ، وَلْيُعِنِ الضَّعِيفَ، وَلْيَتَوَاضَعَ لِلَّهِ
الَّذِي خَلَقَهُ. ^(١)

قدم لنفسك في الحياة تزودا	فغدا تفارقها وأنت مودع
و اهتم للسفر القريب فإنه	أنأى من السفر البعيد وأشجع
و اجعل تزودك المخافة والتقوى	و كان حتفك من مسائك أسرع
و اقنع بقوتك فالقناع هو الغنى	و الفقر مقرون بمن لا يقنع
و احذر مصاحبة اللئام فإنهم	منعوك صفو ودادهم وتصنعوا ^(٢)

٢٠- مقابلة الاحسان بالاساءة

لقد أودع الله سبحانه في تكوين البشر حب المحسن إذ جعلهم يحبون من أحسن إليهم، وقد أكدت التعاليم الاسلامية على مقابلة الاحسان بالاحسان، فهذا واجب ديني وأخلاقي ويحتمه الوجدان والدين ويحث الاسلام على رد الاحسان باحسان أكثر كما هي تحية الاسلام.

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾. ^(٣)

وقد أكدت الأحاديث الشريفة على ذلك، يقول الامام الرضا عليه السلام:

١. بحار الأنوار: ٦٦ / ٣٧٠؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٨٩.

٢. ديوان الامام علي عليه السلام: ٢٧١. ٣. سورة النساء (٤): ٨٦.

مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْمُنْعَمَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. (١)

وجاء في الروايات ان الله عزوجل يخاطب عبده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول العبد: الهي شكرتك، فيأتيه الخطاب من الله: انك لم تشكره فلم تشكرني. (٢)

ومن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، ويؤكد القرآن الكريم على الاحسان والشكر للآخرين.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾. (٣)

لا تبدئن بمنطق في محفل	قبل السؤال فإن ذاك يشنع
فالصمت يحسن كل ظن بالفتى	ولعله خرق سفيه أرقع
ودع المزاح قرب لفظة مازح	جلبت إليك بلايل لا تدفع
وحفاظ جارك لا تضعه فإنه	لا يبلغ الشرف الجسم مضيع
والضيف أكرمه تجده مخبرا	عمن يجود ومن يضمن ويمنع
وإذا استقالك ذو الإساءة عثرة	فأقله إن ثواب ربك أوسع
لا تجزعن من الحوادث إنما	خرق الرجال على الحوادث يجزع
وأطع أباك بكل ما وصى به	إن المطيع أباه لا يتضع

١. بحار الأنوار: ٤٤/٦٨؛ وسائل الشيعة: ٣١٣/١٦.

٢. الكافي: ٩٩/٢؛ وسائل الشيعة: ٣١٠/١٦.

٣. سورة لقمان (٣١): ١٤.

٢١ و٢٢ - مساندة الظالمين واضطهاد المظلومين

ان العقل والشرع يحكمان بحرمة مساندة الظلم واستضعاف المظلوم ومن هنا فان القرآن الكريم يندد بكل اشكال المساندة للظالمين، وينعى على الذين يعاضدونهم في استضعاف واضطهاد المظلومين بل ان الذين يرضون بالظالم ويرضون بالظلم يتعرضون لعقاب الله، فالظلم بكل اشكاله سواء كان سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً فهو مرفوض في الشريعة رفضاً باتاً.

الظالمون في القرآن الكريم

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. (١)

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. (٢)

﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾. (٣)

وقيل لأحد العلماء: ان فلاناً يعمل في ديوان (السلطان الظالم) ينظم سجلاته فقط من ضرائب والنفقات وتنظيم شؤونه المالية فقط! ويتقاضى راتبه من هذه

٢. سورة هود (١١): ٥٩ - ٦٠.

١. سورة الأنعام (٦): ٦٨.

٣. سورة هود (١١): ١١٣.

الوظيفة (المدنية) التي لا علاقة لها بأجهزة القمع.

فقال العالم: ألم يقرأ ما قاله موسى بن عمران في سورة القصص؟!

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(١).

الظالمون في الروايات

جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

مَنْ دَلَّ جَائِراً عَلَى جَوْرِ كَانَ قَرِيناً هَامَانٌ فِي جَهَنَّمَ. وَقَالَ مَنْ تَوَلَّى خُصُومَةَ ظَالِمٍ أَوْ أَعَانَ عَلَيْهِهَا ثُمَّ نَزَلَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ قَالَ لَهُ: أَبَشِّرْ بِلَعْنَةِ اللَّهِ وَنَارِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. وَقَالَ: أَلَا وَمَنْ عَلَّقَ سَوْطاً بَيْنَ يَدَيِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ السَّوْطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُغْبَانَا مِنَ النَّارِ طَوْلُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعاً يُسَلِّطُ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. وَنَهَى ﷺ عَنْ إِجَابَةِ الْفَاسِقِينَ إِلَى طَعَامِهِمْ.^(٢)

وقال عيسى عليه السلام لبني إسرائيل:

لَا تُعِينُوا الظَّالِمَ عَلَى ظُلْمِهِ فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ.^(٣)

وروى الامام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ قوله الشريف:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّنَ الظَّالِمَةِ وَأَعْوَانُهُمْ؟ مَنْ لَاقَ لَهُمْ دَوَاءً، أَوْ رَبطَ لَهُمْ كَيْساً أَوْ مَدَّ لَهُمْ مِدَّةَ قَلَمٍ فَاحْشُرُوهُمْ مَعَهُمْ.^(٤)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

١. سورة القصص (٢٨): ١٧. ٢. بحار الأنوار: ٣٦٩/٧٢.

٣. بحار الأنوار: ٣٧٠/٧٢؛ مستدرک الوسائل: ١٢٦/١٣.

٤. بحار الأنوار: ٣٧٢/٧٢؛ مستدرک الوسائل: ١٢٧/١٣.

مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا عَلَى مَظْلُومٍ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ سَاحِطًا حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ
مَعُونَتَهُ. (١)

وقال رسول الله ﷺ:

مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ. (٢)

وقال ﷺ أيضاً:

شَرُّ النَّاسِ الْمُتَلَتِّ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمُتَلَتُّ؟ قَالَ: الَّذِي يَسْعَى بِأَخِيهِ إِلَى
السُّلْطَانِ فَيُهْلِكُ نَفْسَهُ، وَيُهْلِكُ أَخَاهُ، وَيُهْلِكُ السُّلْطَانَ. (٣)

مساندة المظلومين

ان مساندة المظلوم ضد الظالم من أوجب الواجبات في الاسلام حتى ان
رسول الله ﷺ قال:

مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ. (٤)

٢٣ - طلب ما ليس بحق

يحاول الانسان احياناً الوصول إلى مقام أو منصب أو الحصول على ثروة وهي
ليست بحق، فهو يدوس في طريق تحقيق غايته على حقوق الآخرين، وهذا
العمل تندد به الآيات القرآنية والروايات وتعدّه في طليعة المحرمات واحياناً

١. بحار الأنوار: ٣٧٣/٧٢؛ وسائل الشريعة: ٥٧/١٦.

٢. بحار الأنوار: ٣٧٧/٧٢؛ مستدرک الوسائل: ١٢٥/١٣.

٣. بحار الأنوار: ٣٧٧/٧٢؛ مستدرک الوسائل: ١٢٥/١٣.

٤. الكافي: ١٦٣/٢؛ وسائل الشريعة: ٣٣٦/١٦؛ بحار الأنوار: ٣٣٧/٧١.

تصل بعض حالاته إلى مستوى الخيانة لله عز وجل ورسوله الأكرم ﷺ.
وفي هذا المقطع من الدعاء يستعيد الامام السجاد بالله عز وجل من أن يروم ما
ليس له بحق.

وفي طليعة الأسباب التي تدفع بالانسان بهذا الاتجاه هو الطمع الذي يؤدي
بالانسان إلى الهلاك، يقول الامام الصادق عليه السلام:

مَنْ طَلَبَ الرِّيَاسَةَ هَلَكَ. (١)

وقال عليه السلام أيضاً:

مَلْعُونٌ مَنْ تَرَأَسَ، مَلْعُونٌ مَنْ هَمَّ بِهَا، مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ حَدَّثَ بِهَا نَفْسَهُ. (٢)

مَنْ طَلَبَ الرِّيَاسَةَ لِنَفْسِهِ هَلَكَ، فَإِنَّ الرِّيَاسَةَ لَا تَصْلَحُ إِلَّا لِأَهْلِهَا. (٣)

وهكذا في سائر الامور التي يطلبها الانسان وهي ليست له بحق.

٢٤ - القول بغير علم

ليس هناك ما هو أخطر من الجاهل اذا تكلم وتحدث في قضايا علمية أو
فكرية بغير علم، وليس هناك ما هو أخطر من الجهلة اذا آمنوا بفكرة أو نظرية
خاطئة.

ولهذا فان الكلام بغير علم يعني فح الأفكار الخاطئة والخطيرة التي تؤدي إلى
تمزيق المجتمع وتفكيك الأوامر الاجتماعية فاطلاق الاتهامات والافتراء على

١. بحار الأنوار: ١٥٠/٧٠؛ الكافي: ٢٩٧/٢.

٢. بحار الأنوار: ١٥١/٧٠؛ الكافي: ٢٩٨/٢.

٣. بحار الأنوار: ١٥٤/٧٠؛ مستدرک الوسائل: ٣٨١/١١.

الآخرين وتوزيع التهم الجاهزة من غير تحقق وتفحص يتسبب في تداعيات خطيرة.

جاء في الروايات عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

الْبُهْتَانُ عَلَى الْبَرَى أَثْقَلُ مِنَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ. ^(١)

وجاء في تفسير للامام الصادق عليه السلام للآية الكريمة:

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾. ^(٢)

ان تضليل واضلال الآخرين أشد من قتل الناس جميعاً وهكذا زرع بذور الفتن بين أفراد المجتمع وتسقيط الآخرين وتشويه سمعتهم له تبعات ثقيلة جداً لما لذلك من آثار مدمرة في المجتمع:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. ^(٣)

وقال الامام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه:

إِيَّاكَ وَخَصْلَتَيْنِ فَفِيهِمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ إِيَّاكَ أَنْ تُفْتِيَ النَّاسَ بِرَأْيِكَ أَوْ تَدِينَ بِمَا لَا تَعْلَمُ. ^(٤)

١. بحار الأنوار: ١٩٤/٧٢؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٢٤٥.

٢. سورة المائدة (٥): ٣٢. ٣. سورة الإسراء (١٧): ٣٦.

٤. الكافي: ٤٢/١.

- [﴿٥﴾ وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوِيَ عَلَى غِشٍّ أَحَدٍ وَأَنْ نُعْجَبَ بِأَعْمَالِنَا وَنَمُدَّ فِي آمَالِنَا.
- ﴿٦﴾ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ وَاحْتِقَارِ الصَّغِيرَةِ وَأَنْ يَسْتَحْوَذَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ أَوْ يَنْكُبَنَا الزَّمَانُ أَوْ يَتَهَضَّمَنَا السُّلْطَانُ.
- ﴿٧﴾ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ تَنَاوُلِ الْإِسْرَافِ وَمِنْ فِقْدَانِ الْكَفَافِ.
- ﴿٨﴾ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَمِنْ الْفَقْرِ إِلَى الْأَكْفَاءِ وَمِنْ مَعِيشَةٍ فِي شِدَّةٍ وَمِيتَةٍ عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ.
- ﴿٩﴾ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ الْعُظْمَى وَالْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى وَأَشَقَى الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْمَأَبِ وَحِزْمَانِ الثَّوَابِ وَحُلُولِ الْعِقَابِ.
- ﴿١٠﴾ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعِزَّنِي مِنْ كُلِّ ذَلِكِ بِرَحْمَتِكَ وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.]

٢٥ - الغش والخداع

ان المكر والغش وممارسة الخداع مع الآخرين عمل شيطاني بغیض ، وأن الله عز وجل يمقت المخادعين ويلعنهم ومصيرهم الشقاء الأبدي إذ تحل بهم لعنة الله .
يقول الامام الصادق عليه السلام :

إِنْ كَانَ الْعَرَضُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقًّا فَالْمَكْرُ لِمَاذَا؟^(١)

وروى الامام الرضا عليه السلام عن آبائه الكرام عليهم السلام عن جدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله الشريف:

إِنَّ الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ فِي النَّارِ. ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله: لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ مُسْلِمًا، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ خَانَ مُسْلِمًا.^(٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

مَنْ غَشَّ مُسْلِمًا فِي شِرَاءٍ أَوْ بَيْعٍ فَلَيْسَ مِنَّا، وَيُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ أَغَشَّ الْخَلْقَ لِلْمُسْلِمِينَ. وَقَالَ صلى الله عليه وآله: مَنْ بَاتَ وَفِي قَلْبِهِ غِشٌّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ بَاتَ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَأَصْبَحَ كَذَلِكَ حَتَّى يَتُوبَ.^(٣)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

الْمُؤْمِنُ لَا يَغُشُّ أَخَاهُ، وَلَا يَخُونُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَتَّبِعُهُ، وَلَا يَقُولُ لَهُ أَنَا مِنْكَ بَرِيءٌ.^(٤)

٢٦- الاعجاب بالعمل

العجب بالنفس في أدبيات الأخلاق هو استعظام الشخص نفسه وفي مبادئ علم النفس هو الاصابة بتضخم الذات والترجسية وعادة ما يقود هذا المرض إلى

١. من لا يحضره الفقيه: ٣٩٣/٤؛ الخصال: ٤٥١/٢.

٢. بحار الأنوار: ٢٨٤/٧٢؛ وسائل الشيعة: ٢٤١/١٢.

٣. بحار الأنوار: ٢٨٤/٧٢؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٤٢٩.

٤. بحار الأنوار: ٢٨٥/٧٢؛ الخصال: ٦٢٢/٢.

الاصابة بمرض آخر هو التكبر .

ومن الطبيعي في ضوء المرض الأخلاقي أن يصبح الشخص المصاب معجباً بأعماله ، فيرى كل عمل يقوم به صائباً كبيراً فيرى سوء عمله حسناً ويحسب انه يحسن صنعا!

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ . (١)

وهناك لدى بعض الناس منطلقات أخرى في الاعجاب بالذات والشعور بالتفوق ، منطلقات عرقية وقومية تركز إلى لون البشرة احياناً .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ . (٢)

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ . (٣)

ان انجاز عمل ايجابي معين قد يدخل في نفس الانسان الشعور بالفرحة لأنه اذا كان لوجه الله فانه سيكون مدعاة للتقرب إلى الله وهذا أمر مشروع .

أما اذا أصبح مدعاة للغرور والاعجاب بالذات والنرجسية فهذا تمقته الشريعة الاسلامية لما له من تداعيات خطيرة على النفس في جنوحها إلى التكبر على الآخرين .

١ . سورة فاطر (٣٥) : ٨ .

٢ . سورة النساء (٤) : ٤٩ .

٣ . سورة النجم (٥٣) : ٣٢ .

يروى اسحاق بن عمار عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

أَتَى عَالِمٌ عَابِدًا فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ صَلَاتُكَ؟ فَقَالَ: مِثْلِي يُسْأَلُ عَنْ صَلَاتِهِ وَأَنَا أَعْبُدُ
اللَّهَ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَكَيْفَ بُكَائُكَ؟ قَالَ: أَبْكِي حَتَّى تَجْرِيَ دُمُوعِي، فَقَالَ لَهُ
الْعَالِمُ: فَإِنَّ ضَحِكَكَ وَأَنْتَ خَائِفٌ أَفْضَلُ مِنْ بُكَائِكَ وَأَنْتَ مُدِلٌّ إِنَّ الْمُدِلَّ لَا يَصْعَدُ
مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ. (١)

وقال عليه السلام:

مَنْ دَخَلَ الْعُجْبُ هَلَكَ. (٢)

يقول العلامة المجلسي في تعليقه على الحديث أعلاه:

المراد من الهلاك هو استحقاق العذاب الالهي.

وروي عن الامام الباقر عليه السلام أو الامام الصادق عليه السلام:

دَخَلَ رَجُلَانِ الْمَسْجِدَ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ فَاسِقٌ فَخَرَجَا مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْفَاسِقُ
صَدِيقُ وَالْعَابِدُ فَاسِقٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْعَابِدُ الْمَسْجِدَ مُدِلًّا بِعِبَادَتِهِ يُدِلُّ بِهَا
فَتَكُونُ فِكْرَتُهُ فِي ذَلِكَ وَتَكُونُ فِكْرَةُ الْفَاسِقِ فِي التَّنَدُّمِ عَلَى فِسْقِهِ وَيَسْتَغْفِرُ
اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِمَّا صَنَعَ مِنَ الذُّنُوبِ. (٣)

وجاء في الروايات فيما خاطب به الله عز وجل نبيه داود:

يَا دَاوُودُ بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ، وَأَنْذِرِ الصَّادِقِينَ. قَالَ: كَيْفَ أَبَشِّرُ الْمُذْنِبِينَ وَأَنْذِرُ
الصَّادِقِينَ؟! قَالَ: يَا دَاوُودُ بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ أَنِّي أَقْبَلُ التَّوْبَةَ، وَأَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ،

١. الكافي: ٣١٣/٢.

٢. الكافي: ٣١٣/٢، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ١٠١/١.

٣. الكافي: ٣١٤/٢.

وَأَنْذِرِ الصَّادِقِينَ أَلَّا يُعْجَبُوا بِأَعْمَالِهِمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَنْصَبُهُ لِحِسَابِ إِلَّا هَلَكَ. (١)

ان الله عز وجل إذا أراد أن يحاسب الناس بعدله هلكوا لأنّ الانسان مهما شكر الله سبحانه على نعمه فلن يوفي ذلك بل حتى شكر الانسان هو الآخر توفيق من الله عز وجل ونعمة أفاضها عليه، ولهذا ورد في الدعاء: اللهم لا تحاسبني بعدلك، وحاسبني بفضلك.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام مؤسس البلاغة:

الْعُجْبُ هَلَاكٌ، وَالصَّبْرُ مِلَاكٌ. (٢)

وقال عليه السلام:

لَا وَحْدَةَ وَلَا وَحْشَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ. (٣)

سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ. (٤)

إذا المرء لم يرض ما أمكنه	و لم يأت من أمره أزينه
و أعجب بالعجب فاقتاده	و تاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره	سيضحك يوما ويبكي سنه

٢٧- طول الأمل

الأمل هو الذي يدفع بالانسان إلى الحركة والعمل والسعي والنشاط، الأمل

١. بحار الأنوار: ٣١٢/٦٩؛ الكافي: ٣١٤/٢.

٢. بحار الأنوار: ٣١٥/٦٩؛ الخصال: ٥٠٦/٢.

٣. بحار الأنوار: ٣١٥/٦٩؛ الأمالي، الشيخ الطوسي: ١٨٢.

٤. نهج البلاغة: الحكمة ٤٦؛ بحار الأنوار: ٣١٦/٦٩.

يرتبط بالحياة ويجعلها متدفقة في ذات البشر .

بعكس اليأس ذلك انه لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس .

قال رسول الله ﷺ :

الأمل رحمة لأمتي ولو لا الأمل ما رضعَت والدَة ولدها ولا غرس غارس

شجراً^(١)

وجاء في الروايات :

بَيْنَمَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ع جَالِسٌ وَشَيْخٌ يَعْمَلُ بِمِسْحَاةٍ وَيُثِيرُ الْأَرْضَ فَقَالَ

عِيسَى ع اللَّهُمَّ انْزِعْ مِنْهُ الْأَمَلَ فَوَضَعَ الشَّيْخُ الْمِسْحَاةَ وَاضْطَجَعَ فَلَبِثَ

سَاعَةً فَقَالَ عِيسَى اللَّهُمَّ ارْزُقْ إِلَيْهِ الْأَمَلَ فَقَامَ فَجَعَلَ يَعْمَلُ فَسَأَلَهُ عِيسَى عَنْ

ذَلِكَ فَقَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَعْمَلُ إِذْ قَالَتْ لِي نَفْسِي إِلَى مَتَى تَعْمَلُ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ

فَأَلْقَيْتُ الْمِسْحَاةَ وَاضْطَجَعْتُ ثُمَّ قَالَتْ لِي نَفْسِي وَاللَّهِ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ عَيْشٍ مَا

بَقِيَتْ فَقُمْتُ إِلَى مِسْحَاتِي^(٢)

ويتحوّل الأمل إلى حالة سلبية عندما يغترّ الانسان بالحياة الدنيا ويظن نفسه

خالداً وينسى الاستعداد لما بعد الموت بل لا يخطر في باله الموت^(٣) .

يقول المولى محمد مهدي النراقي في موسوعته الاخلاقية :

١ . بحار الأنوار: ١٧٥/٧٤؛ أعلام الدين: ٢٩٥ .

٢ . بحار الأنوار: ٣٢٩/١٤ .

٣ . مكتوب على جدران زنزانه في سجون البعث الصدامي ١٩٨٢م :

كُنَّا وَإِيَّاكُمْ نَزُورُ مَقَابِرَ وَنَمُتُّ فَنَزُرْنَاكُمْ وَسَوْفَ نَزَارُ

المترجم

«والإنسان لما كان مشغولاً بالأمانى الباطلة، وبالدنيا وشهواتها ولذاتها وعلاقاتها، فتتمنى نفسه أبداً ما يوافق مراده، ومراده البقاء في الدنيا، فلا يزال يتوهمه ويقرره في نفسه ويقدر توابع البقاء من أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفاً على هذا الفكر موقوفاً عليه، فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربهِ! فان خطر له في بعض الأحيان أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعد نفسه إلى أن يكبر ويتوب، وإذا كبر أخر التوبة إلى أن يصير شيخاً وإذا صار شيخاً يؤخرها إلى أن يفرغ من عمارة هذه الضيعة (المزرعة) أو يرجع من سفر كذا أو يفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له، لا يزال يسوف ويؤخر إلى أن يخطفه الموت». (١)

﴿رَبِّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرَهُمْ يَا كُلُوا وَيَسْتَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. (٢)

ومن هنا يحذر الامام علي أمير المؤمنين من أمرين: اتباع الهوى وطول الأمل: **أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَا أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ. وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ.** (٣)

وقد ورد في الروايات «أن أكثر أهل النار صياحهم من «سوف»! ويقولون: واحزنناه من سوف!

والمسوف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غداً، وإنما يزداد بطول المدة قوة ورسوخاً، إذ الخائن في الدنيا لا يتصور له الفراغ

١. جامع السعادات: ٣/ ٣٣ - ٣٤. ٢. سورة الحجر (١٥): ٢ - ٣.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٤٢.

منها قط ، اذ ما قضى من أخذ منها لباتته ، وانما فرغ منها من اطحها .
 أجل لن يتحرر من الدنيا من يستغرق في دوامتها وانما الذي ينجو من يغادر
 تلك الدوامة ويجلس على شاطئ الحياة والآ فان الدوامة سوف تسحبه نحو
 الأعماق المظلمة ويموت غريقاً !

وهكذا يقف طول الأمل سداً في طريق التكامل .

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام في مناجاته :

وَحَبَسَنِي عَنْ نَفْعِي بَعْدَ أَمَلِي. ^(١)

وطلب رجل من الامام عليه السلام أن يعظه فقال عليه السلام :

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَيَرْجِي الثَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ يَقُولُ فِي
 الدُّنْيَا يَقُولُ الرَّاهِدِينَ وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاهِدِينَ. إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ
 وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ. ^(٢)

ويقول الامام السجّاد عليه السلام في جانب من «مناجاة الشاكين» :

إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْسًا بِالسُّوءِ أَمَّارَةً... وَتَجْعَلَنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ، كَثِيرَةَ
 الْعِلَلِ، طَوِيلَةَ الْأَمَلِ. ^(٣)

ويلعب الشيطان دوراً مخرباً في تأجيج هذه النزعة واستغلالها ابشع استغلال
 فينفذ من خلالها ويوسوس للانسان بأنه سيعيش طويلاً متمتعاً بشبابه وبما لديه
 من ثروات وأموال فيرسم له الأمناني العريضة ، وينسيه ذكر الموت ويدفعه إلى

١ . مصباح المتهجد : ٨٤٥؛ البلد الأمين : ١٨٨ .

٢ . نهج البلاغة : ٤٩٧ الكلمات القصار ١٥٠ .

٣ . بحار الأنوار : ١٤٣/٩١ .

الاستغراق في الملذات والخوض في مستنقع الشهوات .

جاء في الروايات :

فِيمَا نَاجَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مُوسَى ع يَا مُوسَى لَا تَطُولْ فِي الدُّنْيَا أَمَلَكَ فَيَقْسُو
قَلْبُكَ وَالْقَاسِي الْقَلْبَ مِنِّي بَعِيدٌ .^(١)

وجاء في الحديث الشريف عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

مَنْ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ عَدَا فَإِنَّهُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ أَبَدًا وَمَنْ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ أَبَدًا يَقْسُو
قَلْبَهُ وَيَرْغَبُ فِي الدُّنْيَا وَيَزْهَدُ فِي الَّذِي وَعَدَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .^(٢)

قال بعض الحكماء :

الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويتخرمك
بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك ويصمي جميع أبعاضك فكيف
بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك ولو كشف لك عما
أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت
ممر الساعات بك ولكن تدبير الله تعالى فوق النظر والاعتبار . وقال بعض
الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع إليه
طرفك لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر
يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان
بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل

١ . الكافي : ٣٢٩ / ٢ .

٢ . الجعفریات : ٢٤٠ ؛ مستدرک الوسائل : ١٠٦ / ٢ .

وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور.^(١)

وقال بعض الفضلاء:

الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء وتخلف في الوفاء تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس بذلك بعد انقضائها ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة وساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة.^(٢)

٢٨ - سوء الباطن

الانسان كائن مجهول معقد التركيب والتكوين، أعماقه تزخر بالأسرار في فطرته وغرائزه، ونزعاته ورغباته وأحلامه وأمانيه والله عز وجل هو العالم بمخلوقه هذا محيط بأسراره ونوايا وخلقاته وأفكاره وما تشتمل عليه طوياه. وفي يوم القيامة تنكشف الأسرار وتظهر الحقائق للعيان. قال تعالى:

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.^(٣)

«تبلى» من البلوى بمعنى الامتحان والاختبار فتظهر حقيقة الأشياء وفي يوم القيامة تنكشف الأسرار الخفية.

جاء في الروايات عن معاذ بن جبل قال:

١. شرح نهج البلاغة: ٢٩٦/١٩. ٢. شرح النهج: ٢٩٦/١٩.

٣. سورة الطارق (٨٦): ٩.

سألت رسول الله ﷺ وما هذه السرائر التي تبلى بها العباد في الآخرة؟ فقال ﷺ: سرائركم، هي أعمالكم من الصلاة والصيام والزكاة والوضوء والغسل من الجنابة وكل مفروض (فريضة) لأن الأعمال كلها سرائر خفية، فإن شاء قال الرجل: صليت ولم يصل، وإن شاء قال: توضأت ولم يتوضأ، فذلك قوله: «يوم تبلى السرائر»^(١).

ويوم القيامة هو يوم البروز والظهور حيث تبرز الأسرار وتظهر، وتنكشف الحقائق من إيمان وكفر ونفاق ونوايا خير وشر ورياء وإخلاص. فيكون ظهورها مبعث فخر ومجد للمؤمنين والمزيد من النعيم وللمجرمين خزي وغضب من الله وعذاب أليم. يقول العلامة السيد علي خان الحسيني الحسني في كتابه القيم رياض السالكين:

«اعلم ان الناس مختلفون في الخير والشر على أربع فرق: فمنهم: من يطوي باطنه وظاهره على الخير وهذه حال الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وأولياء الله وحال أصحاب رسول الله ﷺ الذين أنزل الله في شأنهم: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾^(٢). ومنهم: من ينطوي باطنه وظاهره على الشر، وهذه كانت صفة طائفة من أهل الكتاب كما حكى الله عنهم بقوله:

١. مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/٣٢٣، ذيل آية ٩ من سورة الطارق.

٢. الفتح (٤٨): ١٨.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١).

ومنهم: من يشاكل ظاهره ظاهر الشرير في الحدة والاستطالة ويرجع باطنه إلى قلب سليم منطوٍ على الخير، وذلك من غلبة الصفراء على مزاجه وفي الحديث الثناء على مثله قال صلى الله عليه وآله: الحدة تعتري خيار أمتي، وقال صلى الله عليه وآله:

خيار أمتي أخداؤهم الذين إذا غضبوا رجعوا.^(٢)

ومنهم: من أبدى ظاهره الخير وأضر باطنه الشر، فيكون صاحبه مجتمع الشرور وملتقى طرق الفساد، وهذه كانت حالة المنافقين، وهو إنما يكون من متابعة الدخلة الخبيثة الصادرة عن الدهاء المذموم المصاحب للغضب المفرط والحسد المسرف وذلك هو سوء السرية.^(٣)

«وإذا استوت السرية والعلانية، فذلك العدل، وإن كانت السرية أحسن من العلانية فذلك الاحسان وإن كانت العلانية أحسن من السرية فذلك العدوان».^(٤) وعليه فإن باطن الانسان اذا تلوث بالمعاصي والانحرافات الأخلاقية، فإن آثار ذلك وقبحها سوف تظهر على نحو تدريجي في سيرته وسلوكه ثم ينتقل القبح من السيرة إلى الصورة وعادة ما تصيب هذه الأمراض الأخلاقية الحاكمين والسلطويين.

١. سورة البقرة (٢): ٨٩.

٢. كنز العمال: ١٢٧/٣؛ الجامع الصغير: ٦١٥/١.

٣. مجموعة وزّام: ١٤/١؛ مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٩١/٦، ذيل آية ٩٠ من سورة

النحل. ٤. رياض السالكين: ٣٨٢/٢.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

آفَةُ الْمَلِكِ سُوءُ السَّيْرِ، آفَةُ الْوُزَرَاءِ خُبْتُ السَّرِيرَةِ. (١)

وقد تضمنت الأدعية الواردة عن أئمة أهل البيت عليه السلام الإشارة إلى أن بعض الذنوب التي يرتكبها البشر والتي تمنع استجابة الدعاء.

يقول الامام السجاد عليه السلام في هذا المضمار:

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَرُدُّ الدُّعَاءَ، سُوءُ النِّيَّةِ، وَخُبْتُ السَّرِيرَةَ وَالنَّفَاقَ مَعَ الْإِخْوَانِ. (٢)

واذن فانه كلما رام الانسان اصلاح ذاته ظهرت له عيوبه فيفكر بازالتها وتطهير نفسه منها.

وما أضمر ابن آدم شيئاً إلا ظهر على ملامح وجهه وفلتات لسانه.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

فَسَادُ الظَّاهِرِ مِنْ فَسَادِ الْبَاطِنِ وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ وَمَنْ خَافَ اللَّهُ فِي السِّرِّ لَمْ يَهْتِكْ سِرَّهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وَأَعْظَمُ الْفَسَادِ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ بِالْغُفْلَةِ عَنِ اللَّهِ وَهَذَا الْفَسَادُ يَتَوَلَّدُ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ وَالْحِرْصِ وَالْكِبَرِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ قَارُونَ فِي قَوْلِهِ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ وَكَانَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ مِنْ صُنْعِ قَارُونَ وَاعْتِقَادِهِ وَأَصْلُهَا مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَمُتَابَعَةِ النَّفْسِ وَهَوَاهَا. (٣)

١. غرر الحكم: ٣٤٧.

٢. بحار الأنوار: ٣٧٦/٧٠؛ معاني الأخبار: ٢٧١.

٣. بحار الأنوار: ٣٩٥/٧٠.

٢٩- استصغار الذنوب الصغيرة

تشتمل أحاديث أهل البيت عليهم السلام على نهى شديد عن استصغار الذنوب مهما صغرت لما في ذلك من آثار مخربة في حياة الانسان.

فكم من عمل صالح صغير يكون منطلقاً لأعمال كبرى، فحتى على مستوى النوايا فان مجرد خطور النية في بال الانسان لعمل الخير تكون له انعكاسات ايجابية في حياة الانسان وله بعد ذلك في يوم الآخرة فوائد.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

لَا يَعْزُكَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ دُونِهِمْ وَلَا تَقْطَعْ النَّهَارَ بِكَذَا وَكَذَا فَإِنَّ مَعَكَ مَنْ يَحْفَظُ عَلَيْكَ وَلَمْ أَرْ شَيْئاً قَطُّ أَشَدَّ طَلَباً وَلَا أَسْرَعَ دَرْكاً مِنَ الْحَسَنَةِ لِلذَّنْبِ الْقَدِيمِ وَلَا تُصَغِّرْ شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ فَإِنَّكَ تَرَاهُ غَدًا حَيْثُ يَسُرُّكَ وَلَا تُصَغِّرْ شَيْئاً مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّكَ تَرَاهُ غَدًا حَيْثُ يَسُوؤُكَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ. (١)

وقال الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونُ وَاللَّهِ كَذَلِكَ إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلًا فَمَهْمَا تَرَكَتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ. (٢)

كما ان استصغار الذنوب يعني احياناً استخفافاً بالرب تبارك وتعالى .
ولهذا فان بعض الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تنظر إلى الذنوب

١. بحار الأنوار: ٦٨ / ١٨١ - ١٨٢ . ٢. نهج البلاغة ، الحكمة ٤٢٢ .

والمعاصي من هذه الزاوية.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

إِذَا عَظُمَتِ الذَّنْبُ فَقَدْ عَظُمَتِ اللَّهُ فَإِذَا صَغُرَتْ فَقَدْ صَغُرَتْ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ
حَقَّهُ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَمَا مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عَظُمَتْهُ إِلَّا صَغُرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى
وَلَا مِنْ صَغِيرٍ صَغُرَتْهُ إِلَّا عَظُمَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ^(١)

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وآله:

يَا أَبَا ذَرٍّ لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ. ^(٢)

ذلك ان استصغار الذنوب الصغيرة يمهّد لارتكاب الذنوب الكبيرة بينما
استعظام الذنوب الصغير يوّلّد في ذات الانسان قوّة ردع تحصّن الانسان وتمنعه من
الانزلاق في الخطيئة.

ما هي الذنوب الصغيرة

«الصغيرة» الواردة في نص الدعاء هي الذنوب والمعاصي الصغيرة، وهي
الفعلة القبيحة من الذنوب التي لم توجب حدّاً ولم يوعّد الشارع عليها بخصوصها.
الصغيرة هي الزلّة التي لا تكسب النفس هيئة رديئة باقية بل حالة يسرع
زوالها.

وقد عبّر القرآن الكريم عنها بـ «اللمم» وذلك في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ
الْمَغْفِرَةِ﴾. ^(٣)

١. الجعفریات: ٢٣٧.

٢. بحار الأنوار: ٧٤/٧٧؛ أعلام الدين: ١٩١.

٣. سورة النجم (٥٣): ٣٢.

في مقابل الكبيرة أي الذنوب الكبرى:

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(١).

يقول الراغب الاصفهاني في مفردة «للمم»:

معناه الاقتراب من الذنب وقد يعبر عن الذنوب الصغيرة باللمم أيضاً.

وهذه الكلمة في الأصل مأخوذة من الالمام ومعناه الاقتراب من شيء دون أدائه وقد يطلق اللمم على الأشياء القليلة أيضاً واطلاقه على الذنوب الصغيرة من هذا الباب.

وقد فسر المفسرون «اللمم» في هذه الحدود فقال بعضهم:

هي الذنوب الصغيرة، وقال آخرون هي نية المعصية دون أدائها وفسره غيرهم بأن اللمم معاص لا أهمية لها، وربما قالوا بأن اللمم يشمل الذنوب الصغيرة والكبيرة على أن لا تكون معتادة والتي تقع أحياناً فيتذكرها الانسان فيتوب منها». وعليه من الممكن أن ينزلق الانسان المسلم في منزلق ويرتكب ذنباً، إلا أن هذا الذنب هو على خلاف سجيته وطبيعته وقلبه الطاهر، فيتوب منه ويستغفر الله سبحانه فيشمله برحمته الواسعة التي كتبها على نفسه.^(٢)

جاء في رسالة لأمير المؤمنين إلى عموم حكام الأقاليم والولاة:

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتَوْرَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَغْفِرْ فَهُوَ أَكْرَمُ.^(٣)

١. سورة النساء (٤): ٣١.

٢. تفسر الأمثل: ٢٥٦/٧ - ٢٥٧.

٣. نهج البلاغة: الكتاب ٢٧.

تداعيات استصغار الأخطاء الصغيرة

ورد في الروايات عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

إِنَّ اللَّهَ أَخْفَى سَخَطَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَتِهِ قُرْباً
وَأَقْفَ سَخَطَهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ.^(١)

وقال الامام الباقر عليه السلام:

وَلَا مُصِيبَةَ كَاسْتِهَانَتِكَ بِالذَّنْبِ وَرِضَاكَ بِالْحَالَةِ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا.^(٢)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

اتَّقُوا الْمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّهَا لَا تُغْفَرُ قُلْتُ وَمَا الْمُحَقَّرَاتُ قَالَ الرَّجُلُ يُذْنِبُ
الذَّنْبَ فَيَقُولُ طُوبَى لِي لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي غَيْرُ ذَلِكَ.^(٣)

وقال الامام الكاظم عليه السلام:

إِنَّ الْمَسِيحَ ع قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ يَا عَبِيدَ السَّوْءِ يَهْوِلُكُمْ طُولُ النَّخْلَةِ وَتَذْكُرُونَ
شَوْكَهَا وَمُتُونَةَ مَرَايِهَا وَتَنْسَوْنَ طِيبَ ثَمَرِهَا وَمَرَايَهَا كَذَلِكَ تَذْكُرُونَ مُتُونَةَ
عَمَلِ الْآخِرَةِ فَيَطُولُ عَلَيْكُمْ أَمْدُهُ وَتَنْسَوْنَ مَا تَقْضُونَ إِلَيْهِ مِنْ نَعِيمِهَا وَنُورِهَا
وَتَمَرِهَا يَا عَبِيدَ السَّوْءِ نَقُّوا الْقَمْحَ وَطَيَّبُوهُ وَأَدِقُّوا طَحْنَهُ تَجِدُوا طَعْمَهُ
وَيَهْنِكُمْ أَكْلُهُ كَذَلِكَ فَأَخْلِصُوا الْإِيمَانَ وَأَكْمِلُوهُ تَجِدُوا حِلَاوَتَهُ وَيَنْفَعَكُمْ
غَيْبُهُ بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ لَوْ وَجَدْتُمْ سِرَاجاً يَتَوَقَّدُ بِالْقَطَرِ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ
لَا سِتْرَ لَكُمْ بِهِ وَلَمْ يَمْنَعْكُمْ مِنْهُ رِيحٌ نَتْنِهِ كَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا

١. بحار الأنوار: ٣٤٩/٧٠.

٢. بحار الأنوار: ١٦٥/٧٥.

٣. الكافي: ٢٨٧/٢.

الْحِكْمَةَ مِمَّنْ وَجَدْتُمُوهَا مَعَهُ وَلَا يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ سُوءُ رَغْبَتِهِ فِيهَا يَا عَبِيدَ
الدُّنْيَا بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ لَا تُدْرِكُونَ شَرَفَ الْآخِرَةِ إِلَّا بِتَرْكِ مَا تُحِبُّونَ فَلَا تَنْظُرُوا
بِالتَّوْبَةِ غَدًا فَإِنَّ دُونََ غَدٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَقَضَاءَ اللَّهِ فِيهِمَا يَغْدُو وَيَرُوحُ
بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ دَيْنٌ مِنَ النَّاسِ أَرْوَحُ وَأَقْلُ هَمًّا مِمَّنْ
عَلَيْهِ الدَّيْنُ وَإِنْ أَحْسَنَ الْقَضَاءِ وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَعْمَلِ الْخَطِيئَةَ أَرْوَحُ هَمًّا
عَمَلِ الْخَطِيئَةِ وَإِنْ أَخْلَصَ التَّوْبَةَ وَأَنَابَ وَإِنْ صَغَرَ الذُّنُوبُ وَمُحَقَّرَاتِهَا
مِنْ مَكَائِدِ إِبْلِيسَ يُحَقِّقُهَا لَكُمْ وَيُصَغِّرُهَا فِي أَعْيُنِكُمْ فَتَجْتَمِعُ وَتَكْتُمُ
فَتُحِيطُ بِكُمْ. (١)

يقول الامام الرضا عليه السلام:

الصَّغَائِرُ مِنَ الذُّنُوبِ طُرُقٌ إِلَى الْكَبَائِرِ وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ فِي الْقَلِيلِ لَمْ يَخَفْهُ
فِي الْكَثِيرِ وَلَوْ لَمْ يَخَوْفِ اللَّهُ النَّاسَ بَجَنَّةٍ وَنَارٍ لَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ
يُطِيعُوهُ وَلَا يَعْصُوهُ لِنَفْضِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَمَا بَدَأَهُمْ بِهِ مِنْ إِنْعَامِهِ
الَّذِي مَا اسْتَحَقُّوهُ. (٢)

٣٠ - تحكّم الشيطان

ان من خصائص المنافقين أنّهم ينتهون إلى مصير بائس عندما يكون مآلهم في
نهاية الأمر أن يتحكّم الشيطان بهم ويصبحوا العوبة في يديه ويكونوا من حزبه .
﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا

١. بحار الأنوار: ٣٠٧/٧٥.

٢. بحار الأنوار: ٣٥٣/٧٠؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٨٠/٢.

إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ^(١).

و«استحوذ» من حُوْذ أي سوق الجمل فالجمل لديه قائد يقوده وسائق يسوقه والاستحواذ بمعنى التسلُّط والتحكُّم.

وهكذا ينتهي أمر المنافق إلى أن يستحوذ عليه الشيطان ويسوقه في الاتجاه الذي يريد، وفي هذه المرحلة يكون المنافق قد نسي الله عزَّ وجلَّ ونسي نفسه.

وما أكثر هؤلاء التعساء الذين يظهرون في منعطفات خطيرة من التاريخ يصنعون فيها المآسي والقواجع، من قبيل حرب الجمل وصفين، ومأساة عاشوراء^(٢).

هؤلاء انتهى مصيرهم إلى أن أصبحوا أدوات بيد الشيطان يسخرهم لتحقيق أهدافه ويسخر منهم.

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

فَهَذَاكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى^(٣).

ان استيلاء الشيطان على الانسان ومن ثم استعباده هو أخطر ما يواجهه الانسان في حياته، ذلك انه سوف ينسلخ عن انسانيته وعن آدميته، وحتى ان

١. سورة المجادلة (٥٨): ١٩.

٢. خاطب الامام الحسين عليه السلام الالوف الذين جاءوا لقتله أو يستسلم دون قيد أو شرط قائلاً لهم: لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون - عبدالرزاق المكرم - مقتل الحسين عليه السلام - حوادث يوم عاشوراء - المترجم.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٥٠.

الشیطان يكف عن وسوسته لأن الضحية انسلخت تماماً وانطفأ في داخلها آخر بصيص من نور الوجدان والفطرة الانسانية، أما العقل فانه قد أصبح في خدمة الشيطان.

يقول الامام علي أمير المؤمنين وامام المتقين:

مَنْ اسْتَفَادَهُ هَوَاهُ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ.^(١)

واتباع الأهواء يجرّ إلى استيلاء الشيطان والسقوط في برائنه. واسلوب الشيطان في اغواء البشر يكون عن طريق استغلال الأهواء البشريّة والرغبات، والدفع باتجاه اشباع الغرائز بأيّة طريقة لا أخلاقيّة، فهو ينفذ إلى خيال الانسان ويزيّن له اشباع غريزته الجنسيّة عن طريق الزنا واللواط في حين ينبعث صوت من أعماق الفطرة في أن يقوم باشباع هذه الغريزة عن طريق أخلاقي شرعي في اطار الزواج.

وعندما يصغي الانسان لصوت الشيطان يكون قد ارتكب الخطيئة وهكذا في سائر الغرائز البشريّة.

فالشیطان يوسوس ويقدم الوعود المعسولة لخداع الانسان ودفعه إلى السقوط ومن ثمّ السخرية منه.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي

كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١).

أما حكماء الإسلام فقد ذكروا فيها وجوهاً أخرى. أولها: وهو الأشرف الأقوى أن في البدن قوى أربعة هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية.

فإحداها: القوة الخيالية التي تجمع فيها صور المحسوسات ومثلها وهي موضوعة في البطن المقدم من الدماغ وصور المحسوسات إنما ترد عليها من مقدمها وإليه الإشارة بقوله: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾.

والقوة الثانية: القوة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات بالأحكام المناسبة للمحسوسات وهي موضوعة في البطن المؤخر من الدماغ وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾.

والقوة الثالثة: الشهوة وهي موضوعة في الكبد وهي يمين البدن والقوة الرابعة الغضب وهي موضوعة في البطن الأيسر من القلب.

فهذه القوى الأربع هي التي تتولد منها أحوال توجب زوال السعادة الروحانية والشياطين الخارجية ما لم تستعن بشيء من هذه القوى الأربع لم يقدر على إلقاء الوسوسة فهذا هو السبب في تعيين الجهات الأربع وهو وجه حقيقي شريف^(٢).

وفي العموم يمكن القول أن ضعف الإيمان بالله تعالى هو الذي يمكن الشيطان في النهاية من إيجاد ثغرة ينفذ من داخلها تساعد في ذلك الغرائز والأهواء والرغبات المتأججة في أعماق البشر؛ والثغرات التي ينفذ من خلالها الشيطان

٢. بحار الأنوار: ٦٠/ ١٥٣.

١. سورة إبراهيم (١٤): ٢٢.

عبارة عن :

- ١- النرجسية أو تضخم الذات والأنانية المفرطة.
 - ٢- استكثار العمل.
 - ٣- استصغار الذنب.
 - ٤- مجالسة ومخالطة المنحرفين دينياً.
 - ٥- استعذاب المديح والثناء والشعور بالانتشاء جراء ذلك.
 - ٦- التفرقة والاختلاف.
 - ٧- الاستغراق في تكوين الثروة.
 - ٨- الحسد.
 - ٩- الحرص.
 - ١٠- الخلوة مع غير المحرم.
- وهنا يقدم الامام علي عليه السلام نصائحه ومواعظه البليغة للبشر للخلاص من شرك ومصائد الشيطان ، يقول عليه السلام :
- فَاتَّقِ عَبْدُ رَبِّهِ نَفْسَهُ، وَقَدِّمْ تَوْبَتَهُ وَغَلَبْ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ
عَنْهُ وَأَمَلُهُ خَائِعٌ لَهُ وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمُعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيُؤْمِنِيهِ
التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا.^(١)
- ان على الانسان أن يعي ما يحاك له من الدسائس والمؤامرات من أجل
تسقيطه واسقاطه في هاوية الشقاء الأبدي.

يقول الامام السجاد عليه السلام في «مناجاة الشاكين»:

إِنِّهِيَ إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْسًا بِالسُّوءِ أَمَّارَةً، وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً وَبِمَعَاصِيكَ مُؤَلَّعَةً.

إِنِّهِيَ أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوًّا يُضِلُّنِي، وَشَيْطَانًا يُغْوِينِي، قَدْ مَلَأَ بِالْوَسْوَاسِ صَدْرِي وَأَخَاطَتْهُ هَوَاجِسُهُ بِقَلْبِي، يُعَاضِدُ لِيَ الْهُوَى، وَيَزَيِّنُ لِيَ حُبَّ الدُّنْيَا وَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالزُّلْفَى^(١).

٣١- مصاعب الزمن والحياة

يستعيز الامام السجاد عليه السلام بالله العزيز من نكبات الدهر وصعوبات الحياة وعاديات الزمن.

ان الحياة الانسانية في عالم الدنيا مليئة بالمنعطفات، والمشاق وأقلها ايلاماً ربما الاصابة بالأمراض، ولهذا فان الدهر ينكب الناس في مرحلة من مراحل حياتهم^(٢).

كل انسان في حياته معرض لسهام القدر، ولهذا ليس أمامه إلا أن يلجأ إلى الله عز وجل ليكون في مأمن من الخطر.

١. بحار الأنوار: ١٤٣/٩١.

٢. في عام ١٨٧ هـ - ٨٠٣ م وقع ما عرف تاريخياً بـ «نكبة البرامكة»، وكانوا البرامكة جعفر والفضل وأبوهما يحيى بن خالد قد وصلوا ذروة مجدهم السياسي، وفي ليلة واحدة انتهى أمرهم وانهار مجدهم ولأسباب ما تزال غامضة أصدر الرشيد أمره بقتل جعفر بن يحيى (رئيس الوزارة) والقاء الفضل ويحيى في سجن الرقة وتشريد أسرهم حيث تحول معظمهم الى متسولين بينما كانوا يملكون المليارات - المترجم.

يقول الامام السجاد عليه السلام في دعاء يوم الأحد:

بِكَ اسْتَجِيرُ يَا ذَا الْعَفْوِ وَالرَّضْوَانِ مِنَ الظُّلُمِ وَالْعُدْوَانِ، وَمِنْ غَيْرِ الزَّمَانِ
وَتَوَائِرِ الْأَحْزَانِ، وَطَوَارِقِ الْحَدَثَانِ. ^(١)

وبعض الحوادث التي يتعرض لها البشر وخاصة الأنبياء والرسل والأوصياء
إنما هي امتحانات الهيّة للكشف عن عمق ايمانهم بالله عز وجل باعتبارهم قدوة
الانسانية والمثل الأعلى للكمال والايمان بالله عز وجل ومن هنا جاء امتحان نبي
الله أيوب عليه السلام:

«وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ *
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ». ^(٢)

وقد مرّ النبي أيوب عليه السلام بسلسلة من الامتحانات الصعبة كان خلالها يزداد ايمانا
وتسليماً وصبراً المشيئة الله وقضائه حتى أصبحت قصته مثلاً أعلى في الصبر على
الشدائد والمحن وحتى عبّر عنها القرآن «ذكرى للعابدين».

جاء في الروايات:

مَرَضَ عَوْْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَأَتَيْتُهُ أَعُوذُهُ فَقَالَ أَفَلَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قُلْتُ بَلَى قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص إِذْ
تَبَسَّمَ فَقُلْتُ لَهُ مَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبَسَّيْتُ فَقَالَ ص عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ وَجَزَعِهِ
مِنَ السُّقْمِ وَلَوْ يَعْلَمُ مَا لَهُ فِي السُّقْمِ مِنَ الثَّوَابِ لَأَحَبُّ أَنْ لَا يَزَالَ سَقِيمًا حَتَّى

١. الصحيفة السجادية ، دعاء يوم الأحد .

٢. سورة الأنبياء (٢١): ٨٣ - ٨٤.

يَلْقَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. ^(١)

وروى الامام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قوله الشريف :

مَنْ يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرْ عَلَيْهِ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ يُنْكَرُهُ. ^(٢)

وقال الامام الصادق عليه السلام :

أَيُّمَا رَجُلٍ اشْتَكَى فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ أَجْرَ أَلْفِ شَهِيدٍ. ^(٣)

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ كَنُودٍ، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ

مُسِينًا، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَلَا

نَتَخَوُّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَجِلَّ بِنَا. ^(٤)

ثمّ يقسم الامام عليه السلام مجتمعه إلى أربع شرائح قائلا :

وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً

نَفْسِهِ وَكَالَالَةَ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفَرِهِ وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ. ^(٥)

وجاء في الحديث الشريف عن الامام علي عليه السلام قوله :

الدَّهْرُ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ وَيَجْدُدُ الْأَمَالَ وَيَقْرُبُ الْمَنِيَّةَ وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ

نَصِيبٌ وَمَنْ فَاتَهُ تَعَبٌ. ^(٦)

أجل هذه حقيقة الحياة، الزمن والأيام تضعف الأبدان والأجسام «وكل قوي

١. بحار الأنوار : ٢٠٦/٨٧.

٢. بحار الأنوار : ٢٠٦/٧٨.

٣. بحار الأنوار : ٢٠٦/٧٨.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ٣٢.

٥. نهج البلاغة : الخطبة ٣٢.

٦. نهج البلاغة : الحكمة ٦٧.

لزمان يلين» غير ان الأماني تتجدد باستمرار والانسان يخطو نحو النهاية ولكل
أجل كتاب، وكما قال الشاعر:

دقات قلب المرء قائمة له ان الحياة دقائق وثواني

وهذه الامال المتجددة تبتعد لتصبح جزءاً من أحلام اليقظة ومجرد خيالات
تترأى للانسان.

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

مَا قَالَ النَّاسُ لِمَنْ شِئَ طُوبَى لَهُ إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ. (١)

وقال عليه السلام يوصي نجله سبط رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً:

وَأَعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الدَّهْرَ ذُو صُرُوفٍ فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَشْتَدُّ لَائِمَتُهُ وَيَقْلُ عِنْدَ النَّاسِ
عُذْرُهُ. (٢)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

لَا رَاحَةَ لِمُؤْمِنٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا عِنْدَ لِقَاءِ اللَّهِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ
صَمَتٍ تَعْرِفُ بِهِ حَالُ قَلْبِكَ وَنَفْسِكَ فِيمَا يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَارِيكَ وَخَلْوَةٍ
تَنْجُو بِهَا مِنْ آفَاتِ الزَّمَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَجُوعٍ تُمِيتُ بِهِ الشَّهَوَاتِ
وَالْوَسْوَاسَ وَالْوَسْوَاسَ وَسَهَرٍ تُنَوِّرُ بِهِ قَلْبَكَ وَتُنَقِّي بِهِ طَبْعَكَ وَتُرَكِّي بِهِ
رُوحَكَ. (٣)

٢. بحار الأنوار: ٢١٢/٧٤.

١. نهج البلاغة: ٢٨٦.

٣. بحار الأنوار: ٦٩/٦٩.

٣٢ - ظلم الحكام

وعندما يتفاقم ظلم الملوك والحكام حينئذٍ تظهر علامات التفكك في الحياة ويحلّ الخراب، وقد يسود الظلم عشر سنين فقط لكن آثاره المدمرة تبقى بعدها عشرات السنين.

عندما ألقى الهدهد بالرسالة إلى ملكة سبأ واطلعت على ما ورد اجتمعت بأركان الدولة والقادة العسكريين وأطلعتهم على رسالة سليمان وفيها طلبه بالاذعان والخضوع لحكمه واستشارتهم في اتخاذ الموقف المناسب، وكان موقف القادة انهم قالوا اننا أقوىاء ورجال حرب ولكن القرار يعود اليك!

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(١)

ان ملكة سبأ تعرف طبيعة الملوك النفسية وجنوحهم للطغيان والظلم وتدمير المدن التي يقومون باحتلالها واذلال سكانها وبخاصة عليه القوم، ذلك انهم لا يفكرون إلا في مصالحهم الشخصية ولا يهتمون بمصالح الأمة، بل هي على طرفي نقيض.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

آفَةُ الْعُمَرَاءِ، جَوْرُ السُّلْطَانِ.^(٢)

وقال حكماء الاسلام:

٢. غرر الحكم: ٣٤٦.

١. سورة النمل (٢٧): ٣٤.

لَا قَحْطَ أَشَدُّ مِنْ جَوْرِ السُّلْطَانِ.^(١)

ان صروف الزمن وتقلبات الحياة فيها من الدروس والعبر لمن يراقب مسار الحياة ويتأمل في تغيراتها.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ وَمَنْ أَغْظَمَهُ أَهَانَهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ إِذَا تَغَيَّرَ

السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ.^(٢)

وقال عليه السلام:

خَوَرُ السُّلْطَانِ أَشَدُّ عَلَى الرَّعِيَّةِ مِنْ جَوْرِ السُّلْطَانِ.^(٣)

وخور السلطان يعني ضعف امكاناته الادارية وعجزه عن ضبط الأمور في الدولة ما يفضي إلى انتشار الظلم ويتحول المجتمع إلى غاية يأكل فيها القوي الضعيف.

وتتحول الحاشية إلى ذئاب كاسرة لا ترحم.

جاء في الروايات:

ان رجلاً قال في مجلس للامام الصادق عليه السلام: جاور ملكاً أو بحراً فقال

الصادق عليه السلام:

هَذَا كَلَامٌ مُحَالٌ وَالصَّوَابُ لَا تُجَاوِزُ مَلِكاً وَلَا بَحْراً لَأَنَّ الْمَلِكََ يُؤْذِيكَ وَالْبَحْرَ لَا

يُزْوِيكَ.^(٤)

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩٤/١١.

٢. نهج البلاغة: الكتاب ٣٢. ٣. غرر الحكم: ٣٤١.

٤. بحار الأنوار: ٢٢٨/٧٥.

يقول المولى محمد مهدي النراقي في موسوعته الأخلاقية «جامع السعادات»
في باب اصلاح النفس قبل اصلاح الغير:

«وغير خفي أن أشرف وجوه العدالة وأهمها وأفضل صنوف السياسات
وأعمها هو عدالة السلطان، إذ غيرها من العدالة مرتبطة بها ولولاه لم يتمكن
أحد من رعاية العدالة، كيف وتهذيب الأخلاق وتدبير المنزل يتوقف على فراغ
البال وانتظام الأحوال.

ومع جور السلطان أمواج الفتن متلاطمة، وأتراج المحن متراكمة وعوائق
الزمان متزاحمة وبوائق (شُرور) الحدثن متصادمة، وطالبو الكمال كالحيارى
في الصحارى، لا يجدون إلى منازلهم سبيلاً ولا إلى جداولهم مرشداً ودليلاً.

وعرصات العلم والعمل دراسة الآثار، ومنازلهم مظلمة الأرجاء والأقطار.
فلا يوجد ما هو الملاك في تحصيل السعادات أعني تفرغ خاطر والاطمئنان
وانتظام أمر المعاش الضروري لأفراد الانسان.

ولذا لو تصفحت في امثال زماننا زوايا المدن والبلاد واطلعت على بواطن فرق
العباد لم تجد من الألوفاً واحداً تمكّن من اصلاح نفسه، ويكون يومه خيراً من
أمسه. بل لا تجد ديناً (متديناً) إلا وهو باك على فقد الاسلام وأهله، ولا طالباً إلا
وهو لعدم المكنة باق على جهله.

ولعمري ان هذا الزمان هو الزمان الذي أخبر عنه سيّد الأنام وعترته الأبرار
الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام من أنه: «لا يبقى من الاسلام إلا اسمه
ولا من القرآن إلا رسمه».

وبالجملة؛ المناط كل المناط في تحصيل الكمالات واخراج النفوس من الجهالات، هو عدالة السلطان، واعتناؤه باعلاء الكلمة وسعيه في ترويج أحكام الدين والملة، ولذا ورد في الآثار: «أن السلطان إذا كان عادلاً كان شريكاً في ثواب كل طاعة تصدر عن كل رعية، وإن كان جائراً كان سهيماً في معاصيهم». وقال سيّد الرسل ﷺ: «أقرب الناس يوم القيامة إلى الله الملك العادل، وأبعدهم عنه الملك الظالم».

وورد عنه ﷺ: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة»، والسرّ أن أثر عدل ساعة واحدة ربما يصل إلى جميع المدن والأمصار ويبقى على مرّ الدهور والأعصار، وقال بعض الأكابر: لو علمت انه يستجيب لي دعوة واحدة لخصصتها باصلاح حال السلطان حتى يعم نفعه». (١)

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

مَنْ جَارَ فِي سُلْطَانِهِ وَأَكْثَرَ عُذْوَانَهُ، هَدَمَ اللَّهُ بُنْيَانَهُ وَهَدَأَ أَرْكَانَهُ. (٢)

٣٣- الاسراف

يشير القرآن الكريم إلى صفات عباد الرحمن إلى أنهم ينتهجون العدالة والاعتدال والوسطية فهم بعيدون عن التطرف ولهذا فان مكارم الأخلاق تكمن دائماً في انتهاج حالة الوسط وبخاصة في قضايا المال والاقتصاد واسلوب الحياة والعيش.

قال تعالى:

١. جامع السعادات: ٨٥/١ - ٨٦. ٢. غرر الحكم: ٣٤٦.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١).

حيث الاسراف والاعتدال على طرفي نقيض، فتكون حالة الاعتدال والوسطية في الاقتصاد فلا اسراف وتبذير، ولا بخل شديد وتقتير و«قواما» تعني الاستقامة وانتهاج الحد الوسطي.

جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

مَنْ أُعْطِيَ فِي غَيْرِ حَقٍّ فَقَدْ أُسْرِفَ وَمَنْ مَنَعَ مِنْ حَقٍّ فَقَدْ قَتَرَ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: لَيْسَ فِي الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ سَرَفٌ وَإِنْ كَثُرَ.^(٢)

وسئل الامام الصادق عليه السلام عن الحد الأدنى من الاسراف فقال عليه السلام:

ابْتَدَأْتُكَ ثَوْبَ صَوْنِكَ وَإِهْرَاقَكَ فَضْلَ إِنَائِكَ وَأَكْلَكَ الثَّمَرَ وَرَمَيْكَ النَّوَى هَاهُنَا وَهَاهُنَا.^(٣)

ويوجه أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه إلى التزام الحدود الشرعية في الانفاق قائلاً:

مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَأَيَّاهُ وَالْفَسَادَ فَإِنَّ إِعْطَاءَكَ الْمَالَ فِي غَيْرِ وَجْهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ وَهُوَ يَرْفَعُ ذِكْرَ صَاحِبِهِ فِي النَّاسِ وَيَضَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ.^(٤)

آثار الاسراف ومفاسده

في ضوء الآيات القرآنية والروايات الواردة عن أهل البيت عليه السلام فإن للاسراف آثار مخربة ومفاسد خطيرة من قبيل:

١. سورة الفرقان (٢٥): ٦٧. ٢. بحار الأنوار: ٢٦٦/٦٦.

٣. الكافي: ٥٦/٤؛ جامع أحاديث الشيعة: ٧١٩/١٦.

٤. بحار الأنوار: ٩٧/٧٥؛ تحف العقول: ١٨٥.

- ١- التسبب في ضياع الحقوق .
 - ٢- وسبب الاسراف ينشأ عن الجهل بقيمة المال وبالتالي فهو يقود في آخر الأمر المسرف إلى الضعة .
 - ٣- التسبب بافلاس المسرف وفقره .
 - ٤- انه يتسبب في سحق الحقوق والتجاوز على الآخرين .
 - ٥- انه يتسبب في الاستغراق في الكماليات وأكل الحرام وسفك الدماء .
 - ٦- انه يتسبب في الاصابة بالأمراض الجسميّة والروحيّة من قبيل السمّة والادمان والوساوس النفسية؛ ويقود الانسان إلى الشقاء .
 - ٧- انه يترك آثاراً مخربة تفوق الآثار التي يخلفها البخل والاحتكار .
 - ٨- انه يجعل من الانسان جليساً مع الشيطان ورفيقاً له في الدنيا ويحشر مع أهل الجحيم في الآخرة .
- ان مفاصد الاسراف تنحصر في أعمال الشر أما في أمور الخير والأعمال الصالحة فلا يعد ذلك من الاسراف مهما توسّع في العمل وسعى في البذل بل يعد ذلك ذخراً للآخرة .

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

الاسراف مذموم في كلّ شيء إلا في أفعال الخير.^(١)

وما نشاهده اليوم في مجتمعاتنا فتنافس في الاسراف من أجل الدنيا وفي أمور الباطل ، أما في عمل الخير التي توجب بناء الروح وتركية النفس وثواب الآخرة

١. غرر الحكم: ٣٥٩؛ مستدرک الوسائل: ١٥ / ٢٧١.

فالساحة كما يقال تكاد تكون مقفرة، فاعرفوا أهل زمانكم.

علامات المسرف

يقول الرسول ﷺ في التعرف على الشخص المسرف:

وَأَمَّا عَلَامَةُ الْمُرَائِي فَأَرْبَعَةٌ يَحْرِصُ فِي الْعَمَلِ بِهِ إِذَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ وَيَكْسَلُ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ وَيَحْرِصُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى الْمَحَمْدَةِ وَيُحْسِنُ سَمْتَهُ بِجُودِهِ وَأَمَّا عَلَامَةُ الْمُنَافِقِ فَأَرْبَعَةٌ فَاجِرٌ دَخَلَهُ يَخَالِفُ لِسَانُهُ قَلْبَهُ وَقَوْلُهُ فِعْلُهُ وَسِرِّرَتُهُ غَلَانِيَّتُهُ قَوْلٌ لِلْمُنَافِقِ مِنَ النَّارِ وَأَمَّا عَلَامَةُ الْحَاسِدِ فَأَرْبَعَةٌ الْغِيْبَةُ وَالتَّمَلُّقُ وَالشَّمَاتَةُ بِالْمُصِيبَةِ وَأَمَّا عَلَامَةُ الْمُسْرِفِ فَأَرْبَعَةٌ الْفَخْرُ بِالْبَاطِلِ وَيَشْتَرِي مَا لَيْسَ لَهُ وَيَلْبَسُ مَا لَيْسَ لَهُ وَيَأْكُلُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ. (١)

٣٤ - انحسار الرزق

في مسألة الرزق سواء كان المادي منه أو المعنوي والروحي فان الحكمة الالهية داخلة في الصميم من هذا الموضوع.

ان الله عز وجل قدّر لكل مخلوق رزقه على قدر قابليته واستعداد ومصلحته.

وليس الناس متساوين في الرزق المادي والمعنوي على نحو دائم ذلك انه سبحانه وكما يفيد منطوق الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾. (٢)

٢. سورة الإسراء (١٧): ٣٠.

١. بحار الأنوار: ١/ ١٢٢.

لا ينزل رزقه دون حساب وعلة وسبب وإنما الأمر خاضع للحكمة الإلهية فهو الله الخالق الرازق الخبير بعباده والمحيط بمصائرهم ومصالحهم ومفاسدهم.

قال عز وجل في محكم كتابه العزيز:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾. (١)

يسعى كثير من الناس في مضاعفة ثروته وتوسيع ممتلكاته عن طريق الكسب الحرام، وهو يعد ذلك ذكاءً وفطنة ونجاحاً غافلاً عن أن مصلحته الحقيقية تكمن في القناعة بما رزقه الله، وكان عليه أن يسلك سبل الكسب الحلال، باذلاً اهتمامه في السير المعنوي واثراء حياته الروحية وتنمية الجانب المعنوي من أجل تكامله.

بينما يؤدي به الحرص والتهافت على المادة والثروة إلى افتقاره وافلاسه روحياً وبالتالي السقوط في براثن الفشل والموت الروحي.

يقول الامام الباقر (عليه السلام):

الْكَمَالُ كُلُّ الْكَمَالِ التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالصَّبْرُ عَلَى النَّائِبَةِ، وَتَقْدِيرُ الْمَعِيشَةِ. (٢)

وجاء في الروايات:

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا يَجْعَلَ رِزْقِي عَلَى أَيْدِي الْعِبَادِ فَقَالَ عَ أَبَى اللَّهُ عَلَيْكَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَلَكِنْ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ رِزْقَكَ عَلَى أَيْدِي خِيَارِ خَلْقِهِ فَإِنَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ وَلَا يَجْعَلُهُ عَلَى أَيْدِي شِرَارِ

٢. الكافي: ٣٢/١؛ بحار الأنوار: ١٧٢/٧٥.

١. سورة الشورى (٤٢): ٢٧.

خَلَقَهُ فَإِنَّهُ مِنَ الشَّقَاوَةِ. (١)

وربما يكون انحسار الرزق حالة من الامتحان الالهي لا اختبار الانسان روحياً فيعلم مدى صبره وربما يكون انفتاح الرزق عليه هو الآخر امتحاناً الهياً للانسان للكشف عن مدى تقديره للنعم الالهية وشكره للمنعم تبارك وتعالى .

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لنجلاه الحسن سبط الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله

وَأَعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَلَنْ تَعْدُوا أَجَلَكَ وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ وَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَخْرُومٍ وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرِّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَغْتَاخَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عَوْضاً وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ حُرّاً وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلُ الْهَلَكَةِ وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ دُوْ نِعْمَةٍ فَاَفْعَلْ فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قَسَمِكَ وَآخِذُ سَهْمِكَ وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُ. (٢)

وقد يحدث الحرمان من الرزق بسبب بعض الذنوب التي يرتكبها الانسان .

جاء في الحديث النبوي الشريف قوله صلوات الله عليه وآله :

مَنْ حَبَسَ عَنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ شَيْئاً مِنْ حَقِّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَرَكَةَ الرِّزْقِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ. (٣)

٢. نهج البلاغة : الكتاب ٣١ .

١. بحار الأنوار : ٢٤٤/٧٥ .

٣. بحار الأنوار : ٢٩٣/١٠١ .

وقال الامام الباقر عليه السلام:

إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُرْوَى عَنْهُ الرِّزْقُ. ^(١)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

كثرة السحت يمحق الرزق. ^(٢)

وجاء في وصايا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لأبي ذر الغفاري:

يا أباذر اني دعوت الله جل ثناؤه أن يجعل رزق من يحبني كفافاً، وأن يعطي

من يبغضني كثرة المال والولد. ^(٣)

وجاء في بعض أدعية الامام أمير المؤمنين عليه السلام وكان يدعو به بعد صلاة

الفرصة:

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْأَقْتَارِ، فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقِكَ

وَأَسْتَغْطِفْ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَغِي بِحَمْدٍ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتِنَ بِذِمٍّ مَنْ مَنَعَنِي

وَأَنْتَ مِنْ وَزَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيَّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ^(٤)

٣٥ - شماتة الأعداء

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

إِنَّمَا سَمِيَ الْعَدُوُّ عَدُوًّا لِأَنَّهُ يَعْدُو عَلَيْكَ فَمَنْ دَاهَنَكَ فِي مَعَايِكَ فَهُوَ الْعَدُوُّ

وَالْعَادِي عَلَيْكَ. ^(٥)

٢. الكافي: ٢/ ٢٧٠؛ بحار الأنوار: ٣١٨/ ٧٠.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.

١. بحار الأنوار: ٣١٨/ ٧٠.

٣. مكارم الأخلاق: ٤٦٣.

٥. غرر الحكم: ٤٦١.

قال الراغب: العدو هو الذي يتحرى اغتيال الآخر ويزادة فيما يؤدى إلى مصالحه، واعلم ان العدو ضربان: باطن لا تدرك ذاته بالحاسة، وظاهر يدرك بالحاسة. فالباطن اثنان: أحدهما: الشيطان وهو أصل كل عدو يعادي معادة جوهريّة.

وقد حذرنا الله منه غاية التحذير فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

والثاني: النفس الأمّارة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ وقول النبي ﷺ:

أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك.^(١)

والأعداء الظاهرين ثلاثة أنواع أو أصناف:

١- شياطين الانس فهناك من الناس ما استحال في صفاته وطبيعته إلى شيطان قد انسلخ عن انسانيته وآدميته فالصورة صورة انسان أما الباطن فهو شيطان وسورة الناس تشير بصراحة إلى هذا النوع من الشياطين.

٢- الانسان السيئ وتنشأ العداوة لديه بسبب أخلاقي كعداوة الانسان السافل للانسان النبيل، وعداوة الجاهل للعالم، وقد تحدث العداوة لأسباب دنيويّة وتجاوزات ومنافسات حول موقع ومنصب وثروة.

يقول الامام الرضا عليه السلام:

ثَلَاثَةٌ مُؤَكَّلٌ بِهَا ثَلَاثَةٌ تَحَامُلُ الْأَيَّامَ عَلَى ذَوِي الْأَدْوَاتِ الْكَامِلَةِ وَاسْتِيْلَاءِ

١. بحار الأنوار: ٦٧/٦٤؛ عدّة الدّاعي: ٣١٤.

الْحَرِّمَانِ عَلَى الْمُتَقَدِّمِ فِي صَنْعَتِهِ وَمُعَادَاةُ الْعَوَامِّ عَلَى أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ. ^(١)

وهذا الحديث الشريف يحتاج إلى دراسة اجتماعية ورصد ميداني لمعرفة البواعث والأسباب.

فالإنسان النبيل الرفيع الأخلاق نجده يعاني داخل مجتمعه ويقاسي كثيراً، أمّا الحرمان فيكون من نصيب الأشخاص المتفوّقين في حقول الابداع، وكذا هذا العداء من الغوغاء لأهل المعرفة.

ولهذا نجد حملة الحقيقة محاصرين في كلّ زمان ومكان، يعانون من عداء الآخرين، ومن شماتة العدو.

ان للمصائب طعماً مرّاً ولكن ما يضاعف المرارة شماتة العدو وقد جاء في الأثر: قيل لأَيُّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ شَيْءٍ كَانَ عَلَيْكَ أَشَدَّ فِي بِلَاثِكَ؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: شماتة الأعداء.

كلّ المصائب قد تمرّ على الفتى فتهون غير شماتة الأعداء

عَدَاوَةُ الْأَقَارِبِ أَمْرٌ مِنْ لَسَعِ الْعَقَارِبِ. ^(٢)

٣- الإنسان المؤذي

وبعض الناس يكونون مصدر أذى للإنسان ويصبحون سبباً في هلاكه الأخرى، وبالرغم من درجة القرابة القريبة إلّا أنّهم يصنفون ضمن الأعداء. قال تعالى:

٢. غرر الحكم: ٤٠٧.

١. بحار الأنوار: ٤٢/٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)

وهذا الصنف الثالث يدخل ضمن الامتحانات الالهية للبشر ووضعهم على محك التجارب.

فهناك من الأشخاص من يرتكب المعاصي من أجل زوجته وأولاده فيؤدي به إلى الهلاك والشقاء في الآخرة.

واستعاذة الامام السجاد بالله عز وجل من شماتة الأعداء، المقصود شماتة شياطين الجن وشياطين الانس، ذلك ان الشيطان يشمت بالانسان إذا وقع في معصية وفرح النفس الأمارّة باتباعها شماتة منها، وشماتة العدو الظاهر ظاهرة، قال بعضهم: مسح القفار ونزح البحار واحصاء القطار أهون من شماتة الأعداء^(٢) والأنبياء والرسل والأوصياء ليسوا بمنأى عن سهام البلاء هذا نبي الله أيوب تعرض لأنواع المحن ولما اشتد به البلاء دعا الله عز وجل أن ينزل عليه رحمته:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾^(٣)

فقد سلبت جميع النعم منه وأضحى وحيداً مريضاً منبوذاً خارج المدينة لا حول ولا قوّة واستجاب الله دعاءه ونزلت عليه الرحمة حتى أولاده الذين ماتوا قبل محنته عادوا إلى الحياة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾^(٤)

٢. رياض السالكين: ٣٩١/٢ - ٣٩٢.

١. سورة التغابن (٦٤): ١٤.

٤. سورة ص (٣٨): ٤٣.

٣. سورة الأنبياء (٢١): ٨٣.

وهطلت عليه سحب الرحمة الإلهية أضعافاً مضاعفة وكرّمه الله عزّ وجلّ لصبره وإيمانه الراسخ، وكانت شماتة العدو من أشدّ أنواع البلاء الذي حلّ به .

أورد العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان رواية عن الامام الصادق عليه السلام حول محنة نبي الله أيّوب عليه السلام جاء فيها :

فلما طال عليه البلاء ورأى إبليس صبره أتى أصحابا له كانوا رهبانا في الجبال وقال لهم مروا بنا إلى هذا العبد المبتلى ونسأله عن بليته فركبوا بغالا شهباء وجاءوا فلما دنوا منه نفرت بغالهم من نتن ريحه فقرنوا بعضها إلى بعض ثم مشوا إليه وكان فيهم شاب حدث السن فقعدوا إليه، فقالوا يا أيوب لو أخبرتنا بذنبك لعل الله كان يهلكنا إذا سألناه وما نرى ابتلاءك بهذا البلاء الذي لم يبتل به أحد إلا من أمر كنت تستره فقال أيوب وعزة ربي إنه ليعلم أنني ما أكلت طعاما إلا ویتيم أو ضيف يأكل معي وما عرض لي أمران كلاهما طاعة لله إلا أخذت بأشدهما على بدني فقال الشاب سواه لكم عمدتم إلى نبي الله فغيرتموه حتى أظهر من عبادة ربه ما كان يسترها، فقال أيوب يا رب لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت بحجتي فبعث الله إليه غمامة فقال أيوب أدلني بحجتك فقد أقعدتك مقعد الحكم وها أنا ذا قريب ولم أزل فقال يا رب إنك لتعلم أنه لم يعرض لي أمران قط كلاهما لك طاعة إلا أخذت بأشدهما على نفسي ألم أحمذك ألم أشكرك ألم أسبحك قال فنودي من الغمامة بعشرة ألف لسان يا أيوب من صيرك تعبد الله والناس عنه غافلون و تحمده وتسبحه وتكبره والناس عنه غافلون أتمن على الله بما لله فيه المنة عليك قال فأخذ أيوب التراب فوضعه في فيه ثم قال لك العتبي يا رب أنت فعلت

ذلك بي، فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء فعاد أحسن ما كان وأطراً وأنبت الله عليه روضة خضراء ورد عليه أهله وماله وولده وزرعه وقعد معه الملك يحدثه ويؤنسه فأقبلت امرأته معها الكسر، فلما انتهت إلى الموضع إذ الموضع متغير وإذا رجلان جالسان فبكت وصاحت وقالت يا أيوب ما دهاك فنادها أيوب، فأقبلت فلما رآته وقد رد الله عليه بدنه ونعمته سجدت لله شكراً فرأى ذوابتها مقطوعة وذلك أنها سألت قوماً أن يعطوها ما تحمله إلى أيوب من الطعام وكانت حسنة الذوائب فقالوا لها تبيعينا ذوائبك هذه حتى نعطيك فقطعتها ودفعتها إليهم وأخذت منهم طعاماً لأيوب، فلما رآها مقطوعة الشعر غضب وحلف عليها أن يضربها مائة سوط فأخبرته أنه كان سببه كيت وكيت فاغتم أيوب من ذلك فأوحى الله إليه: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ﴾ فأخذ مائة شمر أخضضها وضربها ضربة واحدة فخرج من يمينه ثم قال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ قال: فرد الله عليه أهله الذين ماتوا قبل البلاء ورد عليه أهله الذين ماتوا بعد ما أصابه البلاء كلهم أحياءم الله تعالى، فعاشوا معه، وسئل أيوب بعد ما عافاه الله أي شيء كان أشد عليك مما مر عليك قال شماتة الأعداء. ^(١)

قال الجاحظ: ما رأيت سناناً (رمحاً) هو أنفذ من شماتة الأعداء.

وفي يوم القيامة ينطلق صوت المستضعفين الذين اتبعوا المستكبرين في تمردهم على رسالات الله عز وجل يتهمونهم بالدس والمكر والكيد والتآمر.

١. تفسير القمي: ٢ / ٢٤٠ - ٢٤٢.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ *
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذٍ
جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾^(١)

٣٦ - الحاجة إلى الكفاء أو النظائر

ويستعيد الامام السجاد بالله عز وجل من الفقر والحاجة إلى الكفاء أو النظائر .
والاكفاء جمع كفوء وهو النظير والمساوي ، والظاهر أن المراد بالاكفاء الأمثال
والأشباه في النسب أو الحسب ، وإنما خصّهم بالذكر لأنّ الفقر إليهم أشدّ مضاضة
على الانسان من غيرهم .

وليس مثل الفقر ظرف وامتحان يكشف عن جوهر الانسان فالرجل الكريم
الأيّ تأبى عليه كرامته أن يخضع للآخر مهما بلغت به الحاجة ، قال تعالى :

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)

ولهذا فان المؤمن يكون عزيزاً أياً في كلّ الظروف الصعبة .

يقول الامام الصادق عليه السلام : لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه .

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام :

... احْتَجَّ إِلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أُسِيرُهُ وَأَسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرُهُ^(٣)

١ . سورة سبأ (٣٤) : ٣١ - ٣٢ . ٢ . سورة المنافقون (٦٣) : ٨ .

٣ . بحار الأنوار : ٤١١ / ٧١ ؛ الخصال : ٤٠ / ٢ .

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا^(١)

الفقر في كلام العلامة المجلسي

يقول العلامة المجلسي رحمه الله في تعليقه على الحديث أعلاه:

توضيح هذه الرواية من المشهورات بين الخاصة والعامة وفيها ذم عظيم

للفقر ويعارضها الأخبار السابقة وما روي عن النبي ﷺ: الْفَقْرُ فَخْرِي وَبِهِ

أَفْتَحِرُ وَقَوْلُهُ ﷺ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمْنِنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ

الْمَسَاكِينِ.

وَيُؤَيِّدُ هَذِهِ الرَّوَايَةَ مَا رَوَاهُ الْعَامَّةُ عَنْهُ ﷺ: الْفَقْرُ سَوَادُ الْوُجْهِ فِي الدَّارَيْنِ.

و قد قيل في الجمع بينها وجوه^(٢).

الفقر في كلام الراغب الاصفهاني

قال الراغب في المفردات:

الفقر يستعمل على أربعة أوجه: الأول: وجود الحاجة الضرورية وذلك عام

للإنسان ما دام في دار الدنيا بل عام للموجودات كلها وعلى هذا قوله

عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ وإلى

١. الكافي: ٣٠٧/٢؛ بحار الأنوار: ٢٤٦/٧٠.

٢. بحار الأنوار: ٣٠/٦٩.

ويعجبني فقري إليك ولم يكن
ليعجبني لو لا محبتك الفقر
ويقال افتقر فهو مفتقر وفقير ولا يكاد يقال فقر وإن كان القياس يقتضيه
وأصل الفقير هو المكسور الفقار انتهى. وهذا أحسن ما قيل في هذا المقام
ومنهم من حمل سواد الوجه على المدح أي أنه كالخال الذي على وجه
المحبوب فإنه يزينه ولا يشينه وقيل المراد بالوجه ذات الممكن ومن الفقر
احتياجه في وجوده وسائر كمالاته إلى الغير وكون ذلك الاحتياج سواد
وجهه عبارة عن لزومه لذاته بحيث لا ينفك كما لا ينفك السواد عن محله ولا
يخفى بعدهما والأظهر حملة مع صحته على الفقر المذموم كما مر.

وقال الغزالي في شرح هذا الخبر: إذ الفقر مع الاضطرار إلى ما لا بد منه قارب أن يوقع في الكفر لأنه يحمل على حسد الأغنياء والحسد يأكل الحسنات وعلى التذلل لهم بما يندس به عرضه وينثلم به دينه وعلى عدم الرضا بالقضاء وتسخط الرزق وذلك إن لم يكن كفرا فهو جار إليه ولذلك استعاذ المصطفى من الفقر. وقال بعضهم لأن أجمع عندي أربعين ألف دينار حتى أموت عنها أحب إلي من فقر يوم وذل في سؤال الناس ووالله ما أدري ما ذا يقع مني لو ابتليت ببلية من فقر أو مرض قلعي أكفر ولا أشعر فلذلك قال: كاد الفقر أن يكون كفرا لأنه يحمل المرء على كل صعب وذلول وربما يؤديه إلى الاعتراض على الله والتصرف في ملكه والفقر نعمة من الله داع إلى الإنابة والالتجاء إليه والطلب منه وهو حلية الأنبياء وزينة الأولياء وزينى الصالحاء ومن ثم ورد خبر إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين فهو نعمة جليلة بيد أنه مولم شديد التحمل.^(١)

الفقر في كلام الغزالي

قال الغزالي:

قال الغزالي هذا الحديث ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وفوائده وغوائله حتى ينكشف لك أنه خير من وجه شر من وجه وليس بخير محض ولا بشر محض بل هو سبب للأمرين معا يمدح مرة ويذم مرة والبصير المميز يدرك أن الممدوح

١. بحار الأنوار: ٦٩ / ٣٠ - ٣٢.

منه غير المذموم. ^(١)

ومن هنا قال النبي ﷺ:

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَعْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِ
غَيْرِهِ. ^(٢)

وقال لقمان الحكيم لابنه:

قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ، اْعْلَمْ أَيُّ بُنْيَإِي قَدْ ذُقْتُ الصَّبْرَ وَأَنْوَاعَ الْمُرِّ فَلَمْ أَرْ أَمْرًا مِنْ
الْفَقْرِ فَإِنْ افْتَقَرْتَ يَوْمًا فَاجْعَلْ فُكْرَكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ. ^(٣)

وقال الامام السجاد زين العابدين عليه السلام:

طَلَبُ الْحَوَائِجِ إِلَى النَّاسِ مَذَلَّةٌ لِلْحَيَاةِ وَمَذْهَبَةٌ لِلْحَيَاءِ وَاسْتِحْقَافٌ بِالْوَقَارِ
وَهُوَ الْفَقْرُ الْخَاضِرُ وَقِلَّةُ طَلَبِ الْحَوَائِجِ مِنَ النَّاسِ هُوَ الْغِنَى الْخَاضِرُ. ^(٤)

٣٧ - ضنك العيش ومشاق الحياة

أحياناً يصادف الانسان أن تتغلق في وجهه كل أبواب الحياة فتراه يطرق
الأبواب باباً باباً فلا ينفتح له باب، فيقع في ضنك من العيش.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾. ^(٥)

والضنك هو الضيق بسبب مصاعب الحياة ومشاق المعيشة، حيث تضغط هموم

١. بحار الأنوار: ٣٢/٦٩. ٢. الكافي: ١٣٩/٢؛ بحار الأنوار: ١٧٨/٧٠.

٣. بحار الأنوار: ٥٣/٦٩؛ كنز الفوائد: ٦٦/٢.

٤. بحار الأنوار: ١٣٦/٧٥؛ تحف العقول: ٢٧٩.

٥. سورة طه (٢٠): ١٢٤.

الحياة على الانسان وتعصف به هواجس الفقر ويصاب بالكآبة واليأس .
وعادة ما يكون الانسان الغافل عن مسؤوليته ، أو الغارق في هموم الحياة
المادية الدنيوية عرضة للهواجس والخوف من المستقبل المجهول .
أمّا الانسان المؤمن فانه يستند إلى ركن وثيق وقوة لانهاية لها ولا حدود إلى
رب الوجود واهب الحياة .
ان الفقر الروحي هو من وراء اصابة الانسان بالكثير من الأمراض النفسية وفي
طليعتها اليأس والكآبة والعجز عن مواجهة التحديات .

ضنك المعيشة في كلام العلامة الطباطبائي

يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره وشرحه الآية الكريمة :
«وقوله «فان له معيشة ضنكاً» أي ضيقة وذلك ان من نسي ربه وانقطع عن
ذكره ولم يبق له إلا أن يتعلّق بالدنيا ويجعلها مطلوبه الوحيد ، الذي يسعى له ويهتم
باصلاح معيشته والتوسع فيها والتمتع منها .
والمعيشة التي أوتيتها لا تسعه سواء كانت قليلة أو كثيرة ، لأنه كلما حصل منها
واقبتها ، لم يرض نفسه بها ، وانتزعت إلى تحصيل ما هو أزيد وأوسع من غير أن
يصل منها على حد .
فهو دائماً في ضيق صدر وحنق ممّا وجد متعلّق القلب بما وراءه مع ما يهجم
عليه من الهم والغم والحزن والقلق والاضطراب والخوف بنزول النوازل وعروض
العوارض من موت ومرض وعاهة وحسد حاسد وكيد كائد وخيبة سعي وفراق
حبيب .

ولو أنه عرف مقام ربه ذاكراً غير ناس أيقن ان له حياة عند ربه لا يخالطها موت، وملكاً لا يعتريه زوال، وعزة لا يشوبها ذلة، وفرحاً وسروراً ورفعاً وكرامة لا تقدر بقدر له من الدنيا وسعة ما أوتيته من المعيشة من غير ضيق وضنك»^(١) ويقول العلامة الراحل رضوان الله تعالى عليه في بحثه معنى العذاب في القرآن الكريم:

«القرآن الكريم يعد معيشة الناسي لربه ضنكاً وإن اتسعت في أعيننا كل الاتساع.

وحقيقة الأمر كما مرّ اجمال بيانه في تفسير قوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٢).

ان سرور الانسان وغمه وفرحه وحزنه ورغبته ورهبته وتعذبه وتنعمه، كل ذلك يدور مدار ما يراه سعادة أو شقاوة هذا أولاً وان النعمة والعذاب وما يقاربهما من الأمور تختلف باختلاف ما تنسب إليه، فالروح سعادة وشقاوة وللجسم سعادة وشقاوة وكذا للحيوان منهما شيء وللانسان منهما شيء وهكذا وهذا ثانياً. والانسان المادي الدنيوي الذي لم يتخلق بأخلاق الله تعالى ولم يتأدب بأدبه يرى السعادة المادية هي السعادة ولا يعبأ بسعادة الروح وهي السعادة المعنوية. فيتولع في اقتناء المال والبنين والجاه ويسط السلطنة والقدرة وهو وإن كان يريد من قبل نفس هذا الذي ناله لكنه ما كان يريد إلا الخالص من التمتع واللذة على ما صور له خياله، واذا ناله رأى الواحد من اللذة محفوفاً بالألوف من الألم.

١. تفسير الميزان: ٢٢٥/١٤.

٢. سورة البقرة (٢): ٣٥.

فما دام لم ينل ما يريد كان أمنية وحسرة وإذا ناله وجده غير ما يريد لما يرى فيه من النواقص، ويجد معه من الآلام وخذلان الأسباب التي ركن إليها ولم يتعلّق قلبه بأمر فوقها فيه طمأنينة القلب وهو السلوة عن كلّ فائتة فكان أيضاً حسرة، فلا يزال فيما وجده متألماً به معرضاً عنه طالباً لما هو خير منه لعلّه يشفي غليل صدره وفيما لم يجده متقلّباً بين الآلام والحسرات فهذا حالة فيما وجده وذاك حاله فيما فقده»^(١).

تفسير الآية الشريفة في كلام الامام الصادق عليه السلام

جاء في بعض الروايات عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير الآية الكريمة:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾^(٢).

قال عليه السلام: يعني ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: «ونحشره يوم القيامة أعمى؟»

قال عليه السلام: يعني أعمى البصر في الآخرة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

قال عليه السلام: هو متحير في القيامة يقول:

﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٣).

١. تفسير الميزان: ١١/٣ ذيل الآية ٤ من سورة آل عمران.

٢. سورة طه (٢٠): ١٢٤. ٣. سورة طه (٢٠): ١٢٥-١٢٦.

يقول الرسول الأكرم ﷺ:

مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمَّهُ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَالزَّمَّ قَلْبَهُ أَرْبَعَ خِصَالٍ:
هَمًّا لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَدًا، وَشُغْلًا لَا يَنْفَرُجُ مِنْهُ أَبَدًا وَفَقْرًا لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ أَبَدًا، وَأَمَلًا
لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَدًا.^(١)

وجاء في جانب من دعاء للإمام الباقر عليه السلام:

أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الرَّفَاهِيَةَ فِي مَعِيشَتِي مَا أَبْقَيْتَنِي، مَعِيشَةً أَقْوَى بِهَا عَلَى طَاعَتِكَ
وَأَبْلُغُ بِهَا رِضْوَانَكَ وَأَصِيرُ بِهَا إِلَى دَارِ الْحَيَوَانِ غَدًا وَلَا تَرْزُقْنِي رِزْقًا
يُطْغِيَنِي وَلَا تَبْتَلِنِي بِفَقْرٍ أَشْقَى بِهِ مُضِيقًا عَلَيَّ.^(٢)

٣٨ - الموت قبل الاستعداد لسفر الآخرة

الموت نهاية كل مخلوق حيٍّ، ونهاية كلٍّ من يعيش في هذه الدنيا الزائلة
وبداية لعالم الآخرة الباقية، فمن كان زاده التقوى فلا يخاف ولا يخشى بل يفرح
بحلوله وانقضاء أجله.

قال رسول الله ﷺ:

تحفة المؤمن الموت.^(٣)

أما العصاة والطغاة والبلغاة الذين عصوا رسل الله ولم يتبعوا رسالات الله
عز وجل فلا زاد لهم في سفر الآخرة ومصيرهم الشقاء الأبدي.

١. مجموعة ورام: ١/١٣٠.

٢. الكافي: ٢/٥٨٩؛ بحار الأنوار: ٩١/٢٦٩.

٣. المحجة البيضاء: ٨/٢٤٠.

الاستعداد للموت في الروايات

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا الْإِسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ؟ قَالَ: أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابُ
الْمَحَارِمِ، وَالِإِسْتِمَالُ عَلَى الْمَكَارِمِ، ثُمَّ لَا يُبَالَى أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ
الْمَوْتُ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ مَا يُبَالَى ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ
عَلَيْهِ. ^(١)

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله:

أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا. ^(٢)

وقيل للامام زين العابدين عليه السلام:

مَا خَيْرٌ مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ قَدْ فَرَغَ مِنْ أُنْبِيَّتِهِ وَدُورِهِ
وَقُصُورِهِ. قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُنُوبِهِ تَائِبًا وَعَلَى الْخَيْرَاتِ
مُقِيمًا، يَرُدُّ عَلَى اللَّهِ حَبِيبًا كَرِيمًا. ^(٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَنْتُزِكْ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ أَعْنَى مِنْهُ. ^(٤)

قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغمور في ظلماتها

١. بحار الأنوار: ٢٦٣/٦٨؛ مستدرک الوسائل: ١٠٠/٢.

٢. بحار الأنوار: ٢٦٧/٦٨؛ وسائل الشيعة: ٤٣٥/٢.

٣. بحار الأنوار: ٢٦٧/٦٨؛ الدعوات: ١٢٢.

٤. بحار الأنوار: ٢٦٧/٦٨؛ الدعوات: ١٢٣.

ومن المكرّم منكم في قعرها	قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذي القبور فواحد	لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن	تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة	يفضي إلى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلّب	في حفرة يأوي إلى حيّاتها
وعقارب تسعى إليه فروحه	في شدة التعذيب من لدغاتها

* * *

صاح هذه قبورنا تملأ الرحب	فأين القبور من عهد عاد
رب لحد قد صار لحداً مراراً	ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين	من طويل الأزمان والآباد
خفف الوطء ما أظن أديم	الأرض إلّا من هذه الأجساد

* * *

تناجيك أجدات وهن سكوت	وسكّانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة	لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

٣٩- الحسرة الكبرى

الهي بك ألوذ وبك أعوذ وبك أستجير وإلى رحمتك الواسعة ألجأ من يوم
الحسرة الكبرى والندم العظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

الهي وربّي مالي أحد سواك، الهي التجئ إلى حماك يوم يدوي صوت عدلك:

وقفوهم أنهم مسؤولون .

وفي هذا اليوم العظيم تحاسب النفوس على ما ارتكبت من الأعمال .

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ .^(١)

ان مصير الانسان في هذا اليوم مرهون بما قام به من أعمال في الدنيا .

وعندما يشاهد الأشرار نتائج أعمالهم ويرون مصيرهم البائس الرهيب يومئذ يطلقون آهات الحسرة الكبرى والندم الشديد .

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ

السَّخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ

حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .^(٢)

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .^(٣)

أجل سوف يعضون أصابع الندم على ما ارتكبه من أخطاء وخطايا وكيف كانوا يسخرون ممن يحذّرهم من مغبة عصيانهم للتعاليم الإلهية والشرائع السماوية .

أحوال المجرمين يوم القيامة

ان للمجرمين يوم القيامة ثلاثة مواقف مختلفة :

١ - أنهم يطلقون آهات الحسرة الكبرى لدى ورودهم ساحة الحشر .

٢ . سورة الزمر (٣٩) : ٥٦ - ٥٨ .

١ . سورة المدثر (٧٤) : ٣٨ .

٣ . سورة مريم (١٩) : ٣٩ .

٢- وعندما يرون ثواب الله الذي يغمر به الأتقياء من عبادِه، فإنهم يتمنون ذلك لأنفسهم.

٣- وعندما يرون العذاب قد أحرق بهم يتمنون لو أنهم يعودون إلى عالم الدنيا.
قال رسول الله ﷺ:

ان ابن آدم لفي غفلة عما خلق له... فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فبسطا كتاباً معقوداً في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق وآخر شهيد، ثم قال رسول الله ﷺ: ان قدامكن لأمرأ عظيماً لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم.^(١)

وقد ورد في الروايات أسماء أخرى ليوم القيامة من قبيل يوم الحسرة يوم الندامة يوم المحاسبة، وفي يوم الحسرة جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيُشْرِفُونَ وَيَنْظُرُونَ وَقِيلَ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيُشْرِفُونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيَقَالُ لَهُمْ: تَعْرِفُونَ الْمَوْتَ فَيَقُولُونَ: هُوَ هَذَا وَكُلُّ قَدْ عَرَفَهُ قَالَ: فَيُقَدَّمُ وَيُذْبَحُ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ الآية.^(٢)

وجاء في رواية أخرى قوله ﷺ:

١. كشف الغمة: ٣٤٧/٢؛ تفسير الميزان: ٣٥٧/١٨، ذيل آية ٢٤ من سورة ق.

٢. بحار الأنوار: ٣٤٤/٨ - ٣٤٥.

فَيَفْرَحُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا لَوْ كَانَ أَحَدٌ يَوْمَئِذٍ مَيِّتًا لَمَاتُوا فَرَحًا وَيَشْهَقُ أَهْلُ النَّارِ
شَهَقَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مَيِّتًا لَمَاتُوا. (١)

﴿يَحْسَرَتْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾. (٢)

وفي يوم القيامة يتمنى أهل النار الموت للخلاص من العذاب، غير أن هذه
الأمنية مستحيل أن تتحقق.

تفسير جنب الله

جاء في الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن المراد من جنب الله هو الامام
أمير المؤمنين عليه السلام.

يقول الامام موسى الكاظم عليه السلام في تفسير قوله تعالى :

﴿يَحْسَرَتْنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾. (٣)

جَنْبُ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَلِكَ مَا كَانَ بَعْدَهُ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ بِالْمَكَانِ الرَّفِيعِ
إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى آخِرِهِمْ. (٤)

ويا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يكذبون أن الذين كانوا
يعرفون أهل البيت ثم لا يعترفون بامامتهم سوف يتحسرون على ما فرطوا في
هذه النعمة العظيمة، فلو أنهم اتبعوا وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله في طاعة خلفائه بالحق

١. بحار الأنوار: ٣٤٥/٨؛ الدر المنثور: ٢٧٢/٤؛ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٤٢٤/٦، ذيل

آية ٣٩ من سورة مريم. ٢. سورة الأنعام (٦): ٣١.

٣. سورة الزمر (٣٩): ٥٦. ٤. الكافي: ١٤٥/١.

لسعدوا إلى الأبد، ولكنهم عصوا وغرّتهم الحياة الدنيا وآل مصيرهم إلى الشقاء الأبدى.

وفي يوم القيامة سوف يندم العلماء الذين لم يتبعوا علمهم بالعمل.
يقول الامام الباقر عليه السلام:

إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ وَصَفُوا الْعُدْلَ ثُمَّ خَالَفُوهُ... (١)

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

فَيَالِهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ! نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَابَةً. (٢)

وعند ما يرى المجرمون أنفسهم مطرودين من رحمة الله عز وجل حينئذٍ سوف يندمون.

يقول النبي صلى الله عليه وآله:

الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يُحْبَسُ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَدْخُلَ الْحَزَنُ فِي جَوْفِهِ ثُمَّ يَرْحَمُهُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ الَّذِي أَدْخَلَ أَجْوَافَهُمُ الْحَزَنَ فِي طُولِ الْمُحْشَرِ. (٣)

ولسوف يندم أولئك الذين يتحدثون عن العدالة ولكنهم في سيرتهم يخالفون تماماً ما كانوا عنه يتحدثون وبه يتظاهرون.

١. المحاسن: ١/ ١٢٠، باب ٦٤، حديث ١٣٤؛ بحار الأنوار ٢/ ٣٠.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٦٣. ٣. بحار الأنوار: ٧/ ١٢٨.

أما الناس الذين يلتزمون بشرائع الدين فهم يومئذ آمنون .
يقول النبي ﷺ :

أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ أَمِنْ يَوْمِ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ: إِذَا أُعْطِيَ شَيْئًا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِذَا أَدْنَبَ
ذَنْبًا قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَإِذَا
كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ سَأَلَ رَبَّهُ وَإِذَا خَافَ شَيْئًا لَجَأَ إِلَى رَبِّهِ. ^(١)

٤٠ - المصيبة العظمى

ان مشكلات الانسان الأخلاقية والنفسيّة والروحيّة تبدأ عندما ينخدع بمظاهر
الحياة وبزخرفها وبهاجها وبريقها الخداع .
أجل من هنا تبدأ آلام البشر ورحلة التيه والضياح في البحث عن السعادة فيما
هم يبتعدون عنها يوماً بعد آخر .
ان الذين يديرون ظهورهم إلى السماء وشرائع الدين إنما يحكمون على
أنفسهم بالشقاء حيث يواجهون في النهاية مصيرهم البأس .
﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسُوهُمْ
كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾. ^(٢)
وهكذا ينخدع البشر بالبريق الدنيوي الزائف وتغوص أقدامه في مستنقع
الشهوات واشباع النزوات إلى أن يغرقون فلا ينتبهون إلا بعد فوات الأوان ونهاية
الامتحان .

٢ . سورة الأعراف (٧) : ٥١ .

١ . مجموعة ورام: ٢ / ٢٣٧ .

جاء في الروايات التاريخية :

بَيْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ يُعَبِّهِمُ لِلْحَرْبِ إِذْ أَتَاهُ شَيْخٌ عَلَيْهِ شَخْبَةُ السَّفَرِ فَقَالَ: أَيُّنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقِيلَ: هُوَ ذَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ سَمِعْتُ فِيكَ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا أَحْصِي وَإِنِّي أَظُنُّكَ سَتُعْتَالُ فَعَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، قَالَ: نَعَمْ يَا شَيْخُ مَنْ اعْتَدَلَ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُوتٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هِمَّتَهُ اسْتَدَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ فَرَاغِهَا وَمَنْ كَانَتْ غَدُهُ شَرَّ يَوْمِيهِ فَمَحْرُومٌ وَمَنْ لَمْ يُبَالِ مَا رَزَى مِنْ آخِرَتِهِ إِذَا سَلِمَتْ لَهُ دُنْيَاهُ فَهُوَ هَالِكٌ وَمَنْ لَمْ يَتَعَاهَدِ النَّقْصَ مِنْ نَفْسِهِ غَلَبَ عَلَيْهِ الْهَوَى وَمَنْ كَانَ فِي نَقْصٍ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ يَا شَيْخُ إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ خُلُودٌ وَلَهَا أَهْلٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ لَهَا أَهْلٌ ظَلَفَتْ أَنْفُسَهُمْ عَنْ مُفَاخَرَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا لَا يَتَنَافَسُونَ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَحُونَ بِغَضَارَتِهَا وَلَا يَحْزَنُونَ لِبُؤْسِهَا يَا شَيْخُ مَنْ خَافَ الْبَيَاتَ قَلَّ نَوْمُهُ مَا أَسْرَعَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ فِي عُمُرِ الْعَبْدِ فَاحْزُنْ لِسَانَكَ وَعَدَّ كَلَامَكَ يَقِلَّ كَلَامُكَ إِلَّا بِخَيْرٍ يَا شَيْخُ ارْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ وَأَتِ إِلَى النَّاسِ مَا تُحِبُّ أَنْ يُؤْتِيَ إِلَيْكَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَمَا تَرَوْنَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا يُمَسُّونَ وَيُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى فَبَيْنَ صَرِيحٍ يَتَلَوَّى وَبَيْنَ غَائِدٍ وَمَعُودٍ وَآخَرٍ بِنَفْسِهِ يَجُودُ وَآخَرٍ لَا يُرْجَى وَآخَرٍ مُسَجَّى وَطَالِبِ الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَغَافِلٍ وَلَيْسَ بِمَعْفُولٍ عَنْهُ وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي يَصِيرُ الْبَاقِي.

فَقَالَ لَهُ رَيْدُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيُّ سُلْطَانٍ أَغْلَبَ وَأَقْوَى؟ قَالَ: الْهَوَى، قَالَ: فَأَيُّ ذُلٍّ أَذْلُ؟ قَالَ: الْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا، قَالَ: فَأَيُّ فَقْرٍ أَشَدُّ؟ قَالَ:

الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ، قَالَ: فَأَيُّ دَعْوَةٍ أَضَلُّ؟ قَالَ: الدَّاعِي بِمَا لَا يَكُونُ، قَالَ: فَأَيُّ عَمَلٍ أَفْضَلُ؟ قَالَ: التَّقْوَى، قَالَ: فَأَيُّ عَمَلٍ أَنْجَحُ؟ قَالَ: طَلَبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَيُّ صَاحِبٍ شَرُّ؟ قَالَ: الْمُزَيْنُ لَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَيُّ الْخَلْقِ أَشَقَى؟ قَالَ: مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ، قَالَ: فَأَيُّ الْخَلْقِ أَقْوَى؟ قَالَ: الْحَلِيمُ، قَالَ: فَأَيُّ الْخَلْقِ أَشْحُ؟ قَالَ: مَنْ أَخَذَ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ فَجَعَلَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ أَكْبَسُ؟ قَالَ: مَنْ أَبْصَرَ رُشْدَهُ مِنْ غِيَةِ فَمَالَ إِلَى رُشْدِهِ، قَالَ: فَمَنْ أَحْلَمَ النَّاسِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَعْصَبُ، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ أَتَبُّ رَأْيًا؟ قَالَ: مَنْ لَمْ يَغْرَهُ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ وَلَمْ تَغْرَهُ الدُّنْيَا بِتَشَوُّفِهَا، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ أَحْمَقُ؟ قَالَ: الْمُعْتَرِ بِالدُّنْيَا وَهُوَ يَرَى مَا فِيهَا مِنْ تَقَلُّبِ أَحْوَالِهَا، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ حَسْرَةً؟ قَالَ: الَّذِي حُرِمَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمُبِينُ، قَالَ: فَأَيُّ الْخَلْقِ أَعْمَى؟ قَالَ: الَّذِي عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ يَطْلُبُ بِعَمَلِهِ الثَّوَابَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَأَيُّ الثُّنُوعِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْقَانِعُ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَصَائِبِ أَشَدُّ؟ قَالَ: الْمُصِيبَةُ بِالْدِّينِ، قَالَ: فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: انْتِظَارُ الْفَرَجِ، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: أَحْوَفُهُمْ لِلَّهِ وَأَعْمَلُهُمْ بِالتَّقْوَى وَأَرْهَدُهُمْ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: فَأَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: كَثْرَةُ ذِكْرِهِ وَالتَّصَرُّعُ إِلَيْهِ وَدُعَاؤُهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْقَوْلِ أَصْدَقُ؟ قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: التَّسْلِيمُ وَالْوَرَعُ، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: مَنْ صَدَّقَ فِي الْمَوَاطِنِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ فَقَالَ: يَا شَيْخُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقًا ضَيِّقَ الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ نَظَرًا لَهُمْ فَرَّهَدُهُمْ فِيهَا وَفِي حُطَامِهَا فَرَّغِبُوا فِي دَارِ السَّلَامِ الَّذِي دَعَاهُمْ

إِلَيْهِ وَصَبَرُوا عَلَى ضِيقِ الْمَعِيشَةِ وَصَبَرُوا عَلَى الْمَكْرُوهِ وَاشْتَأَقُوا عَلَى مَا
عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكَرَامَةِ وَبَدَلُوا أَنْفُسَهُمْ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ وَكَانَتْ خَاتِمَةُ أَعْمَالِهِمْ
الشَّهَادَةُ فَلَقُوا اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ وَعَلِمُوا أَنَّ الْمَوْتَ سَبِيلٌ مَنْ مَضَى وَمَنْ
بَقِيَ فَتَزَوَّدُوا لِآخِرَتِهِمْ غَيْرَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَبِسُوا الْخَشِينَ وَصَبَرُوا عَلَى
الْقَوَتِ وَقَدَّمُوا الْفَضْلَ وَأَحَبُّوا فِي اللَّهِ وَأَبْغَضُوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْلِيكَ
الْمَصَابِيحُ وَأَهْلُ النَّعِيمِ فِي الْآخِرَةِ وَالسَّلَامُ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: فَأَيْنَ أَذْهَبُ وَأَدْعُ الْجَنَّةَ وَأَنَا أَرَاهَا وَأَرَى أَهْلَهَا مَعَكَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَهَّزْنِي بِقُوَّةٍ اتَّقَوَى بِهَا عَلَى عَدُوِّكَ فَأَعْطَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام
سِلَاحًا وَحَمَلَهُ فَكَانَ فِي الْحَرْبِ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَضْرِبُ قُدَمًا
وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَعْجَبُ مِمَّا يَصْنَعُ فَلَمَّا اشْتَدَّتِ الْحَرْبُ أَقْدَمَ فَرَسَهُ حَتَّى
قَتَلَ رَحِمَ اللَّهُ وَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَوَجَدَهُ صَرِيعًا
وَوَجَدَ دَابَّتَهُ وَوَجَدَ سَيْفَهُ فِي ذِرَاعِهِ فَلَمَّا انْقَضَتِ الْحَرْبُ أَتَى
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِدَابَّتِهِ وَسِلَاحِهِ وَصَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَيْهِ وَقَالَ: هَذَا
وَاللَّهِ السَّعِيدُ حَقًّا فَتَرَحَّمُوا عَلَى أَخِيكُمْ. ^(١)

ان أشد المصائب التي يبتلى بها الناس هي المصيبة في الدين، ذلك أن من
يخسر دينه فهذا يعني انه خسر الدنيا والآخرة.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً:

إِذَا حَضَرَتْ بَلِيَّةٌ فَاجْعَلُوا أَمْوَالَكُمْ دُونَ أَنْفُسِكُمْ، وَإِذَا نَزَلَتْ نَازِلَةٌ
فَاجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ دُونَ دِينِكُمْ وَعَلِّمُوا أَنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ دِينُهُ وَالْحَرِيبُ

مَنْ حُرِبَ دِينُهُ. (١)

وقال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى حول مؤمن آل فرعون: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا...﴾ (٢):

أما لقد سطوا عليه وقتلوه ولكن أتدرون ما وقاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه. (٣)

وهذه قصص الأنبياء والرسل الالهيين وتعرضوا له من محن ومصائب وآلام فقد نشر زكريا عليه السلام بالمناشير وقطع رأس ابنه يحيى عليه السلام وكم قُتل من الأنبياء على أيدي طغاة بني إسرائيل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله! فهل رأيت نبياً ساوم على دينه من أجل دنياه؟! أبداً.

وهذا من نعم الله عز وجل على عباده المؤمنين انه لم يجعل مصائبهم في دينهم، يقول الامام الصادق عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي. (٤)

جذور الاعراض عن الدين

ان معظم المصائب في مسألة الدين ناجمة عن الاعراض عن الدين، وفي ضوء القرآن الكريم ان ذلك يعود إلى بعض الأخلاقيات والعقد النفسية التي يعاني منها الكثير.

١. الكافي: ٢/ ٢١٦؛ بحار الأنوار: ٦٥/ ٢١٢.

٢. سورة غافر (٤٠) ٤٥.

٣. تفسير القمي: ٢/ ٢٥٨، ذيل آية ٤٥ من سورة غافر.

٤. الكافي: ٣/ ٢٦٢؛ وسائل الشيعة: ٣/ ٢٤٧.

ان طريق الدين طريق ساطع قويم غير ان النفس المريضة والقلوب التي ران عليها الظلام تحجب عن الانسان الرؤية وتصيبه بالعمى ، وفي ضوء الآيات القرآنية فان جذور الاعراض عن الدين تكمن في ما يلي :

١ - انعدام التفكير في الغاية العليا للخلق وانعدام التأمل في آثار الخلق الالهي ما يؤدّي في النهاية إلى انطفاء النور في داخل الانسان وانعدام الرؤية .

٢ - ان الدين الالهي ينسجم مع الفطرة الانسانية النقية ، وبسبب تلوث النفس الانسانية جراء المعاصي والذنوب يخمد صوت الفطرة ويضيع وسط عربة الغرائز الحيوانية .

٣ - عدم الاصغاء إلى تعاليم الأنبياء والرسالات الالهية والشرائع السماوية السمحاء .

٤ - ان كتاب الله العزيز وقرآنه الكريم إنما هو نور ساطع يضيء للانسان طريق السعادة ، وعندما يعرض الانسان عن كتاب الله ، فلا بد وأن يسقط في ظلمات الجهل والحرمان من المعارف العظيمة .

٥ - ان آثار الخلق الالهي وما تشتمل عليه الطبيعة من الأسرار المدهشة ، ان كلّ ذلك يقود الانسان إلى الهداية ولكن الانسان وبسبب بعض العقد النفسية لا يكثر لذلك ويبقى فريسة الأمراض الروحية .

٦ - التقاليد الخاطئة والخرافات والعقائد المضلّة تكون سدّاً يحول بين الانسان ورؤية الحقيقة .

٧ - الانسان هو الفقير المطلق والله هو الغني المطلق ومع ذلك فان الانسان وبسبب استغراقه في الحياة المادية يغفل عن هذه الحقيقة ، فتظهر في داخله

وتتضخم الأنانية والغرور.

٨- اتباع الأهواء النفسية وتلبية الغرائز الحيوانية وتدفع بالانسان إلى الاعراض عن وصايا الأنبياء، ولذلك فان أقصاء خليفة النبي الأكرم ﷺ بالحق جرّ على المسلمين المصائب والويلات.

٩- التوجه الدنيوي والاستغراق في الدنيا يجرّ الانسان إلى السقوط في مستنقع الرذيلة، وكلّما ازداد الانسان تعلّقاً بالدنيا ازداد بعداً عن الآخرة.

١٠- الأمراض الاخلاقية من قبيل النفاق، النرجسية (الاعجاب بالنفس وعشق الذات) والحسد و... تحول بين الانسان ورؤية الحقيقة والتكبر على الحق وعدم الاذعان لدعوة الأنبياء كما حصل ذلك واضحاً في مكة عندما صدع الرسول الأكرم ﷺ برسالة الله وعلان الدعوة للدين الحق.

قال الامام الصادق عليه السلام لأصحابه:

سَتَصِيبُكُمْ شُبُهَةٌ فَتَبْقُونَ بِأَعْلَمٍ يُرَى وَلَا إِمَامٍ هُدَى وَلَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا مَنْ دَعَا
بِدُعَاءِ الْغَرِيقِ. قُلْتُ: كَيْفَ دُعَاءُ الْغَرِيقِ؟ قَالَ: يَقُولُ: «يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ
يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(١)

٤١- ذروة الشقاء

ان دخول الانسان وبسبب أعماله السيئة النار هو ذروة الشقاء ذلك المصير الأبدي البائس.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

١. بحار الأنوار: ٥٢/ ١٤٨؛ كمال الدين: ٣٥٢/ ٢.

وَارِدُ النَّارِ مُؤَبَّدُ الشَّقَاءِ. ^(١)

ان النفس الأمارة بالسوء تدعو إلى الشرّ وارتكاب الشرور والسقوط في العصيان، الذي يقود الانسان إلى السقوط في هاوية النيران.

يقول الله تبارك وتعالى محدّراً عباده من هذا المصير الأسود:

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. ^(٢)

ويا له من شقاء رهيب وعذاب أليم لا ينتهي:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَنِيَ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾. ^(٣)

يقول الرسول الأكرم ﷺ:

لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ خَائِفاً مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ لَا يَتَيَقَّنُ الْوُصُولَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ حَتَّى يَكُونَ وَقْتُ نَزْعِ رُوحِهِ وَظُهُورِ مَلِكِ الْمَوْتِ لَهُ وَذَلِكَ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَرُدُّ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَهُوَ فِي شِدَّةِ عِلَّتِهِ وَعَظِيمِ ضَيْقِ صَدْرِهِ بِمَا يُخَلِّفُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ وَعِيَالِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ اضْطِرَابِ أَحْوَالِهِ فِي مُعَامِلِيهِ وَعِيَالِهِ وَقَدْ بَقِيَتْ فِي نَفْسِهِ حَزَانَتُهَا وَاقْتِنَاعُ دُونَ أَمَانِيَّتِهِ فَلَمْ يَنْلُهَا فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ مَا لَكَ تَتَجَرَّعُ غُصَصَكَ فَيَقُولُ لِاضْطِرَابِ أَحْوَالِي وَاقْتِنَاعِي دُونَ أَمَالِي فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَهَلْ يَجْزَعُ عَاقِلٌ مِنْ فَقْدِ دِرْهَمٍ زَائِفٍ قَدْ اغْتَاضَ عَنْهُ بِأَلْفِ أَلْفٍ ضِعْفِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ لَا فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَانْظُرْ فَوْقَكَ فَيَنْظُرُ فَيَرَى دَرَجَاتِ

١. غرر الحكم: ١٦٩.

٢. سورة الليل (٩٢): ١٤ - ١٦.

٣. سورة هود (١١): ١٠٦.

الْجَنَانِ وَقُصُورَهَا الَّتِي تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَمَانِي فَيَقُولُ لَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ تِلْكَ
مَنَازِلُكَ وَنِعْمُكَ وَأَمْوَالُكَ وَأَهْلُكَ وَعِيَالُكَ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِكَ هَاهُنَا وَذُرِّيَّتُكَ
صَالِحًا فَهُمْ هُنَاكَ مَعَكَ أَفْتَرَضَى بِهِ بَدَلًا مِمَّا هَاهُنَا فَيَقُولُ: بَلَى وَاللَّهِ ثُمَّ يَقُولُ
لَهُ: انْظُرْ فَيَنْظُرُ فَيَرَى مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَالطَّيِّبِينَ مِنْ آلِهِمَا فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ فَيَقُولُ
لَهُ: أَوَلَا تَرَاهُمْ هَؤُلَاءِ سَادَاتُكَ وَأَيْمَتُكَ هُمْ هُنَاكَ جُلَاسُكَ وَأَنَاسُكَ أَفَمَا تَرْضَى
بِهِمْ بَدَلًا مِمَّا تُفَارِقُ هَاهُنَا؟ فَيَقُولُ: بَلَى وَرَبِّي فَذَلِكَ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ
الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾ فَمَا
أَمَامَكُمْ مِنَ الْأَهْوَالِ فَقَدْ كُفِّتُمْوهَا وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا تَخَلَّفُونَهُ مِنَ الذَّرَارِيِّ
وَالْعِيَالِ وَالْأَمْوَالِ فَهَذَا الَّذِي شَاهَدْتُمُوهُ فِي الْجَنَانِ بَدَلًا مِنْهُمْ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ هَذِهِ مَنَازِلُكُمْ وَهَؤُلَاءِ سَادَاتُكُمْ وَأَنَاسُكُمْ وَجُلَاسُكُمْ نَحْنُ
أُولِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ. ^(١)

ويقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

إِنَّ حَقِيقَةَ السَّعَادَةِ أَنْ يُخْتَمَ لِلْمَرْءِ عَمَلُهُ بِالسَّعَادَةِ وَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّقَاءِ أَنْ
يُخْتَمَ لِلْمَرْءِ عَمَلُهُ بِالشَّقَاءِ. ^(٢)

وسئل عليه السلام:

أَيُّ الْخَلْقِ أَشَقَى؟ قَالَ: مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ. ^(٣)

وهؤلاء الذين يبيعون دينهم بدنياهم سيكون مصيرهم الشقاء الأبدي والأسوأ

١. بحار الأنوار: ٢٦/٢٤ - ٢٧. ٢. بحار الأنوار: ٦٨/٣٦٤؛ معاني الأخبار: ٣٤٥.

٣. بحار الأنوار: ٣٠١/٧٢؛ الأمالي، الشيخ الطوسي: ٤٣٥.

منهم حالاً الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم .

جاء في الروايات :

سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَظِيمِ الشَّقَا؟ قَالَ: رَجُلٌ تَرَكَ لِلدُّنْيَا فَفَاتَتْهُ الدُّنْيَا
وَحَسِرَ الْآخِرَةَ وَرَجُلٌ تَعَبَّدَ وَاجْتَهَدَ وَصَارَ يُرَآئِي النَّاسَ فَذَاكَ الَّذِي حُرِمَ لَذَاتِ
الدُّنْيَا مِنْ رِيَاءٍ وَلِحَقَّةِ التَّعَبِّ الَّذِي لَوْ كَانَ بِهِ مُخْلِصاً لَأَسْتَحَقَّ ثَوَابَهُ فَوَرَدَ
الْآخِرَةَ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ عَمِلَ مَا يَنْقُلُ بِهِ مِيزَانُهُ فَيَجِدُهُ هَبَاءً مَنْثُوراً. ^(١)

وقال عليه السلام لشريح القاضي عندما اشترى قصراً:

فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ أَبْتِغَتْ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ
غَيْرِ حَالِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ. ^(٢)

أشدّ العذاب !

في ضوء الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ان أشدّ العذاب سوف يكون من
نصيب :

- ١ - العلماء الذين لم يستثمروا علمهم في حياتهم اليومية وسيرتهم .
- ٢ - الذين تورّطوا بقتل نبي من الأنبياء أو وصي من الأوصياء أو كانت نهايتهم
على أيدي الأنبياء والأوصياء .
- ٣ - أئمة الباطل والضلال وقادة الحركات الهدامة .
- ٤ - الذين ينحتون الأصنام الحجرية والبشرية .

٢ . نهج البلاغة: الكتاب ٣.

١ . بحار الأنوار: ١٠٠ / ١٤ - ١٥ .

٥ - الذين يجزون الاحسان بالاساءة ويقابلون المعروف بالكفران والاساءة.

٦ - الذين يحتجون على قضاء الله وقدره ومشيتته.

٧ - الذين تستعبدهم الأطماع ويذلّهم الحرص.

٨ - الانسان الجاهل الذي لا يعرف الطريق.

ولذا ينبغي للانسان أن يشمر عن ساعديه للخلاص من الشقاء من قبل أن تلتهمه السنة نار جهنم وبئس المصير.

اجْعَلْ كُلَّ هَمِّكَ وَسَعْيِكَ لِلْخَلَاصِ مِنْ مَحَلِّ الشَّقَاءِ وَالْعِقَابِ وَالنَّجَاةِ مِنْ مَقَامِ
الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ.^(١)

٤٢ - النهاية البائسة

ان مصير الانسان ومسيره هو إلى المبدأ الذي جاء منه، يقول الامام
أمير المؤمنين عليه السلام:

فَلْيَصْدُقْ رَأْيُ أَهْلِهِ وَلْيُحْضِرْ عَقْلُهُ وَلْيَكُنْ مِنْ أَتْبَاءِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ
وَالِيَهَا يَنْقَلِبُ.^(٢)

ويقول الامام زين العابدين عليه السلام:

أَشَدُّ سَاعَاتِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ:

السَّاعَةُ الَّتِي يُعَايِنُ فِيهَا مَلَكَ الْمَوْتِ.

وَالسَّاعَةُ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا مِنْ قَبْرِهِ.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٥٤.

١. غرر الحكم: ١٤٤.

وَالسَّاعَةُ الَّتِي يَقِفُ فِيهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَأَمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى
النَّارِ... (١)

ويقول عليه السلام في قنوته :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُرْبِ الْمَوْتِ وَمِنْ سُوءِ الْمَرْجِعِ فِي الْقُبُورِ وَمِنْ النَّدَامَةِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَسْأَلُكَ عَيْشَةً هَنِيئَةً وَمَيِّتَةً سَوِيَّةً وَمُنْقَلَبًا كَرِيمًا غَيْرَ مُخْزٍ وَلَا
فَاضِحٍ. (٢)

وفي ضوء الآيات والروايات فان عودة الانسان أو معاده إلى الآخرة له
تفسيرين :

١ - عودة تصحبها ضغوط القبر ومرارة الحياة في عالم البرزخ وانتقال فجائي
إلى ساحة الحشر والقيامة .
يقول الامام الصادق عليه السلام :

قَالَ عِيسَى عَ لَجَبْرِئِيلَ مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ فَأَنْتَفَضَ جَبْرِئِيلُ انْتِفَاضَةً أُعْمِي
عَلَيْهِ مِنْهَا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ يَا رُوحَ اللَّهِ مَا الْمَسْئُولُ أَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ وَلَهُ مَنْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْثَةٌ. (٣)

٢ - عودة أو معاد مقترن بالعذاب والاحتراق في نار جهنم إلى الأبد وهو ما
تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى :

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسَّسُ الْمِهَادُ﴾. (٤)

١. بحار الأنوار: ١٥٩/٦؛ الخصال: ١١٩/١.

٢. مفتاح الفلاح: ٣٣٧؛ بحار الأنوار: ٢٩٩/٨٤.

٣. بحار الأنوار ٣١٢/٦. ٤. سورة ص (٣٨): ٥٥ - ٥٦.

انّ جهنّم هي مصير الظالمين، وسوف يبقون في هذا الوادي المليء بالحميم والحميم والنار إلى الأبد.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّغْيِينِ مَابًا﴾^(١).

وتكون جهنم بالمرصاد لهؤلاء تتخطفهم، أجل ستكون جهنم مصير المنافقين والمارقين والقاسطين والناكثين والظالمين.

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام بشأن المارقين الخوارج الذين قاتلوه في النهروان:

فَأَوْبُوا شَرَّ مَا بٍ وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ...^(٢)

٤٣- الحرمان من الثواب

تدل الآيات القرآنية والروايات على أنّ الخسران يعني الحرمان من الثواب الالهي والبركات الأخروية، وهذا المصير ناجم عن عدم الايمان بالاسلام والاعراض عن قيادة أئمة أهل البيت عليهم السلام.

والثواب هو الخير الذي وعده الله به عباده المتّقين الذي كانوا يعملون الصالحين ويقومون بأعمال الخير، في مقابل الشر الذي سوف يلقاه الأشرار بسبب سوء أعماله وشرورهم في الدنيا:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٥٧.

١. سورة النبأ (٧٨): ٢١ - ٢٢.

٣. سورة آل عمران (٣): ٨٥.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. (١)

وهذا قانون الهي من أجل ترشيد حركة الانسان ومساره باتجاه النجاة.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، زِيَادَةً

لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحَيَاشَةَ لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ. (٢)

وجاء في الحديث النبوي الشريف:

إِنَّ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ سَبْعَ سِنِينَ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُذْنِبُونَ لِأَنَّهُمْ

مَعْصُومُونَ مُطَهَّرُونَ لَا يُذْنِبُونَ وَلَا يَزِيغُونَ وَلَا يَرْتَكِبُونَ ذَنْبًا صَغِيرًا وَلَا

كَبِيرًا.

وَقَالَ عليه السلام: إِنَّ أَيُّوبَ مِنْ جَمِيعِ مَا ابْتُلِيَ بِهِ لَمْ تُنْتِنْ لَهُ رَائِحَةٌ وَلَا قَبِحَتْ لَهُ

صُورَةٌ وَلَا خَرَجَتْ مِنْهُ مِدَّةٌ مِنْ دَمٍ وَلَا قَيْحٌ وَلَا اسْتَقْدَرَهُ أَحَدٌ رَأَهُ وَلَا

اسْتَوْحَشَ مِنْهُ أَحَدٌ شَاهِدَهُ وَلَا تَدَوَّدَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِهِ وَهَكَذَا يَصْنَعُ اللَّهُ

عَزَّوَجَلَّ بِجَمِيعِ مَنْ يَبْتَلِيهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُكَرَّمِينَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا اجْتَنَبَهُ

النَّاسُ لِفَقْرِهِ وَضَعْفِهِ فِي ظَاهِرِ أَمْرِهِ لِجَهْلِهِمْ بِمَا لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ مِنْ

التَّائِيدِ وَالْفَرْجِ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: أَكْظَمُ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ وَإِنَّمَا ابْتَلَاهُ

اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِالْبَلَاءِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَهُونُ مَعَهُ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِنَلَا يَدْعُوا لَهُ

الرُّبُوبِيَّةَ إِذَا شَاهَدُوا مَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْهِ مِنْ عَظَائِمِ نِعَمِهِ تَعَالَى مَنَى

١. سورة الزلزال (٩٩): ٧ - ٨.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٣٦٨.

شَاهِدُوهُ وَلِيَسْتَدِلُّوا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ النَّوَابَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَى ضَرْبَيْنِ
 اسْتِحْقَاقٍ وَاخْتِصَاصٍ وَلَيْتَلَّا يَحْتَقِرُوا ضَعِيفًا لِضَعْفِهِ وَلَا فَقِيرًا لِفَقْرِهِ وَلَا
 مَرِيضًا لِمَرَضِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهُ يُسْقِمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَشْفِي مَنْ يَشَاءُ مَتَى شَاءَ
 كَيْفَ شَاءَ بِأَيِّ سَبَبٍ شَاءَ وَيَجْعَلُ ذَلِكَ عِبْرَةً لِمَنْ شَاءَ وَشَقَاوَةً لِمَنْ شَاءَ
 وَسَعَادَةً لِمَنْ شَاءَ وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِهِ وَحَكِيمٌ فِي
 أَفْعَالِهِ لَا يَفْعَلُ بِعِبَادِهِ إِلَّا الْأَصْلَحَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ لَهُمْ إِلَّا بِهِ. (١)

٤٤- السقوط في هاوية العذاب

ان السقوط في هاوية العذاب هو المصير الحتم الذي ينتظر الظالمين والأشرار
 والمجرمين، ولكن الله عز وجل يمهل ولا يهمل ونوافذ التوبة مشرعة وأبواب
 الانابة مفتوحة لكل من يتوب وينيب ويعود إلى الجادة الصواب.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾. (٢)

وهو سبحانه شديد العقاب واسع المغفرة رحيم بعباده، فاذا تاب الانسان
 وأتاب غسل بتوبته أدران المعاصي ليعود إلى الله بقلب سليم.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (٣)

يشير الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى احدى المفارقات في حياة الناس قائلاً:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِي الطَّعَامَ لِأَذِيَّتِهِ كَيْفَ لَا يَحْتَمِي الذَّنْبَ لِأَلِيمِ عُقُوبَتِهِ. (٤)

١. بحار الأنوار: ١٢ / ٣٤٨ - ٣١٩.

٢. سورة طه (٢٠): ١٢٩.

٣. سورة المائدة (٥): ٩٨.

٤. غرر الحكم: ١٦٦.

عَجِبْتُ لِمَنْ عَلِمَ شِدَّةَ انْتِقَامِ اللَّهِ مِنْهُ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى الْإِصْرَارِ.^(١)

وقد فسّر البعض «الأجل» و«الوعيد» بحلول العقاب.^(٢)

يعني عند ما يتحدث القرآن الكريم عن آجال الأمم فإنه يتحدث عن موعد حلول العقاب ونزول العذاب الذي وعدت به.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.^(٣)

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام حول شدة العذاب الذي ينتظر أهل الجحيم:

سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَآكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ. فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنْمُونَ وَضِمَارًا لَا يُوجَدُونَ. لَا يُفْرِعُهُمْ وَرُودَ الْأَهْوَالِ وَلَا يَخْزِنُهُمْ تَكَرُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَخْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ.^(٤)

أهوال الآخرة

إنّ الخروج من القبر من أشدّ الساعات هولاً ورهبة وهي إحدى ثلاث مراحل يمرّ بها الانسان:

١ - عندما يولد الانسان حيث يتعرّض إلى ضغوط شديدة ليغادر البيت الضيق المظلم الذي كان فيه.

١. غرر الحكم: ١٦٦.

٢. تفسير الثعلبي: ٢٣١/٤، ذيل آية ٣٤ من سورة الأعراف.

٣. سورة الأعراف (٧): ٣٤.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ٢١٢.

٢- وعندما تقبض الروح حيث يعاني شداًد الاحتضار والنزع ومغادرة الروح الجسد.

٣- وعندما يساق إلى ساحة الحشر للحساب.

يقول الامام الصادق في الأخبار عن جانب من عذاب القبر:

أُقْعِدَ رَجُلٌ مِنَ الْأَخْيَارِ فِي قَبْرِهِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّا جَالِدُوكَ مِائَةَ جَلْدَةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
فَقَالَ لَا أُطِيقُهَا فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى جَلْدَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالُوا لَيْسَ مِنْهَا بُدٌّ
قَالَ فَبِمَا تَجْلِدُونِيهَا قَالُوا نَجْلِدُكَ لِأَنَّكَ صَلَّيْتَ يَوْمًا بِغَيْرِ وُضُوءٍ وَمَرَرْتَ عَلَى
ضَعِيفٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ قَالَ فَجَلَدُوهُ جَلْدَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَمْتَلًا قَبْرُهُ
نَارًا. (١)

الدعاء التاسع
في طلب العفو والغفران

﴿١﴾ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَيِّرْنَا اِلَى مَحْبُوْبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ وَاَزِلْنَا عَنْ مَكْرُوْهِكَ مِنَ الْاِضْرَارِ .

﴿٢﴾ اَللّٰهُمَّ وَمَتِّىْ وَقَفِّنَا بَيْنَ نَقْصَيْنِ فِيْ دِيْنٍ اَوْ دُنْيَا فَاَوْقِعِ النَّقْصَ بِاَسْرَعِهِمَا فَنَاءً وَاجْعَلِ التَّوْبَةَ فِيْ اطْوَلِهِمَا بَقَاءً .

﴿٣﴾ وَاِذَا هَمَمْنَا بِهَمٍّ يُرْضِيْكَ اَحْذِهُمَا عَنَّا وَيُسْخِطُكَ الْاٰخَرُ عَلَيْنَا فَمِلْ بِنَا اِلَى مَا يُرْضِيْكَ عَنَّا وَاَوْهِنْ قُوَّتَنَا عَمَّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنَا .

﴿٤﴾ وَلَا تُخَلِّ فِيْ ذٰلِكَ بَيْنَ نَفْسِنَا وَاخْتِيَارِهَا فَاِنَّهَا مُخْتَارَةٌ لِلْبَاطِلِ اِلَّا مَا وَقَفْتَ اَمَارَةً بِالسُّوْءِ اِلَّا مَا رَحِمْتَ .

﴿٥﴾ اَللّٰهُمَّ وَاِنَّكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنَا وَعَلَى الْوَهْنِ بَنَيْتَنَا وَمِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ابْتَدَأْتَنَا فَلَا حَوْلَ لَنَا اِلَّا بِقُوَّتِكَ وَلَا قُوَّةَ لَنَا اِلَّا بِعَوْنِكَ .

﴿٦﴾ فَاَيِّدْنَا بِتَوْفِيْقِكَ وَسَدِّدْنَا بِتَسْدِيْدِكَ وَاَعْمِ اَبْصَارَ قُلُوْبِنَا عَمَّا خَالَفَ مَحَبَّتَكَ وَلَا تَجْعَلْ لِّشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِنَا نَفُوْذًا فِيْ مَعْصِيَّتِكَ .

﴿٧﴾ اَللّٰهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ هَمَسَاتِ قُلُوْبِنَا وَحَرَكَاتِ اَعْضَانِنَا وَلَمَحَاتِ اَعْيُنِنَا وَلَهَجَاتِ اَلْسِنَتِنَا فِيْ مُوجِبَاتِ ثَوَابِكَ حَتَّى لَا تَفُوْتَنَا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُّ بِهَا جَزَاءَكَ وَلَا تَبْقَى لَنَا سَيِّئَةٌ نَسْتَوْجِبُ بِهَا عِقَابَكَ .

[﴿١﴾ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَيِّرْنَا اِلَى مَحْبُوْبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ وَاَزِلْنَا عَنْ مَكْرُوْهِكَ مِنَ الْاِضْرَارِ]

حقيقة التوبة

الأنبياء والرسل والأوصياء هم القادة والهداة للبشريّة في ضوء الرسالات الالهية والتعاليم السماوية وهم الدليل على ارادة الله وهم من يبين للبشر طريق الخير وطريق الشر، وهم من أشرقت على قلوبهم المعارف الحقّة، فسطعت وأضاءت على العالم.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾. ^(١)

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. ^(٢)

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. ^(٣)

٢. سورة النساء (٤): ١٦٥.

١. سورة البقرة (٢): ٢١٣.

٣. سورة الأنعام (٦): ٤٨.

وانه لمن مهام الرسل البشارة والانذار؛ البشارة بجنتات الخلود للصالحين وانذار البشر وتحذيرهم من سوء المصير إذا ما أعرضوا عن رسالات الله وتمردوا على إرادته.

إنَّ الله سبحانه هو الرحمن الرحيم الغفور الكريم الذي كتب على نفسه الرحمة وفتح باب التوبة لعباده؛ ولو لا ذلك لما تمكن الانسان من الخلاص من أسر الذنوب ومن ظلمات العصيان. وقد افتتح الامام السجاد عليه السلام دعاءه بالصلاة على محمد وآله لأنها مفتاح الاجابة، ثم طلب منه سبحانه أن يكون مصيره إلى محبوبه من التوبة، ومعنى محبة الله تبارك وتعالى للتوبة ارادته عز وجل الثواب عليها والاکرام لفاعليها.

ان الله عز وجل يحب التوبة لعباده ويحب من يتوب وإليه ينيب.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(١).

والذي يتوب من ذنوبه ومعاصيه فانه في الحقيقة يتطهر من دنسها ولوثها ويصبح نقياً طاهراً ومؤهلاً للعودة إلى الله عز وجل الذي يسقيهم من شراب طهور. وقد جاء في تفسير مجمع البيان عن أمين الاسلام الطبرسي الذي يروي في تفسير الآية الكريمة أعلاه:

أَيُّ: يُطَهَّرُهُمْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ، إِذْ لَا ظَاهِرَ مَنْ تَدَنَّسَ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَكْوَانِ

إِلَّا اللَّهَ، رَوَاهُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام.^(٢)

١. سورة البقرة (٢): ٢٢٢.

٢. مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٢٣/١٠، ذيل آية ٢١ من سورة انسان؛ تفسير الشعلي: ١٠٥/١٠.

يقول الاستاذ العارف والأديب الشيخ حسن زاده في تقديمه كتاب «مفتاح الفلاح» للشيخ البهائي ذيل الرواية أعلاه:

«لم أر في أمة خاتم الأنبياء محمد ﷺ من العرب والعجم كلاماً يضاهي ما قاله صادق آل محمد صلوات الله عليهم في الغاية القصوى للطهر الانساني فلم أقرأ ولم أسمع من عارف نظيراً له أبداً».

ربّ الأبرار، يسقي الأبرار و«الربّ» مضاف إلى «هم» وفي هذا التعبير من المعاني الكثير.

و«الطهور» في لغة العرب صيغة مبالغة لـ «طاهر» والطهور مطهر فالشراب الذي يشربه الأبرار يوم القيامة طاهر ومطهر، فمن أي شيء يطهر الأبرار هذا الشراب؟

انه يطهرهم ممّا سوى الله عزّ وجلّ فلا يبقى في قلوبهم إلا الله تبارك وتعالى ليكون الأوّل والآخر في حياتهم.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (١)

والحقيقة انه لا شيء سوى الله عزّ وجلّ:

﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (٢)

انّ الله عزّ وجلّ هو الذي يسقي الأبرار من عباده شراباً طهوراً.

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾. (٣)

٢. سورة البقرة (٢): ١١٥.

١. سورة الحديد (٥٧): ٣.

٣. سورة الانسان (٧٦): ٢١.

كنت في سفرة الغرابة والجهل مقيماً فحان مئتي قدوم
بعد خمس وأربعين لقد ما طلت لو لا ان الغريم كريم
تبت عن كل مأثم فعسى يمحي بهذا الحديث ذاك القديم

حب التوبة

ان حبَّ التوبة والانابة مودع في أعماق أولياء الله تعالى ولذا تتدفق قلوبهم شوقاً إليه يدعونه ويتضرعون إليه ويناجونه ويمجدونه سبحانه .
روى المحدث القمّي في أعمال شهر رجب الأصب هذا الدعاء المأثور عن أهل البيت عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَنْقُذُ خَزَائِنُهُ، وَلَا يَخَافُ أَمْنُهُ، رَبِّ ارْتَكَبْتُ الْمَعَاصِيَ فَذَلِكَ ثِقَةٌ بِكَرَمِكَ، إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ، وَتَغْفُو عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَتَغْفِرُ الزَّلَالَ، فَإِنَّكَ مُجِيبٌ لِدَاعِيكَ وَمِنْهُ قَرِيبٌ، وَأَنَا تَائِبٌ إِلَيْكَ مِنَ الْخَطَايَا، وَرَاغِبٌ إِلَيْكَ فِي تَوْفِيرِ حَظِّي مِنَ الْعَطَايَا... (١)

احبك يا بديع الكون يا تسبيحة الزمن

وبي شوق إلى مرآك في الأحشاء يحرقني

لأنك في دروب العمر بالحسنى ترافقني

وتسمع صوتي الواهي وحين ازلُ تدركني

١. بحار الأنوار: ٣٨٢/٩٥، باب ٢٢؛ إقبال الأعمال: ٦٣٣.

ولو ينسى وجودي الناس تبقى أنت تذكرني
ويتركني جميع الخلق لكن لست تتركني

* * *

أحبك يوم ترأف بي على نعشي وفي كفني
أحبك مدركاً أنني على سوئي ستقبلني
وتفتح بابك العلوي في جناتك العدن
أحبك يا صباح الروح يا تسبيحة الزمن

حقيقة الذنب

استناداً إلى آيات القرآن المجيد، فإن كل إنسان يولد، إنما هو فطرة نقية، وإذا
تنفتح عيناه على الدنيا تكون بدايته بداية نظيفة، لا يعرف شيئاً عن المعصية
والذنب والخطأ؛ في داخله نزوع نحو الكمال، فهو يجد فيه لذته الحقيقية ويسعده
ادراك الحقائق.

تموج في أعماقه منظومة ثرية من الأخلاق الرفيعة والنزعات السامية.
ثم تبدأ البيئة تأثيرها بدءاً من سلوك الوالدين في البيت ثم تتسع الدائرة شيئاً
فشيئاً فيدخل الزقاق والمدرسة والرفاق، والأسواق، وكذا الغرائز والميول
والرغبات فإذا غابت عنه أو غيبت تعاليم السماء والأنبياء وسيرة الأوصياء
ترصده الشيطان في دروب الحياة واستجاب للنزعات.

وشيئاً فشيئاً يتدرج في اقتراف المعاصي والذنوب وينغمس في الخطيئة من
كل صوب، فتجبه عن التوجه نحو الخالق الكريم الرحمن الرحيم علام الغيوب.

وهكذا يسقط الانسان فريسة للأمراض النفسية، وهي أمراض قابلة للعلاج بشرط أن ينتبه الانسان إلى نفسه قبل فوات الأوان.

قال رسول الله ﷺ:

يَا عِبَادَ اللَّهِ أَنْتُمْ كَالْمَرْضَى، وَرَبُّ الْعَالَمِينَ كَالطَّبِيبِ، فَصَلِّحُ الْمَرْضَى فِيمَا يَعْمَلُهُ الطَّبِيبُ وَيُدَبِّرُهُ، لَا فِيمَا يَشْتَهِيهِ الْمَرِيضُ وَيَقْتَرِحُهُ. ^(١)

جاء في سيرة السيد المسيح عيسى بن مريم أنه خرج من بيت امرأة عاهر فلما رأى الناس مجتمعين حول الباب قال لهم:

- الناس صنفان من المرضى، مريض يذهب إلى الطبيب بنفسه ومريض يجب على الطبيب أن يعود في بيته، وهذه المرأة ممن يجب على الطبيب أن يذهب لعيادتها!

وكان السيد المسيح في مدينة الناصرة ذات ليلة فقالوا له:

- اشف مرضانا!

فقال ﷺ:

- احضروهم صباح غد حتى اشفهم، فلما طلع الصبح ووقعت عيناه على المرضى وجدهم اقل من عشرة نفر فقال:

- لو أن الاصحاء بقدر هذا العدد لتعجبت.

فطوبى لمريض انتبه إلى مرضه وبادر إلى العلاج فذهب إلى الطبيب بنفسه يطلب منه الخلاص من شرِّ الداء ويسأله الدواء: وفي الدعاء شفاء من كلِّ داء.

١. عدة الداعي: ٣٧؛ مجموعة ورام: ١١٧/٢.

هذا زمان ليس إخوانه يا أيها المرء بإخوان
 إخوانه كلهم ظالم لهم لسانان ووجهان
 يلقاك بالبشر وفي قلبه داء يواريه بكتمان
 حتى إذا ما غبت عن عينه رماك بالزور وبهتان
 هذا زمان هكذا أهله بالود لا يصدقك اثنان

مرض الخطيئة

تتحدث بعض آيات القرآن الكريم عن الخطيئة والذنوب على أنها مرض يصيب الانسان وعن المذنبين باعتبارهم مرضى.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ *
 فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
 يَكْذِبُونَ^(١).

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ
 تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا
 أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾^(٢).

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ
 يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

٢. سورة المائدة (٥): ٥٢.

١. سورة البقرة (٢): ٩ - ١٠.

٣. سورة الأنفال (٨): ٤٩.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. (١)

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾. (٢)

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (٣)

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾. (٤)

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾. (٥)

الاصرار على الخطيئة

جاء في الروايات ان الاصرار على اقتراف الذنوب والمعاصي وعدم الارتداد عن تكرارها واقترافها هو ذنب أكبر من نفس ارتكاب الذنب فارتكاب صغائر الذنوب يخرج المصّر عليها من هذه الحالة كما لو انه قد ارتكب الكبائر . وفي المقابل إذا ارتكب الانسان ذنباً كبيراً وشعر بالندم واستغفر الله وعزم على التوبة فأنها تمحى عنه .

يقول الامام الصادق عليه السلام :

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| ١ . سورة التوبة (٩) : ١٢٥ . | ٢ . سورة الحج (٢٢) : ٥٣ . |
| ٣ . سورة النور (٢٤) : ٥٠ . | ٤ . سورة الأحزاب (٣٣) : ١٢ . |
| ٥ . سورة محمد (٤٧) : ٢٩ . | |

لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الْأِسْتِغْفَارِ^(١)

وجاء في الروايات:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) قَالَ: الْإِصْرَارُ هُوَ أَنْ يُذْنِبَ الذَّنْبَ فَلَا يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِتَوْبَةٍ، فَذَلِكَ الْإِصْرَارُ^(٣).

ويروي أبو بصير (أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام) انه سمعه يقول:

لَا وَاللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ طَاعَتِهِ عَلَى الْإِصْرَارِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِيهِ^(٤).

فالشخص على سبيل المثال يصّر على استخدام الذهب ولبس الحرير أو يختلس النظر إلى امرأة من غير محارمه فان ذنبه الصغير هذا يتحوّل وبسبب الاصرار إلى ذنب كبير.

«والعزم على تكرار الذنب بمنزلة الاصرار. والتوبة والاستغفار تمحو صفات الذنوب وكبائرها، والأعمال الصالحة من قبيل الوضوء والصلاة والصوم تجبر الذنوب الصغيرة».

حتى يصعب على الانسان المصاب بهذا المرض أن يجتث جذور هذا المرض الخطير.

فتكون عاقبة هؤلاء السقوط في نار جهنم.

١. الكافي: ٢/ ٢٨٨؛ وسائل الشيعة: ١٥/ ٣٣٨.

٢. آل عمران (٣): ١٣٥. ٣. الكافي: ٢/ ٢٨٨؛ مجموعة ورام: ١/ ١٨.

٤. الكافي: ٢/ ٢٨٨؛ وسائل الشيعة: ١٥/ ٣٣٧.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاؤُا السُّوْءِ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا
يَسْتَهْزِؤْنَ﴾. (١)

وبسبب الاصرار على الذنوب، والاستغراق في المعاصي وارتكاب الخطيئة،
ينطفئ النور في داخل الانسان، وتنقلب لديه الحقائق، فاذا به يسخر منها
ويستهزئ بتعاليم الأنبياء، أما الذين ينتبهون إلى أنفسهم ويعودون إلى رشدهم
فانهم يجدون الله عز وجل تواباً رحيماً غفوراً كريماً.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِدُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ
* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. (٢)

١. سورة الروم (٣٠): ١٠.

٢. سورة آل عمران (٣): ١٣٥ - ١٣٦.

[﴿٢﴾ اَللّٰهُمَّ وَمَتِّىْ وَقَفْنَا بَيْنَ نَقْصَيْنِ فِيْ دِيْنٍ اَوْ دُنْيَا فَاَوْقِعِ النَّقْصَ بِاَسْرَعِهَمَا فَنَاءً
وَاجْعَلِ التَّوْبَةَ فِيْ اَطْوَلِهَمَا بَقَاءً .

[﴿٣﴾ وَ اِذَا هَمَمْنَا بِهَمٍّ يُرْضِيْكَ اَحَدُهُمَا عَنَّا وَيُسْخِطُكَ الْآخَرُ عَلَيْنَا فَمِلْ بِنَا اِلَى مَا
يُرْضِيْكَ عَنَّا وَاُوْهِنْ قُوَّتَنَا عَمَّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنَا .

[﴿٤﴾ وَلَا تُحِلِّ فِيْ ذَلِكَ بَيْنَ نَفْسِنَا وَاخْتِيَارِهَا فَاِنَّهَا مُخْتَارَةٌ لِلْبَاطِلِ اِلَّا مَا وَقَفْتَ اَمَارَةً
بِالسُّوءِ اِلَّا مَا رَحِمْتَ]

حقيقة الدين والدنيا

في خزائن الحق العظيم لا توجد جوهرة أثمن من الدين ، وفي بحر هذا
الوجود لا توجد لؤلؤة ودرّة أبهى من الدين الذي هو خير الدنيا وخير الآخرة
وفيه الضمان الأكبر على السعادة الأبدية .

الدين هو الحقيقة الخالدة التي تعاقب على ابلاغها إلى البشر مئة وأربعة
وعشرون ألف نبي وآلاف الأوصياء والأولياء منذ أبي البشر آدم ﷺ إلى النبي
الخاتم ﷺ وخلفائه بالحق الأئمة الأطهار .

وقد ارتضى الله سبحانه وتعالى لعباده دينه الحق الاسلام الحنيف :

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. (١)

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (٢)

الدين سراج يضيء الطريق للإنسان والشمس الساطعة التي لا تغيب؛ الدين يطهر أعماق الإنسان من الأدران ويجعل من الروح بيضاء كما هي في حقيقتها قبل اقتراف الخطيئة.

الدين يجعل من الإنسان يسمو في آفاق الكمال ويرتفع حتى يكون مع الأنبياء والصديقين والشهداء.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. (٣)

الدين سلم للإنسان يرتقيه ليصبح نخبة الوجود الذي يحيا إلى الأبد في ظلال الرحمة الإلهية.

آثار الدين والتدين

الدين والتدين يحصن الإنسان من السقوط في مستنقع الرذيلة وأحوال الانحراف؛ ويوفر للمرء حياة كريمة مفعمة بالفضيلة، مشرقة بالأمل بغد أخضر.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾. (٤)

٢. سورة آل عمران (٣): ٨٥.

١. سورة المائدة (٥): ٣.

٤. سورة النساء (٤): ٣١.

٣. سورة النساء (٤): ٦٩.

وفي عالم الدين يمتدّ الزمان ويتمدد ليتّصل بالعالم الخالد والنعيم الدائم .
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا
 ظَلِيلًا﴾^(١).

وهناك يجد الانسان المؤمن المتدين الوعد الالهي وقد تحقق ان الله لا يخلف
 الميعاد .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)
 وفي عالم الدنيا يرسم الدين حياة مستقرّة متوازنة ومجتمعاً يعيش أفراده في
 وئام وأمن وسلام .
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

الدين والتدين في الروايات

ويتسع الدين ليشمل كلّ أبعدا الحياة ، ويمتدّ التدين ليشمل الآفاق الرحبة
 والأعماق البعيدة الغور .
 قال رسول الله ﷺ :

طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ

٢ . سورة المائدة (٥) : ٩ .

١ . سورة النساء (٤) : ٥٧ .

٣ . سورة النحل (١٦) : ٩٠ .

مَعْصِيَةٍ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفَقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَجَانَبَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَعْصِيَةِ^(١).

وقال ﷺ:

خَصْلَةٌ مَنْ لَزِمَهَا أَطَاعَتْهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَرَبِحَ الْفَوْزَ بِقُرْبِ اللَّهِ تَعَالَى فِي دَارِ السَّلَامِ قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: التَّقْوَى، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ثُمَّ تَلَاهُ الْآيَةَ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٢).^(٣)

وقال ﷺ:

خَيْرُ أَعْمَالِكُمْ مَا أَصْلَحْتُمْ بِهِ الْمَعَادَ، خَيْرُ الْعَمَلِ أَذْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ، خَيْرُ الْإِحْوَانِ الْمُسَاعِدُ عَلَى أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، خَيْرُ أُمَّتِي أَنْ هَدَاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَرْغَبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، خَيْرُ إِخْوَانِكُمْ مَنْ أَهْدَى إِلَيْكُمْ عُيُوبَكُمْ^(٤).

وقال ﷺ:

خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ أَعَانَكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَصَدَّكَ عَنِ مَعَاصِيهِ، وَأَمَرَكَ بِرِضَاهُ^(٥).

وقال ﷺ:

كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحَبُّ لِلنَّاسِ مَا

١. مسند الشهاب، ابن سلامة: ٣٥٨/١، ذيل تاريخ بغداد؛ ابن النجار البغدادي: ١١/٥؛

الرواشح السماوية: ٢٨٦. ٢. سورة الطلاق (٦٥): ٢ - ٣.

٣. مجموعة ورام: ١١٧/٢؛ معدن الجواهر: ٢١.

٤. مجموعة ورام: ١٢٣/٢. ٥. مجموعة ورام: ١٢٣/٢.

تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا.^(١)

روايات أخرى

قال رسول الله ﷺ:

أَحْسِنُ مُجَاوَرَةً مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَحْسِنِ مُصَاحَبَةً مَنْ صَاحَبَكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَاعْمَلْ بِفَرَائِضِ اللَّهِ تَكُنْ عَابِدًا، وَارْضَ بِقَسَمِ اللَّهِ تَكُنْ زَاهِدًا، وَارْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ، وَارْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ.^(٢)

وقال ﷺ:

لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، لَا تَخْرِقَنَّ عَلَى أَحَدٍ سِتْرًا، لَا تُحَقِّرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَا تُوَاعِدْ أَخَاكَ مَوْعِدًا فَتُخْلَفُهُ.^(٣)

وقال ﷺ:

لَيْسَ مِنَّا مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَتَرَ عَلَى عِيَالِهِ، لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَيْسَ مِنَّا مَنْ يَتَعَتَّى بِالْقُرْآنِ، لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُؤَقِّرِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمْ الصَّغِيرَ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ.^(٤)

وقال ﷺ:

١. مجموعة ورام: ١/٦٣؛ إرشاد القلوب، الديلمي: ١/١١٨.
٢. المواعظ العددية: ٤٧؛ مستدرك الوسائل: ١١/١٧٥؛ بحار الأنوار: ١١٦/٧٤؛ الأمالى، الشيخ الطوسي: ١٢٠.
٣. المواعظ العددية: ٥٤؛ نهج الفصاحة: ٦٧٣٠؛ مستدرك الوسائل: ٩/١١٩؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩/٢٤٨.
٤. المواعظ العددية: ٦٥؛ عوالي اللآلي: ١/٢٥٥؛ نهج الفصاحة: ٦٦٤.

خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، خَيْرُكُمْ خَيْرٌ لِأَهْلِهِ، خَيْرُكُمْ مَنْ يَرْجَى خَيْرُهُ
وَيُؤْمِنُ شَرُّهُ. ^(١)

وقال ﷺ:

الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَإِمْلَاءُ
الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاءِ الشَّرِّ. ^(٢)

وقال ﷺ:

أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَوْثَقُ الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَأَحْسَنُ الْهُدَى هَدَى
الْأَنْبِيَاءِ. ^(٣)

وقال ﷺ:

أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ اللِّسَانُ، إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ
عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحُ، أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ، أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمْتِي
قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ. ^(٤)

وقال الامام علي عليه السلام:

الْعَقْلُ شَجَرَةٌ أَصْلُهَا التَّقَى، وَفَرْعُهَا الْحَيَاءُ. وَثَمَرَتُهَا الْوَرَعُ. فَالْتَّقَوُى تَدْعُو
إِلَى خِصَالٍ ثَلَاثٍ: إِلَى الْفَقْهِ فِي الدِّينِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى وَالْحَيَاءُ يَدْعُو إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِلَى الْيَقِينِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَالتَّوَاضُّعِ

١. المواعظ العددية: ٦٨؛ نهج الفصاحة: ٤٧٣.

٢. المواعظ العددية: ٦٨؛ نهج الفصاحة: ٧٩٧.

٣. المواعظ العددية: ٧٠؛ بحار الأنوار: ١٣٥/٧٤؛ الاختصاص: ٣٤٢.

٤. المواعظ العددية: ٦٩.

وَالْوَرَعُ يَدْعُو إِلَى ثَلَاثِ خَصَالٍ: إِلَى صِدْقِ اللِّسَانِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى الْبِرِّ،
وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ.^(١)

وقال عليه السلام:

مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ سُنَّةُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ وَسُنَّةُ أَوْلِيَائِهِ فَلَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ.
قِيلَ: وَمَا سُنَّةُ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتْمَانُ السِّرِّ، قِيلَ: وَمَا سُنَّةُ رَسُولِهِ؟ قَالَ: الْمُدَارَاةُ. قِيلَ:
وَمَا سُنَّةُ أَوْلِيَائِهِ؟ قَالَ: اخْتِمَالُ الْأَذَى.^(٢)

وجاء في حديث له عليه السلام:

ثَلَاثٌ بِهِنَّ يَكْمُلُ الْمُسْلِمُ: التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالتَّقْدِيرُ فِي الْمَعَيشَةِ، وَالصَّبْرُ
عَلَى النَّوَائِبِ.^(٣)

وقال عليه السلام يوصي ابنه محمد بن الحنفية:

إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ وَسُوءَ الْخُلُقِ وَقِلَّةَ الصَّبْرِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَكَ عَلَى هَذِهِ
الْخَصَالِ الثَّلَاثِ صَاحِبٌ، وَلَا يَزَالُ لَكَ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ مُجَانِبٌ.^(٤)

ومن هنا فان الدين والتدين هو الذي يفجر طاقات البشر ويرسم لهم الطريق
نحو السعادة والكمال والخلود الأخضر.

الدنيا وعباد الدنيا

ان علاقة الانسان بالدنيا على نحوين، الأول يتخذ من الدنيا طريقاً للآخرة

١. المواعظ العددية: ٢٦٩؛ موسوعة العقائد الاسلامية: ٢٥٥/١.

٢. المواعظ العددية: ٢٧٤.

٣. المواعظ العددية: ٢٧٠؛ بحار الأنوار: ٢١٠/١؛ الخصال: ١٢٤/١.

٤. المواعظ العددية: ٢٧٠؛ بحار الأنوار: ٣٩٨/٧٤، باب ١٥؛ الخصال: ١٤٧/١.

فيعيش حياة مشروعة يكون أسرة، ويكسب ثروة ويبني داراً ويقتني مركباً وتكون له علاقات طيبة مع الآخرين ويسهم في بناء الحياة الكريمة له ولغيره وللأجيال، فهذه دنيا ممدوحة ومحمودة؛ أجل هذه دنيا مشروعة بل هي مزرعة للآخرة وجسر يوصل إلى عالم خالد ومستقبل مشرق.

والثاني دنيا من أجل الدنيا وحياة حيوانية واستغراق في اللذائذ بكل الطرق واللهات وراء الغرائز واشباع الرغبات بكل وسيلة وعبادة للثروة والمال وحرمان الفقراء من حقوقهم والتجاوز على حقوق الآخرين وهذه هي الدنيا المذمومة لأنها تؤذي بالانسان إلى الخسران.

جاء في قصص القرآن كيف طغى قارون وبغى وتكبر وغرته ثرواته وكنوزه وأمواله وقصوره فأعرض عن رسالة الله ورجل.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ﴾^(١)

أجل كان قارون يعبد الدنيا إلى حد الطغيان والعدوان على الأنبياء والمرسلين والتأمر على المؤمنين.

وفي مقابل هذا النموذج السيئ، يشرق مجد نبي الله يوسف بن يعقوب عليهما السلام، إذ مكّن الله له في الأرض؛ فحكم مصر كان مظلوماً مقهوراً فصبر وتعزز للأغراء فاعتصم بالله عز وجل وسجن فتحمل ثم شاء الله أن يخرج من السجن

ليكون عزيز مصر ومن بيده خزانها وثوراتها لكنه جعل كل ذلك في سبيل الله وعاش حياته نقياً طاهراً.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. (١)

وهذا ذوالقرنين الذي لم يكن نبياً بل كان عبداً صالحاً لله عز وجل فاتاه الله الأسباب وسخر له السحاب.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلاً * فَاتَّبَعَ سَبِيلًا﴾. (٢)

مكن الله له في الأرض فأقام حكم الله عز وجل، وهذا هو هدف الرسل والأنبياء والأوصياء.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾. (٣)

قد ملأ حب الله قلوبهم، فلم في قلوبهم حب غيره فهم يتطلعون إلى الدار الآخرة لأنها دار المقام التي وعد الله بها عباده المتقين.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (٤)

وهذه هي دنيا الأنبياء والأوصياء والأولياء، انها تكتسب قيمتها وأهميتها

١. سورة يوسف (١٢): ٢١ - ٢٢.

٢. سورة الكهف (١٨): ٨٤ - ٨٥.

٣. سورة الحج (٢٢): ٤١.

٤. سورة قصص (٢٨): ٨١.

مادامت في طاعة الله، أمّا إذا أصبحت مرتعاً للشيطان، فلا قيمة لها بل انها تشكل أكبر خطر على مستقبل الانسان لأنها سوف تسبّب له في خسارته المستقبل الحقيقي والشقاء الأبدي.

يقول الامام زين العابدين عليه السلام في دعائه متضرعاً إلى الله عزّ وجلّ:

عَمَّرَنِي مَا كَانَ عُمْرِي بِذَلِكَ فِي طَاعَتِكَ فَاذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ
فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ... (١)

وجاء في دعاء آخر له عليه السلام:

اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقْوٌ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي، وَخُذْ إِلَيَّ الْخَيْرَ بِنَاصِيَتِي، وَاجْعَلِ
الْإِيمَانَ مُنْتَهَى رِضَايَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا قَسَمْتَ لِي، وَبَلِّغْنِي بِرَحْمَتِكَ كُلَّ الَّذِي
أَرْجُو مِنْكَ، وَاجْعَلْ لِي وُدّاً وَسُرُوراً لِلْمُؤْمِنِينَ وَعَهْداً عِنْدَكَ. (٢)

ويقول في دعاء له عليه السلام:

أَنْ تَهْدِيَنِي إِلَى سُبُلِ مَرْضَاتِكَ، وَتُيسِّرَ لِي أَسْبَابَ طَاعَتِكَ، وَتَوْفَّقَنِي لِبَتِّغَاءِ
الزُّلْفَةِ بِمُؤَالَاةِ أَوْلِيَائِكَ، وَإِدْرَاكِ الْحُطُوءَةِ مِنْ مُعَادَاةِ أَعْدَائِكَ، وَتُعِينَنِي عَلَى
أَدَاءِ فُرُوضِكَ، وَاسْتِعْمَالِ سُنَّتِكَ، وَتَوْفَّقَنِي عَلَى الْمَحَجَّةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْعِنُقِ
مِنْ عَذَابِكَ، وَالْفَوْزِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. (٣)

الدنيا وعبادة الدنيا في الروايات

ان الدنيا التي تموج بالرزائل وتشتعل بنيران الحرص والبخل بعيداً عن طاعة

١. الصحيفة السجادية: دعاء ٢٠. ٢. بحار الأنوار: ٦٣/٨٤؛ مفتاح الفلاح: ١٨٧.

٣. بحار الأنوار: ٣٥٠/٨٣؛ مفتاح الفلاح: ٢١٣؛ المصباح، الكفعمي: ١٤١.

الله وحياة الفضيلة، فهي دنيا تافهة وستجرّ الانسان إلى هاوية الهلاك والشقاء الأبدى.

ومن هنا جذر أئمة أهل البيت عليهم السلام البشر من حبّ الدنيا.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ حُبُّ الدُّنْيَا.^(١)

وسئل الامام السجاد عليه السلام:

أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؟ قَالَ: مَا مِنْ عَمَلٍ بَعْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَعْرِفَةِ

رَسُولِهِ أَفْضَلُ مِنْ بُغْضِ الدُّنْيَا.^(٢)

ويقول عليه السلام:

إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا.^(٣)

وقال السيّد المسيح عليه السلام:

لَا تَتَّخِذُوا الدُّنْيَا رَبًّا فَتَتَّخِذَكُمُ الدُّنْيَا عِبِيدًا، إِكْنِزُوا كَنْزَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا يُضَيِّعُهُ

لَكُمْ فَإِنَّ صَاحِبَ كَنْزِ الدُّنْيَا يَخَافُ عَلَيْهِ الْآفَةَ، وَصَاحِبُ كَنْزِ اللَّهِ لَا يَخَافُ عَلَيْهِ

الْآفَةُ.^(٤)

وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

١. الكافي: ٣١٥/٢؛ وسائل الشيعة: ٨/١٦.

٢. الكافي: ١٣٠/٢؛ بحار الأنوار: ١٩/٧٠.

٣. الكافي: ١٣١/٢؛ بحار الأنوار: ٤٣/٧٠.

٤. بحار الأنوار: ٣٢٧/١٤؛ مجموعة ورام: ١٢٩/١.

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ شَأُوهُ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَظِرْ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا. (١)

وقال صلوات الله عليه وآله:

الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، وَعَلَيْهَا يُعَادِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ، وَلَهَا يَسْعَى مَنْ لَا يَقِينَ لَهُ. (٢)

وقال ﷺ:

مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَالزَّمَّ قَلْبَهُ أَرْبَعَ خِصَالٍ: هَمًّا لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَدًا، وَشُغْلًا لَا يَنْفَرِجُ مِنْهُ أَبَدًا، وَفَقْرًا لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ أَبَدًا، وَأَمَلًا لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَدًا. (٣)

أجل عندما تتحوّل الدنيا إلى هم وحيد بحيث لا يفكر الانسان إلا فيها فان النتائج التي تتبع ذلك:

- ١- هموم مستمرة لا تتوقف.
- ٢- استغراق في اللهات لا ينتهي.
- ٣- فقر مستمر واحتياجات مستمرة تتطلب من الانسان اللهات من أجل سدّها.
- ٤- آمال طويلة عريضة لا سقف لها.

١. مجموعة ورام: ١٢٩/١؛ الدر المنثور: ٣٤١/٦.

٢. مجموعة ورام: ١٣٠/١؛ مشكاة الأنوار: ٢٦٨.

٣. مجموعة ورام: ١٣٠/١.

رَوَى أَنَّ جَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَطْوَلَ الْأَنْبِيَاءِ عُمرًا كَيْفَ وَجَدْتَ الدُّنْيَا؟

قَالَ: كَدَارٍ لَهَا بَابَانِ، دَخَلْتُ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَخَرَجْتُ مِنَ الْآخَرِ.^(١)

قال رسول الله ﷺ يحذر البشر من الاغترار بالدنيا وسحرها:

إِخْذَرُوا الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا أَسْحَرُ مِنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ.^(٢)

وقال ﷺ:

لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَهَانَتْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا،

وَلَا تَرْتُمُ الْآخِرَةَ.^(٣)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَدِّي أَسْكَ مُلْقَى عَلَى مَرْبَلَةٍ مَيْتًا، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: كَمْ

يُسَاوِي هَذَا؟ فَقَالُوا: لَعَلَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ يُسَاوِ دَرْهَمًا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَالَّذِي

نَفْسِي بِيَدِهِ، الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا الْجَدِّي عَلَى أَهْلِهِ.^(٤)

عباد الدنيا في آيات القرآن الكريم

يعدّ القرآن الكريم الدنيا التي تخلو من طاعة الله عز وجل مجرد لعب ولهو

وزينة وتفاخر وفخ للذين كفروا والظالمين والأشرار، قد انبهروا بها وغرّتهم

وسحرتهم فهم في غيهم يعمهون:

١. مجموعة ورام: ١٣١/١؛ تفسير السمعاني: ١٧١/٤، ذيل تفسير آية ١٤ من سورة العنكبوت.

٢. مجموعة ورام: ١٣١/١؛ كنز العمال: ١٨٢/٣.

٣. مجموعة ورام: ١٣٤/١؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٨٨/١٩.

٤. بحار الأنوار: ٥٥/٧٠؛ الكافي: ١٢٩/٢.

﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (١)

وما قيمة الدنيا يتبعها موت وشقاء؟!

والعاقل من اتخذها جسراً وممرّاً إلى دار البقاء في ظلال عرش الله تبارك وتعالى يوم لا ظلّ إلا ظله.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾. (٢)

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. (٣)

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوَاً وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾. (٤)

قول الإمام علي عليه السلام في الدنيا

إنّما الدنيا فناء ليس في الدنيا ثبوت إنّما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت
ولقد يكفيك منها أيّها الطالب قوت ولعمري عن قليل كلّ من فيها يموت
ومن هنا يتضرّع الامام السجاد عليه السلام انه إذا وضع بين خيار نقص في الدين أو

١. سورة البقرة (٢): ٢١٢.

٢. سورة آل عمران (٣): ١٨٥.

٣. سورة النساء (٤): ٧٧.

٤. سورة الأنعام (٦): ٧٠.

الدنيا فانه يسأل الله سبحانه أن يوقع النقص في دار الزوال والفناء وأن يجعل التوبة في دار الخلود والبقاء .

قرار الخير والشر

يبدأ العمل بفكرة ونية تخطر ومن ثم تتحول إلى إرادة وقرار، فالنوايا والأفكار هي جذور السلوك والأعمال .
ان الانسان بحاجة إلى توفيق الهي للسداد واختيار الطريق القويم وهذا يتطلب من الانسان أن يجاهد نفسه ويطهر باطنه .
وعندما يقوم بأعمال الخير فان قلبه يستحيل إلى مرآة تنعكس فيها أنوار الفيض الالهي .

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ .^(١)

جاء في الروايات عن رسول الله ﷺ بشأن الحواريين :

اجْتَمَعَ الْحَوَارِيُّونَ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمَ الْخَيْرِ أَرْشِدْنَا، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ مُوسَى كَلِمَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَكُمْ أَنْ لَا تَخْلِفُوا بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَاذِبِينَ وَأَنَا أَمَرُكُمْ أَنْ لَا تَخْلِفُوا بِاللَّهِ كَاذِبِينَ وَلَا صَادِقِينَ، قَالُوا: يَا رُوحَ اللَّهِ زِدْنَا، فَقَالَ: إِنَّ مُوسَى نَبِيَّ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَكُمْ أَنْ لَا تَرْتَبُوا وَأَنَا أَمَرُكُمْ أَنْ لَا تُحَدِّثُوا أَنْفُسَكُمْ بِالزُّنَا فَضَلَّا عَنْ أَنْ تَرْتَبُوا فَإِنَّ مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالزُّنَا كَانَ كَمَنْ أَوْقَدَ فِي بَيْتٍ مَرْوِقٍ فَأَفْسَدَ التَّرَاوِيْقَ الدُّخَانُ وَإِنْ لَمْ يَخْتَرِقِ الْبَيْتَ .^(٢)

٢ . بحار الأنوار : ١٤ / ٣٣١ .

١ . سورة العنكبوت (٢٩) : ٦٩ .

قَالَتِ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى: يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ نَجَالِسُ؟ قَالَ: مَنْ يُذَكِّرُكُمْ اللَّهُ رُؤْيَاهُ
وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ. ^(١)

أجل هكذا تفعل النوايا الشريرة في باطن الانسان ان هذه النوايا السيئة تؤدي
إلى انطفاء شعلة الوجدان والضمير ويمتلاً باطن الانسان بالظلام.

ولكي يتمكن الانسان من تصفية الباطن ومن صقل القلب ينبغي عليه أن يمرن
نفسه على القيام بأعمال الخير وأن يفكر بطريقة ايجابية ويتمنى الخير لكل الناس،
وهو في كل الأحوال عليه أن يستمد العزم والارادة من الله عز وجل.

ومن هنا يدعو الامام السجاد عليه السلام ويتضرع إلى الله عز وجل إذا ما أصبح بين
قرارين، قرار يرضي الله تبارك وتعالى وقرار يسخطه سبحانه أن يميل به إلى
القرار الأول الذي يحقق مرضاة رب العالمين.

انه يطلب من الله السداد وأن لا يذر الخيار إلى نفسه لأن النفس أمارة بالسوء
فتختار ما يسخط الله عز وجل ^(٢).

١. الكافي: ٣٩/١.

٢. جاء في الروايات أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين اشتريت داراً
وأحب أن تكتب عقد شرائها بيدك، فنظر إليه الإمام عليه السلام وأراد أن يعظه حتى لا يغتر بالدنيا
ويذكره بالآخرة فكتب قائلاً:

— أمّا بعد فقد اشترى ميت من ميت داراً في بلد المذنبين الحد الأول ينتهي إلى الموت.

والثاني ينتهي إلى القبر.

والثالث ينتهي إلى الحساب.

والرابع إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار.

فبكى الرجل لهذه الموعظة البليغة، وقال:

نوايا الخير والشر في الروايات

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

لَا يَفُوزُ بِالْجَنَّةِ إِلَّا مَنْ حَسَنَتْ سَرِيرَتُهُ، وَخَلَصَتْ نِيَّتُهُ. ^(١)

ونوايا الخير تحتاج إلى علم ومعرفة وبصيرة.

لَا نِيَّةَ لِمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ. ^(٢)

فما أسعد من يشتري رضا الخالق بسخط المخلوقين، وما أشقى من يشتري رضا المخلوقين بسخط الخالق.

❦ - يا أمير المؤمنين! اشهد الله اني قد تصدّقت بداري هذه على أبناء السبيل!

فانشأ الامام عليه السلام الأبيات الشعرية:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت	أن السلامة منها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التي كان قبل الموت يأتها
فإن بناها بخير طاب مسكنها	وإن بناها بشر خاب ثاويها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها	و دورنا لخراب الدهر تبنيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها	فالموت لا شك ينينا ويفنيها
لكل نفس وإن كانت على وجل	من المنية آمال يقويها
المرء يبسطها والدهر يقبضها	والنفس ينشرها والموت يطويها
والنفس تعلم اني لا اصادقها	ولست أرشد إلا حين أعصيها
واعمل لدار بها رضوان خازنها	والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها	والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن محض ومن غسل	والخمر يجري حقيقاً في مجاريها
من يشتري الدار في الفردوس يعمرها	بركعة في ظلام الليل يحييها

المترجم

١. غرر الحكم: ١٦٨.

٢. غرر الحكم: ٦٤؛ المواعظ العددية: ٥٠٣.

قال الامام الصادق عليه السلام:

إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ كَتَبَ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام: يَا سَيِّدِي أَخْبِرْنِي بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَكَتَبَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ طَلَبَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ أُمُورَ النَّاسِ، وَمَنْ طَلَبَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلَامُ.^(١)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِذَا عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ. وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، فَإِذَا عَمِلَهَا أُجِّلَ تِسْعَ سَاعَاتٍ، فَإِنْ نَدِمَ عَلَيْهَا وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ.^(٢)

وروى عن الامام الباقر أو نجله الصادق عليه السلام:

إِنَّ آدَمَ عليه السلام قَالَ: يَا رَبِّ، سَلَطْتَ عَلَى الشَّيْطَانِ وَأَجْرَيْتَهُ مَجْرَى الدَّمِ مِنِّي، فَاجْعَلْ لِي شَيْئًا أَصْرِفُ كَيْدَهُ عَنِّي. قَالَ: يَا آدَمُ قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْ مَنْ هَمَّ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بِسَيِّئَةٍ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ، وَمَنْ هَمَّ مِنْهُمْ بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَةٌ. قَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي. قَالَ: يَا آدَمُ، قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِسَيِّئَةٍ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ غُفِرَتْ لَهُ. قَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي. قَالَ: قَدْ جَعَلْتُ لَهُمُ التَّوْبَةَ - أَوْ بَسَطْتُ لَهُمُ التَّوْبَةَ - حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ الْحَنْجَرَةَ. قَالَ: يَا رَبِّ حَسْبِيَ.^(٣)

١. بحار الأنوار: ١٢٦/٧٥؛ الاختصاص: ٢٢٥؛ مستدرک الوسائل: ٢٠٩/١٢.

٢. بحار الأنوار: ٢٤٦/٦٨؛ الخصال: ٤١٨/٢.

٣. بحار الأنوار: ٢٤٨/٦٨؛ الكافي: ٤٤٠/٢ مع اختلاف يسير.

[﴿٥﴾ اَللّٰهُمَّ وَاِنَّكَ مِنَ الضُّعْفِ خَلَقْتَنَا وَعَلَى الْوَهْنِ بَنَيْتَنَا وَمِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ابْتَدَأْتَنَا فَلَا حَوْلَ لَنَا اِلَّا بِقُوَّتِكَ وَلَا قُوَّةَ لَنَا اِلَّا بِعَوْنِكَ .

[﴿٦﴾ فَاَيُّدُنَا بِتَوْفِيقِكَ وَسَدُّدُنَا بِتَسْدِيدِكَ وَاَعْمُ اَبْصَارِ قُلُوبِنَا عَمَّا خَالَفَ مَحَبَّتَكَ وَلَا تَجْعَلْ لِّشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِنَا نُفُوذًا فِي مَعْصِيَتِكَ].

البعد الروحي في الانسان

الانسان في عالم الوجود من عجائب الخلق ومن آيات الله الكبرى التي تدلّ على عظمته فقد خلقه في أحسن تقويم وجعله خليفته في الأرض .

كائن عميق الغور مكوّن من جسم ماديّ وروح هو من أمر الله تبارك وتعالى .

مخلوق مدهش مؤلف من فطرة فيها يكمن سرّ الآدميّة وقلب هو مركز العاطفة الذي يتلقّى الفيض الالهي والنور السماوي وعقل هو مركز التمييز بين ما هو خطأ وصواب وقبح وجمال واردة تدلّ على انه كائن مخيّر ومسؤول عن أعماله ،

وضمير يمثل القانون الاخلاقي في داخله ، وأهواء تمثل طاقة الحياة .

وهكذا نجد ان الجانب الروحي في الانسان يمثل معظم وجوده وشخصيّته .

واذا ما حذفنا هذا البعد الكبير واذا ما شطبنا على الاتّصال بالملكوت وغيّبنا عنه الفيض الرباني فان هذا الكائن العظيم سيكون أقل المخلوقات شأنًا ، ولذا جاء

في الأثر عن أمير المؤمنين: الهي كفاني عزاً أن أكون لك عبداً وكفاني فخراً أن تكون لي رباً.

فهو مخلوق بائس ضعيف عاجز لا حول له ولا قوة ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، مسكين مستكين، ينهار أمام الحوادث وتفتك به الأمراض، وتتخطف لحمه الحيوانات المفترسة.

خلق الانسان في القرآن الكريم

تحدّث القرآن الكريم عن طبيعة خلق الانسان في العديد من آياته.

قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾. (١)

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾. (٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَزِيزٌ

عَزِيزٌ﴾. (٣)

وهو في حياته يقترب من النهاية المحتومة، فهو يضعف يوماً بعد آخر، وكلّ قوي للزمان يلين، ودقات القلب المرء قائلة له: ان الحياة دقائق وثواني، وأن

٢. سورة النساء (٤): ٢٨.

١. سورة الروم (٣٠): ٥٤.

٣. سورة الحج (٢٢): ٧٣ - ٧٤.

الأرض مائدة والسائرون بها طعامها والمنايا آكل منهم!
من أجل ذلك يمدّ الانسان كفيه إلى خالقه يستمد منه القوة، لأنه لا حول ولا
قوة إلا بالله العليّ العظيم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ
رَبِّ شَقِيًّا﴾. (١)

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ
أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾. (٢)

ولهذا نجد هذا التضرع في أدعية الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) والاعتراف بالضعف
والعجز البشري.

وجاء في الروايات عن الامام الصادق (عليه السلام) ان نبي الله نوح (عليه السلام) كان يدعو في
صباحه ومساءه بهذا الدعاء:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا فَمِنْكَ،
وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَقُّ وَلَكَ الشُّكْرُ بِهَا عَلَيَّ حَتَّى تَرْضَى وَبَعْدَ
الرَّضَا. (٣)

الله سبحانه هو مصدر القوة ومصدر العافية ومصدر الحول والطول والقدرة ونبع
الخير والبركات.

جاء في سيرة الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) انه كان يقول إذا تنفس الصبح: «سبحان
الله الملك القدوس».

١. سورة مريم (١٩): ٤.
٢. سورة لقمان (٣١): ١٤.
٣. مفتاح الفلاح: ١٦؛ تفسير العياشي: ٢/ ٢٨٠؛ ذيل آية ٣ من سورة الإسراء.

ثم يدعو الله قائلاً:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَمِنْ تَحْوِيلِ عَافِيَتِكَ، وَمِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ،
وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا سَبَقَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بَعْزَةَ مُلْكِكَ، وَبَشِيدَةَ قُوَّتِكَ، وَبِعِظَمِ سُلْطَانِكَ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَى
جَمِيعِ خَلْقِكَ أَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَكَذَا.^(١)

وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي جاء ربه بقلب سليم يمجّد الله عزّ وجلّ كما جاء
في القرآن الكريم قائلاً:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ
فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْخَفْنِى بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ
لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾.^(٢)

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبَصِيرَةٌ وَمُغْتَبَرٌ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ، وَإِلَى الْخَلْفِ
الْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ؟ أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ
شَتَّى؟ فَمَيِّتٌ يُبْكِي، وَآخَرٌ يُعْزِي، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخَرٌ يَنْفُسُهُ
يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَعَلَى أَثَرِ
الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي؟!

١. مفتاح الفلاح: ١٦ - ١٧؛ المصباح، الكفعمي: ٨١ - ٨٢.

٢. سورة الشعراء (٢٦): ٧٨ - ٨٥.

أَلَا، فَادْكُرُوا هَازِمَ اللَّذَاتِ، وَمُنْعَصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ
لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَاسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ
أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.^(١)

ولو وعى البشر هذه الحقيقة الكبرى حقيقة الضعف البشري المطلق وقوة الحق
المطلقة لتحرروا من أسر الشرك والكفر والالحاد ومن مستنقع الرذائل الأخلاقية.
ولكن ومع بالغ الأسف ان معظم البشر غارق في الغفلة مستغرق في الغرور
والجهل قد خدعهم الشيطان، فاتبعوا خطواته وأصمّت أسماعهم عربدة الغرائز
الحيوانية.

إِلَهِي كَسْرِي لَا يَجْبُرُهُ إِلَّا لُطْفُكَ وَحَنَانُكَ وَفَقْرِي لَا يُغْنِيهِ إِلَّا عَطْفُكَ وَإِحْسَانُكَ
وَرَوْعَتِي لَا يُسَكِّنُهَا إِلَّا أَمَانُكَ وَذِلَّتِي لَا يُعِزُّهَا إِلَّا سُلْطَانُكَ وَأُمْنِيَّتِي لَا يُبَلِّغُنِيهَا
إِلَّا فَضْلُكَ وَخَلَّتِي لَا يَسُدُّهَا إِلَّا طَوْلُكَ وَحَاجَّتِي لَا يَقْضِيهَا إِلَّا غَيْرُكَ وَكَرْبِي لَا
يُفَرِّجُهَا إِلَّا سِوَى رَحْمَتِكَ وَضُرِّي لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا رَأْفَتُكَ.

فَيَا مُنْتَهَى أَمَلِ الْأَمَلِينَ وَيَا غَايَةَ سُؤْلِ السَّائِلِينَ وَيَا أَقْصَى طَلِبَةِ الطَّالِبِينَ وَيَا
أَعْلَى رَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ وَيَا وَلِيَّ الصَّالِحِينَ وَيَا أَمَانَ الْخَائِفِينَ وَيَا مُجِيبَ
الْمُضْطَرِّينَ وَيَا دُخْرَ الْمُعْدِمِينَ وَيَا كَنْزَ الْبَائِسِينَ وَيَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ وَيَا
قَاضِيَ حَوَائِجِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ لَكَ
تَخَضُّعِي وَسُؤَالِي وَإِلَيْكَ تَضَرُّعِي وَابْتِهَالِي.^(٢)

١. نهج البلاغة: الخطبة ٩٨.

٢. الصحيفة السجادية، مناجاة المفتقرين.

[﴿٧﴾] اَللّٰهُمَّ فَصِّلْ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهٖ وَاَجْعَلْ هَمَسَاتِ قُلُوْبِنَا وَحَرَكَاتِ اَعْضَانِنَا وَلَمَحَاتِ اَعْيُنِنَا وَلَهَجَاتِ اَلْسِنَتِنَا فِيْ مُوْجِبَاتِ ثَوَابِكَ حَتّٰى لَا تَفُوْتَنَا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُّ بِهَا جَزَاءَكَ وَلَا تَبْقٰى لَنَا سَيِّئَةٌ نَسْتَوْجِبُ بِهَا عِقَابَكَ].

موجبات الثواب والعقاب

ان ما يخطر في القلب من همسات قد يستحيل إلى ارادة وقرار ومصيري يتّخذها الانسان ويترك آثاره الكبيرة على مستقبل الانسان .

من أجل ذلك يدعو الامام السجاد عليه السلام الله تبارك وتعالى أن تكون همسات القلب وحركة الأعضاء ولمحات العيون وما يجري على اللسان ضمن موجبات الثواب الهني .

ان مشكلة الانسان تبدأ عندما تقوم الغرائز والأهواء باحتلال العقل الذي هو مركز المحاسبات المنطقية ودائرة التمييز بين الحق والباطل والشعلة الساطعة التي تضيء للانسان طريقه في الحياة .

وعندما يستلم العقل قيادة الانسان فانه لابدّ وأنه يختار شريعة السماء لأن صوت الفطرة يعضد هذا التوجه وكذلك الضمير الانساني الذي يمثل القانون الأخلاقي .

من أجل ذلك ينبغي المحافظة على سلامة القلب، ليبقى مركز العاطفة والجزء النابض الذي يتلقى الاشراق والفيض والوعي .
ولكن عندما يسلم الانسان زمام حياته للأهواء ويصغي إلى صوت الشيطان فانه سيكون هدفاً سهلاً للاصابة بالوساوس .
يقول الامام الباقر عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ عُقُوبَاتٍ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ: ضَنْكٌ فِي الْمَعِيشَةِ وَوَهْنٌ فِي الْعِبَادَةِ وَمَا
ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَكْثَرَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ. ^(١)

أمّا الانسان الذي يعي ما يجري في أعماقه من وساوس ويدرك محاولات الأهواء النفوذ إلى داخل العقل والسيطرة عليه والتحكم به فانه سيكون حذراً ويمنع حصول هذا التسلل من خلال ارادته القويّة التي تستمد قدرتها من الاستعانة بالله العلي الكبير .

ومن هنا تبرز ملكة التقوى كقوة تعزز من ارادة الانسان في دحر الشيطان .
يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوَابُ الْبِرِّ وَإِنَّ أَسْرَعَ الشَّرِّ عِقَابُ الْبَغْيِ. ^(٢)

ثمّ يحدّد صلى الله عليه وآله عشر علامات للمحسن البار:

١ - عداؤه من أجل الله .

٢ - حبه في سبيل الله .

١ . بحار الأنوار: ١٧٦/٧٥؛ تحف العقول: ٢٩٦ .

٢ . بحار الأنوار: ١٩٥/٦٩؛ ثواب الأعمال: ١٦٦ .

- ٣- ينصر الله وأولياء الله .
- ٤- يغضب من أجل الحق تبارك وتعالى .
- ٥- يفارق في سبيل الله .
- ٦- فرحه في الله .
- ٧- يعمل من أجل أن تكون كلمة الله هي العيا .
- ٨- ينشد الحق .
- ٩- متواضع خاضع خائف في رحاب الله يراقب نفسه ويحاسبها .
- ١٠- يحسن في سبيل الله .

وَأَمَّا عَلَامَةُ الْبَارِّ فَعَشْرَةٌ: يُحِبُّ فِي اللَّهِ وَيُبْغِضُ فِي اللَّهِ وَيُصَاحِبُ فِي اللَّهِ
وَيُفَارِقُ فِي اللَّهِ وَيَعْضَبُ فِي اللَّهِ وَيَرْضَى فِي اللَّهِ وَيَعْمَلُ لِلَّهِ وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ
وَيَخْشَعُ لِلَّهِ خَائِفًا مَخُوفًا طَاهِرًا مُخْلِصًا مُسْتَحْيِيًا مُرَاقِبًا وَيُحْسِنُ فِي اللَّهِ. (١)

يقول الامام الصادق عليه السلام:

مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ الْبِرُّ بِالْإِخْوَانِ وَالسَّعْيُ فِي حَوَائِجِهِمْ، فَفِي ذَلِكَ مَرْغَمَةٌ
لِلشَّيْطَانِ وَتَزْخُرُحُ عَنِ النَّيِّرَانِ وَدُخُولُ الْجَنَانِ، أَخْبِرْ بِهِذَا غُرَّرَ أَصْحَابُكَ، قَالَ:
قُلْتُ مَنْ غُرَّرَ أَصْحَابِي؟ جُعِلَتْ فِدَاكَ، قَالَ: هُمُ الْبِرَّةُ بِالْإِخْوَانِ فِي الْعُسْرِ
وَالْيُسْرِ. (٢)

ان نظام الوجود هو أحسن الخلق ولا ينسجم مع العصيان والطغيان البشري،

١. بحار الأنوار: ١/ ١٢١.

٢. بحار الأنوار: ٣١٢/ ٧١؛ روضة الواعظين: ٣٨٤/ ٢.

ذلك ان النظام الأحسن من جهة ظهوره هو حسن جمال الحق .
والمعصوم في التكوين والتشريع مظهر تام للنظام الأحسن الا انه على غير
المعصوم أن يبذل الجهد لتحصيل ما يمكنه من درجات العصمة وفي حالة استغفار
عند ارتكاب الذنب، فان عليه أن يعلم ان الذنب يحدث اختلالاً في النظام
الأحسن وسيواجه رد فعل هذا النظام الذي سيعاقبه .

قال سبحانه وتعالى :

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ
الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١)

من هنا فان بعض العقوبات التي يواجهها الانسان هي من أجل أن يعيد النظر
في ما يرتكبه من أعمال خاطئة، حيث يستمر اختباره حتى يدرك الحقيقة في
نهاية الأمر .

يقول الامام علي عليه السلام :

بَعَثَ رَسُولُهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ لِئَلَّا تَجِبَ
الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَلَا إِنَّ
اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْحَقَّ كَشْفَةً لَا أَنَّهْ جَهْلَ مَا أَحَقُّوه مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ
ضَمَائِرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَتِيَهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ
بَوَاءً^(٢)

ويقول عليه السلام في تمجيد الله تبارك وتعالى :

٢ . نهج البلاغة : الخطبة ١٤٤ .

١ . سورة الروم (٣٠) : ٤١ .

وَلَا تَحْجُزْهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلَا تُؤْلِيهِ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ. (١)

غير ان رحمة تبارك وتعالى سبقت غضبه وقد كتب على نفسه عز وجل الرحمة، قد وعد عباده الصالحين بأجل الثواب، أما المسيئين فحسابهم على الله إن شاء عاقبهم أو شاء عفا عنهم وغفر لهم وهو الغفور الرحيم.

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦؛ بحار الأنوار: ٣١٦/٧٤.

الدعاء العاشر

في اللجوء إلى الله عز وجل

﴿١﴾ اَللّٰهُمَّ اِنْ تَشَأْ تُغْفِرْ عَنَّا فَبِغْضِكَ وَاِنْ تَشَأْ تُعَذِّبُنَا فَبِعَذْلِكَ .

﴿٢﴾ فَسَهِّلْ لَنَا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ وَاَجِرْنَا مِنْ عَذَابِكَ بِتَجَاوُزِكَ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِعَذْلِكَ وَلَا نَجَاةَ لِأَحَدٍ مِنَّا دُونَ عَفْوَكَ .

﴿٣﴾ يَا غَنِيَّ الْأَغْنِيَاءِ هَا نَحْنُ عِبَادُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَنَا أَفْقَرُ الْفُقَرَاءِ إِلَيْكَ فَاجْبُرْ فَاقَتَنَا بِوُسْعِكَ وَلَا تَقْطَعْ رَجَاءَنَا بِمَنْعِكَ فَتَكُونَنَّ قَدْ أَشْقَيْتَ مَنْ اسْتَشْعَدَ بِكَ وَحَرَمْتَ مَنْ اسْتَرْفَدَ فَضْلَكَ .

﴿٤﴾ فَإِلَى مَنْ حِينِيذٍ مُنْقَلِبُنَا عَنْكَ؟ وَإِلَى أَيْنَ مَذْهَبُنَا عَنْ بَابِكَ؟ سُبْحَانَكَ نَحْنُ الْمُضْطَرُّونَ الَّذِينَ أَوْجَبَتْ إِجَابَتَهُمْ وَأَهْلُ السُّوءِ الَّذِينَ وَعَدْتَ الْكَشْفَ عَنْهُمْ .

﴿٥﴾ وَأَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ بِمَشِيَّتِكَ وَأَوْلَى الْأُمُورِ بِكَ فِي عَظَمَتِكَ رَحْمَةً مَنْ اسْتَرْحَمَكَ وَعَوْتُ مَنْ اسْتَعَاثَ بِكَ فَارْحَمْ تَضَرُّعَنَا إِلَيْكَ وَأَغْنِنَا إِذْ طَرَحْنَا أَنْفُسَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ .

﴿٦﴾ اَللّٰهُمَّ اِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ شَمِتَ بِنَا اِذْ شَايَعَنَاهُ عَلٰى مَعْصِيَتِكَ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ وَلَا تُشْمِتْهُ بِنَا بَعْدَ تَرْكِئِنَا اِيَّاهُ لَكَ وَرَغَبَتِنَا عَنْهُ اِلَيْكَ .

[﴿١﴾ اَللّٰهُمَّ اِنْ تَشَأْ تُغْفِرْ عَنَّا فَبِغْضِكَ وَاِنْ تَشَأْ تُعَذِّبْنَا فَبِعَذْلِكَ .

﴿٢﴾ فَسَهِّلْ لَنَا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ وَأَجِرْنَا مِنْ عَذَابِكَ بِتَجَاوُزِكَ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِعَذْلِكَ وَلَا نَجَاةَ لِأَحَدٍ مِنَّا دُونَ عَفْوَكَ .

﴿٣﴾ يَا غَنِيِّ الْأَغْنِيَاءِ هَا نَحْنُ عِبَادُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَنَا أَفْقَرُ الْفُقَرَاءِ إِلَيْكَ فَاجْبُرْ فَاقَتَنَا بِوُسْعِكَ وَلَا تَقْطَعْ رَجَاءَنَا بِمَنْعِكَ فَتَكُونَ قَدْ أَشْقَيْتَ مَنْ اسْتَشْعَدَ بِكَ وَحَرَمْتَ مَنْ اسْتَرْفَدَ فَضْلَكَ] .

العفو الالهي

يشغل البشر في سلّم الخلق الالهي موقعاً فريداً فقد كرم الله تبارك وتعالى بني آدم، ومن قبل أمر سبحانه الملائكة أن تسجد لآدم عليه السلام وجعله خليفة له في الأرض .

وقد تساءلت الملائكة عن السرّ في ذلك فقال عزّ وجل: اني أعلم ما لا تعلمون .
وينطوي الانسان على عمق عميق لا يسبر غوره إلا الله الخالق اللطيف الخبير .

و أنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضر

دواؤك فيك وما تشعر دواؤك منك وما تنظر

و تحسب أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر
و أنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر^(١)
خلق سبحانه عباده فهو وليّ المؤمنين .

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. ^(٢)

يهدّيهم إلى نوره ويسددهم إلى رشده، ودعاهم إلى النظر في ما خلق من
السموات والأرض وأودع فيه القابلية على الرقي حتى يبلغ ملكوت السموات.
﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾. ^(٣)

وقد أودع الله عز وجل في الانسان القابلية والاستعداد الكافي لأن يتخطى هذا
العالم المادي فيجتازه ويضع قدميه في عالم التجرّد وأن يعبر من عالم الكثرة إلى
الوحدة فيتذوّق شهد التوحيد الخالص .

﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. ^(٤)

وجعل سبيل الهداية لعباده مشرعة واضحة بيّنة وما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار. ^(٥)

١. ديوان الامام علي عليه السلام .

٢. سورة البقرة (٢): ٢٥٧ .

٣. سورة الأعراف (٧): ١٨٥ .

٤. سورة الأنعام (٦): ٩١ .

٥. جاء في الروايات :

أَنَّهُ اتَّصَلَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ خَاضُوا فِي التَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيرِ فَخَرَجَ
حَتَّى صَعِدَ الْمُنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ
خَلْقَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى آدَابٍ رَفِيعَةٍ وَأَخْلَاقٍ شَرِيفَةٍ فَعَلِمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ
يُعَرِّفَهُمْ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ وَالتَّعْرِيفُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَّا

وقلب الانسان المؤمن أرض طيبة معطاء مليئة بالخيرات .

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾. (١)

جاء في الروايات ان الله تبارك وتعالى خاطب رسوله وكليمه سيدنا موسى بن عمران قائلاً:

يا موسى! جَرَدَ قَلْبَكَ لِحُبِّي، فَإِنِّي جَعَلْتُ قَلْبَكَ مِيدَانًا حُبِّي، وَبَسَطْتُ فِي قَلْبِكَ أَرْضًا مِنْ مَعْرِفَتِي، وَبَنَيْتُ فِي قَلْبِكَ بَيْتًا مِنَ الْإِيمَانِ بِي، وَأَجْرَيْتُ فِي قَلْبِكَ شَمْسًا مِنْ شَوْقِي، وَأَضَاتُ فِي قَلْبِكَ قَمَرًا مِنْ مَحَبَّتِي، وَأَسْرَيْتُ فِي قَلْبِكَ نُجُومًا مِنْ مُرَادِي، وَجَعَلْتُ فِي قَلْبِكَ غَيْمًا مِنْ تَفَكُّرِي، وَأَذْرَيْتُ فِي قَلْبِكَ رِيحًا مِنْ تَوْفِيقِي، وَأَمْطَرْتُ فِي قَلْبِكَ مَطَرًا مِنْ تَفَضُّلِي، وَزَرَعْتُ فِي قَلْبِكَ زَرْعًا مِنْ صِدْقِي، وَأَنْبَتُ فِي قَلْبِكَ أَشْجَارًا مِنْ طَاعَتِي، وَجَعَلْتُ أَوْرَاقَهَا مِنْ وَقَائِي، وَأَوَّلَيْتُ ثَمَرَهَا حِكْمَةً مِنْ مُنَاجَاتِي، وَأَجْرَيْتُ فِي قَلْبِكَ أَنْهَارًا مِنْ دَقَائِقِ عُلُومِ أَرْزَلَيْتِي، وَوَضَعْتُ فِي قَلْبِكَ جَبَالَاً مِنْ يَقِينِي. (٢)

أيا من ليس لي منك المجير بعفوك من عذابك أستجير

بِالْوَعْدِ وَالْوَعْدِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّوْغِيهِ وَالْوَعْدِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّوْغِيهِ وَالتَّوْغِيهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا تَسْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ وَتَلَذُّهُ أَعْيُنُهُمْ وَالتَّوْغِيهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِضِدِّ ذَلِكَ ثُمَّ خَلَقَهُمْ فِي دَارِهِ وَأَرَاهُمْ طَرَفًا مِنَ اللَّذَاتِ لِيَسْتَدِلُّوا بِهِ عَلَى مَا وَرَاءَهُمْ مِنَ اللَّذَاتِ الْخَالِصَةِ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا أَلَمٌ أَلَا وَهِيَ الْجَنَّةُ وَأَرَاهُمْ طَرَفًا مِنَ الْأَلَامِ لِيَسْتَدِلُّوا بِهِ عَلَى مَا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْأَلَامِ الْخَالِصَةِ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا لَذَّةٌ أَلَا وَهِيَ النَّارُ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَرَوْنَ نَعِيمَ الدُّنْيَا مَخْلُوطًا بِمَحَنِهَا وَسُرُورَهَا مَمْزُوجًا بِكَدْرِهَا وَغُمُومَهَا قَبْلَ فَحْدَثِ الْجَا حِظِّ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: هُوَ جَمَاعُ الْكَلَامِ الَّذِي دَوَّنَهُ النَّاسُ فِي كُتُبِهِمْ وَتَحَاوَرُوهُ بَيْنَهُمْ قِيلَ ثُمَّ سَمِعَ أَبُو عَلِيٍّ الْجَبَّائِيُّ بِذَلِكَ فَقَالَ: صَدَقَ الْجَا حِظُّ هَذَا مَا لَا يَخْتَمِلُهُ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ - المترجم .

١. سورة الأعراف (٧): ٥٨. ٢. جامع الأسرار ومنبع الأسرار: ٥١٣ - ٥١٤.

أنا العبد المقر بكل ذنب وأنت السيد الصمد الغفور

فإن عذبتني فالذنب مني وإن تغفر فأنت به جدير^(١)

وما إن يضع الانسان قدميه في طريق الله بنية خالصة و ارادة نقية حتى تتفتح في أعماقه المعرفة وحتى تتدفق في باطنه الحكمة .

ثمار معرفة الحقيقة

يقول صدر المتألهين الشيرازي في كتاب «أسرار الآيات» في ثمار معرفة الحقائق، ان أصل الخير وجذوره عبارة عن اكتساب الحكمة الالهية الحقّة، المراد من ذلك معرفة الحق وصفاته وأفعاله وملكه وملكوته تبارك وتعالى وعزّ شأنه .

وقول في تفسيره الآية الكريمة :

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .^(٢)

ومما يدل أيضاً على أنّ السعادة الأخروية والقرب عند الله والوصول إلى الخير الحقيقي منوطة بالحكمة والمعرفة ، والله الهادي والموفق لهما .

أما قوة العلم - أي استعمال الحواس الظاهرة والباطنة في أمور الدنيا - فتوسطها واعتدالها يسمى بالحكمة .

والحكمة مفتاح كل سعادة وهي الايمان العقلاني المكتسب بالحجج الباهرة والبراهين القاهرة، الكاشفة عن الحقائق الالهية والمعارف الربوبية، فأهل هذه

٢ . سورة البقرة (٢) : ٢٦٩ .

١ . ديوان الامام علي عليه السلام : ١٧٨ .

المرتبة هم الحكماء بالحكمة التي من تحقق بها فقد أوتي خيراً كثيراً.^(١)
غير ان الانسان الجاهل يعرض عن آيات الله فلا ينظر إليها ويظلّ سادراً في ضلاله وضياعه وتيهه .

﴿وَكَايِّنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.^(٢)

والله سبحانه يدعو عباده إلى النظر في آيات التي تملأ السماوات والأرض :
﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالتَّذْذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.^(٣)
وقال عز وجل :

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.^(٤)

ولا شك ولا ريب في ان التقرب إلى الله سبحانه وبلوغ السعادة في عالم الآخرة انما يتحقق بكسب العلم والمعرفة .

أما الجهل والبعد عن العلوم الالهية والمعارف الربانية فهو أصل جميع اشكال الشقاء وأنواع العذاب الأليم .
قال سبحانه بشأن هؤلاء :

١ . تفسير القرآن الكريم : ٦ / ٢٨٤ و ٧ / ١٦٧ و ٤٥٧ .

٢ . سورة يوسف (١٢) : ١٠٥ . ٣ . سورة يونس (١٠) : ١٠١ .

٤ . سورة الأعراف (٧) : ١٨٥ .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ﴾. (١)

وقال عز وجل أيضاً:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى﴾ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ
آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾. (٢)

ومع ان الانسان وبالرغم ممّا أودع الله فيه من الاستعداد والقابلية على اكتساب المعرفة والقيام بالأعمال الصالحة يجنح إلى المعاصي وارتكاب الذنوب ويلهث وراء الأهواء ويستغرق في الاثام حتى تحاصره الشياطين وتسدّ عليه سبل الهداية والصلاح، فيعيش في ظلام دامس.

فجأة تحدث بارقة الهيّة في تلك الظلمات المتكاثفة التي تكتنف روحه، فتسطع في أعماقه المعرفة وتضيء قلبه فاذا به ينتبه من غفلته ويهب من نومته وينبعث نداء الألم والندم على ما فرّط في جنب الله تبارك وتعالى ويبادر إلى التوبة وينبري إلى قضاء ما فاتته من الواجبات والقيام بصالحات الأعمال بعد أن قطع على نفسه عهداً ألا يعود إلى ارتكاب المعاصي، فيتضرع إلى الله عز وجل ألا يعامله بعدله وإّما يعامله بفضله، فيصفح عنه ويعفو، فان الانسان محتاج إلى رحمة الله وفضله والله سبحانه غني عن عذاب عبده.

ومن هنا يدعو الامام السجاد (عليه السلام) قائلاً:

٢. سورة طه (٢٠): ١٢٤ - ١٢٦.

١. سورة النحل (١٦): ١٠٨.

اللَّهُمَّ إِنِّ تَشَأُ تَغْفُ عَنَّا فَبِغْضِكَ وَإِنِّ تَشَأُ تُعَذِّبُنَا فَبِعَذْلِكَ .
فَسَهِّلْ لَنَا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ وَأَجِرْنَا مِنْ عَذَابِكَ بِتَجَاوُزِكَ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَنَا
بِعَذْلِكَ وَلَا نَجَاةَ لِأَحَدٍ مِنَّا دُونَ عَفْوَكَ .

العفو في القرآن الكريم

تزخر الآيات القرآنية الكريمة بالاشارة إلى العفو الالهي والصفح الرباني وفيما يلي طائفة منها :

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١)

وبالرغم من الخطيئة الكبرى التي اقترفها المسلمون يوم أحد إذ ولّوا الأدبار وتركوا نبيهم وحيداً يتلقى أمواج الهجوم الوثني إلا ان الله عزوجل عفا عنهم وصفح ، ولم يعاملهم بعذله .

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢)

وقد فتح تبارك وتعالى أبواب التوبة لعباده المذنبين فهي مشرعة لهم .
﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣)

وعندما يقوم الانسان بالأعمال الصالحة والأفعال الحسنة فان ذلك يفضي إلى زوال السيئات من صفحة أعماله .

٢ . سورة البقرة (٢) : ٥٢ .

١ . سورة آل عمران (٣) : ١٥٥ .

٣ . سورة الشورى (٤٢) : ٢٥ .

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾^(١)
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ
حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢)
﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)

العفو في الروايات

يقول الامام السجاد عليه السلام في دعائه :

اللَّهُمَّ إِنِّي تَشَأُ تَغْفِرُ عَنَّا بِفَضْلِكَ.

ويقول نجله الامام محمد الباقر عليه السلام :

مَا أَحْسَنَ الْحَسَنَاتِ بَعْدَ السَّيِّئَاتِ وَمَا أَقْبَحَ السَّيِّئَاتِ بَعْدَ الْحَسَنَاتِ! ^(٤)

ويقول حفيده الامام جعفر الصادق عليه السلام :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِعَلِيِّ عليه السلام : يَا عَلِيُّ، مَا مِنْ دَارٍ فِيهَا فَرْحَةٌ إِلَّا يَتْبَعُهَا تَرْحَةٌ،

وَمَا مِنْ هَمٍّ إِلَّا وَلَهُ فَرْجٌ إِلَّا هُمُ النَّارِ، فَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاتَّبِعْهَا بِحَسَنَةٍ تَمْحُهَا

سَرِيعًا، وَعَلَيْكَ بِصَنَائِعِ الْخَيْرِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مَصَارِعَ السُّوءِ. ^(٥)

وروى عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله الشريف :

١. سورة هود (١١) : ١١٤ . ٢. سورة الفرقان (٢٥) : ٧٠ .

٣. سورة النمل (٢٧) : ١١ .

٤. الأماشي، الشيخ الصدوق : ٢٥٣؛ ارشاد القلوب، الديلمي : ١/ ١٨٢ .

٥. بحار الأنوار : ٢٤٢/ ٦٨؛ تفسير القمي : ١/ ٣٦٤، ذيل آية ٢٢ من سورة الرعد .

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَوْقَفَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ، فَيَنْظُرُ فِي صَحِيفَتِهِ، فَأَوَّلُ مَا يَرَى سَيِّئَاتِهِ فَيَتَغَيَّرُ لِذَلِكَ لَوْنُهُ، وَتَرْتَعِشُ قَرَائِصُهُ، ثُمَّ يَعْرِضُ عَلَيْهِ حَسَنَاتِهِ، فَيَفْرَحُ لِذَلِكَ نَفْسُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: بَدَّلُوا سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَأَظْهِرُوا لِلنَّاسِ قِيَبَلَهُمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَمَا كَانَ لَهُؤُلَاءِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ؟! وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾^(١).

وهكذا يظهر الاستغفار والقيام بالأعمال الصالحة واجتناب المحرمات وتركية الباطن الانسان من كل الشوائب ومن كل السيئات ويصبح نقياً طاهراً كما ولد على الفطرة.

قريح القلب من وجع الذنوب	نحيل الجسم يشهق بالنعيب
أضر بجسمه سهر الليالي	فصار الجسم منه كالقضب
وغير لونه خوف شديد	لما يلقاه من طول الكروب
ينادي بالتضرع يا إلهي	أقلني عثرتي واستر عيوي
فزعت إلى الخلائق مستغيثا	و لم أر في الخلائق من مجيب
و أنت تجيب من يدعوك ربي	و تكشف ضر عبدك يا حبيبي
و دائي باطن ولديك طب	و من لي مثل طبك يا طيبي ^(٢)

١. بحار الانوار: ٢٤٢/٦٨؛ تفسير القمي: ٢٦/٢، ذيل آية ٧٠ من سورة الفرقان.

٢. ديوان الامام علي عليه السلام: ٧٥.

[﴿٤﴾ فَأَلَى مَنْ حِينِيذٍ مُنْقَلَبِنَا عَنْكَ؟ وَإِلَى أَيْنَ مَذْهَبِنَا عَنْ بَابِكَ؟ سُبْحَانَكَ نَحْنُ
الْمُضْطَرُّونَ الَّذِينَ أَوْجِبَتْ إِجَابَتُهُمْ وَأَهْلُ السُّوءِ الَّذِينَ وَعَدْتَ الْكَشْفَ عَنْهُمْ.
﴿٥﴾ وَأَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ بِمَشِيَّتِكَ وَأَوْلَى الْأُمُورِ بِكَ فِي عَظَمَتِكَ رَحْمَةً مَنِ اسْتَرْحَمَكَ
وَعَوْتُ مَنْ اسْتَعَاثَ بِكَ فَارْحَمْ تَضَرُّعَنَا إِلَيْكَ وَأَغْنِنَا إِذْ طَرَحْنَا أَنْفُسَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ]

مناجاة المعبود

أسألك يا الله برحمتك التي غمرت كل الأشياء في هذا الوجود المترامي
الفسيح!

أمدّ يدي واستعطفك وأتضرّع في رحابك يا واحد يا أحد!
أسألك يا الهي بقوّتك ومجداك حيث كلّ شيء خاضع لك منقاد إلى مشيئتك!
وأسألك يا الهي بجبروتك الذي قهرت به جميع الأشياء فالكائنات مغلوبة
لارادتك مستسلمة في حضرتك!

وأسألك يا الهي بوجهك الخالد الممتد من الأزل إلى الأبد، وحيث كلّ الأشياء
تمضي نحو العدم والزوال والفناء وأنت وحدك الباقي يا رب!
وأنت يا الهي تعلم مستقبل الوجود وحاضره وماضيه البعيد السحيق، وكلّ
الزمن حاضر بين يديك.

أسألك بنور ذاتك الذي أشرقت به دنيا الوجود فسطعت على هياكل التوحيد
آثاره!

يا الهي!

أيها النور الذي يغمر الوجود!

يا نور السماوات والأرض!

أنت الأوّل بلا بداية والآخر بلا نهاية!

الهي!

خذني إلى نورك وخذ بيدي إلى طريقك، أنت دليلي والسراج الذي يضيء
طريق... طريقي إليك!

ويا أيها الودود اغفر لي الخطايا والذنوب!

يا الهي يا علام الغيوب!

ويا أيها الحبيب!

اغسل قلبي بمياه التوبة فاني إليك انيب وازل عن فؤادي أدران الخطيئة ليعود
مشرقاً ناصعاً تنعكس فوق شغافه نورك الذي يملأ السماوات فليشرق نورك يا
الهي!

وليملاً أبعاد وجودي!

ويا جبار السماوات والأرض، حطّم الأغلال التي تكبل نفسي وروحي!

ولينطلق روحي إليك!

يا الهي وأنا عبدك البائس المسكين واقف أمامك مستسلم في حضرتك!

الهي !

عندما أسجد لك أشعر بالحرية !

وعندما أتضرّع في رحابك تجلّلني هالة من كرامتك التي منحتها لعبادك
المؤمنين !

الهي !

ما أرفع شأنك ! وما أسمى مكانك ! وما أعظم مجدك !

أنت وحدك الذي تجيب المضطرين وأنت وحدك الذي تكشف الكرب عن
وجوه المكروبين !

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ
إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١)

وأنت وحدك ستّار العيوب !

وأنت جلّ شأنك وحدك علام الغيوب !

يا الهي وسيّدي ومعيني اعف عني ! ولا تعاقبني على ما اقترفت يداي من
الذنوب !

فيا دليل من لا دليل له ! ويا أنيس من لا أنيس له ! ويا حبيب من لا حبيب له !
أنت وحدك الحبيب !

[﴿٦﴾ اَللّٰهُمَّ اِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ شَمِتَ بِنَا اِذْ شَايَعَنَا عَلٰى مَعْصِيَتِكَ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهٖ
وَلَا تُشْمِتْهُ بِنَا بَعْدَ تَرْكِنَا اِيَّاهُ لَكَ وَرَعْبَتِنَا عَنْهُ اِلَيْكَ.]

شماتة الشيطان

خلق الله تبارك وتعالى آدم وأمر الملائكة أن تسجد له فسجدوا جميعاً وتمرد إبليس، فطرده عز وجل فكان شيطاناً رجيماً.

ومنذ ذلك الوقت وهو يسعى جاهداً لاغواء آدم وبني آدم حتى إذا انزلقوا في هاوية الرذيلة وانغمسوا في مستنقع السقوط الأخلاقي، إذا بالشيطان يسخر منهم ويستهيء بهم شامتاً متشقيماً وقد استعرت في باطنه الأسود نيران الحسد والانتقام.

وقد حذر الله عز وجل عباده من كيد الشيطان والاصغاء إلى صوته واتباع خطواته.

﴿اَلَمْ اَعْهَدْ اِلَيْكُمْ يٰبَنِي اٰدَمَ اَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ *
وَاَنْ اَعْبُدُونِي هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. (١)

وفي محنة نبي الله أيوب عليه السلام سعى الشيطان إلى تحطيم ارادته وإلى دفعه إلى الجزع فجرّ عليه المصائب والويلات، ثم وسوس لأهل مدينته أن أيوب نجس وقد حلت به اللعنة ويتعين طرده ليكون منبوذاً. وكان هذا أقسى ما واجهه أيوب عليه السلام من المحن، واستجاب قومه فطردوه ونبذوه وحاولوا منع زوجه من رعايته.

ثم فرّ الشيطان بعيداً يسخر منهم ويستهزئ بهم إذ تنكروا النبيهم دون مبرر. يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام لصاحبه كميل موضحاً خطط الشيطان وخبثه:

يَا كَمِيلُ أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا حَمَلَ قَوْمًا عَلَى الْفَوَاحِشِ مِثْلَ الزِّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالرِّبَا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْخَنَاءِ وَالْمَآثِمِ حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْعِبَادَةَ الشَّدِيدَةَ وَالْخُشُوعَ وَالرُّكُوعَ وَالْخُضُوعَ وَالسُّجُودَ، ثُمَّ حَمَلَهُمْ عَلَى وَلَايَةِ الْأَيْمَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ.^(١)

أجل هكذا يخطط الشيطان الرجيم مستغلاً الأهواء النفسية للنفوذ إلى باطن الانسان والاستحواذ عليه وتدميره كيانه الانساني من الداخل فلا يتركه حتى ينسلخ عن آدميته وانسانيته.

جاء في الروايات:

إِنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَافَقْتُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا نَافَقْتُ وَلَوْ نَافَقْتُ مَا أَتَيْتَنِي تُعَلِّمُنِي مَا الَّذِي رَأَيْتَ أَظُنُّ الْعَدُوَّ الْحَاضِرَ أَتَاكَ

١. بحار الأنوار: ٢٣٠/٨١؛ بشارة المصطفى: ٢٨.

فَقَالَ لَكَ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ خَلَقَنِي، فَقَالَ لَكَ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي
بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَكَانَ كَذًا، فَقَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَاكُمْ مِنْ قَبْلِ الْأَعْمَالِ فَلَمْ يَقْوِ عَلَيْكُمْ
فَاتَاكُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ لِكَيْ يَسْتَزِلَّكُمْ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلْيَذْكُرْ أَحَدَكُمْ اللَّهَ
وَحْدَهُ. (١)

وجاء في الروايات أيضاً:

أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ الْغَالِبُ عَلَيَّ الدَّيْنُ وَوَسْوَسَةُ الصَّدْرِ،
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ
يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ
وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا، قَالَ: فَصَبَرَ الرَّجُلُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَهَتَفَ بِهِ
فَقَالَ: مَا صَنَعْتُ؟ فَقَالَ: أَذْمَنْتُ مَا قُلْتَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَضَى اللَّهُ دَيْنِي وَأَذْهَبَ
وَسْوَسَةَ صَدْرِي. (٢)

وقال الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام في توصيف الملائكة:

وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ. (٣)

وفي القرآن الكريم أشارت إلى مواقف في يوم القيامة عندما تحشر الامم ليوم
الحساب والجزاء.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ
أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ
سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾. (٤)

٢. الكافي: ٥٥٥/٢.

١. الكافي: ٤٢٥/٢ - ٤٢٦.

٤. سورة إبراهيم (١٤): ٢١.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٩٠.

ويحتدم الجدل بين الضعفاء والجبابرة المستكبرين فيقول الاتباع لأسيادهم بالأمس في عالم الدنيا:

لقد كنّا اتباعاً لكم فهل بمقدوركم أن تدفعوا عنا هذا المصير وهذا العذاب الرهيب!

فيقول الجبابرة بوقاحة إن الله لم يهدنا ولو كان هداًنا لهديناكم، لقد حلّ بنا العذاب ولا ينفع صبر ولا جزع!

ثم يشير القرآن الكريم إلى موقف آخر سوف يواجهه الذين اتّبعوا خطوات الشيطان من الجبابرة ومن أتباعهم على حدّ سواء إذ يظهر الشيطان الذي اتّبعوه ويخذلهم وينكث بكلّ وعوده المعسولة التي قدمها لهم في الدنيا.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

وتظهر حقيقة الشيطان انه لم تكن له سلطة على البشر وإنما هي وساوس ووعود ولكن البشر هم من يتحمّل المسؤولية عندما يصدّقون الشيطان ويتبعون خطواته، وعندما يصغون لصوته قائلاً لهم:

إنّ الله وعدكم وعد الحق! ووعدتكم فأخلفتكم! وما كان لي عليكم من سلطان! إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي! فلا تلوُموني ولوموا أنفسكم! وهكذا يسقط الجميع في هاوية الجحيم والشقاء الأبدي.

الدعاء الحادي عشر
دعاؤه بحسن العاقبة
وخواتيم الخير

﴿١﴾ يَا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ وَيَا مَنْ شُكْرُهُ قَوْزٌ لِلشَّاكِرِينَ وَيَا مَنْ طَاعَتُهُ نَجَاةٌ
لِلْمُطِيعِينَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ وَالسِّنَّتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ
كُلِّ شُكْرٍ وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ .

﴿٢﴾ فَإِنْ قَدَّرْتَ لَنَا فَرَاغاً مِنْ شُغْلٍ فَاجْعَلْهُ فَرَاغَ سَلَامَةٍ لَا تُدْرِكُنَا فِيهِ تَبِيعَةٌ وَلَا
تَلْحَقُنَا فِيهِ سُمْئَةٌ حَتَّى يَنْصَرِفَ عَنَّا كُتَّابُ السَّيِّئَاتِ بِصَحِيفَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا
وَيَتَوَلَّى كُتَّابُ الْحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا .

﴿٣﴾ وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ حَيَاتِنَا وَتَصَرَّمَتْ مُدَدُ أَعْمَارِنَا وَاسْتَخْضَرْتَنَا دَعْوَتُكَ الَّتِي
لَا بُدَّ مِنْهَا وَمِنْ إِبَابِهَا فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ خِتَامَ مَا تُخْصِي عَلَيْنَا كِتَابَةً
أَعْمَالِنَا تَوْبَةً مَقْبُولَةً لَا تُوقِفُنَا بَعْدَهَا عَلَى ذَنْبٍ اجْتَرَحْنَاهُ وَلَا مَعْصِيَةٍ افْتَرَقْنَاهَا. ﴿٤﴾
وَلَا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْرًا سَتَرْتَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ تَبْلُوْا أَخْبَارَ عِبَادِكَ .

﴿٥﴾ إِنَّكَ رَحِيمٌ بِمَنْ دَعَاكَ وَمُسْتَجِيبٌ لِمَنْ نَادَاكَ .

[﴿١﴾] يَا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ وَيَا مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ لِلشَّاكِرِينَ وَيَا مَنْ طَاعَتُهُ نَجَاةٌ
لِلْمُطِيعِينَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ وَالْأَسْتَنْتَا بِشُكْرِكَ عَنْ
كُلِّ شُكْرٍ وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ]

ذكر الحقّ

يعجز الانسان عن سبر مكنون هذا المقطع من الدعاء والغوص في طواياه وما
يشتمل عليه من المعاني العميقة ويتبادر إلى الذهن ان الانسان المؤمن يبلغ ذروة
مجده عندما يجري ذكر الحق تبارك وتعالى على لسانه ويتدفق في مكنونات قلبه
وحنايا صدره.

ويقطف الانسان الشاكر فوزه الباهر عندما يشكر الله عزّ وجلّ على نعمه
واحسانه وتكتب النجاة لمن أطاع الله وسلم أمره إليه سبحانه.
اللهم صلّ على محمد وآله واملاً بذكرك قلوبنا وأجره على ألسنتنا وليكن كلّ
كياننا في طاعتك، لا إله إلا أنت سبحانك!

في ضوء الآيات والروايات الواردة عن أهل البيت عليه السلام فإن ذكر الله عزّ وجلّ
هو من أعظم وأجل العبادات، بل هو روح الطاعة وجوهر العبودية وحقيقتها وهو
بعد كل ذلك ينبوع الخير في حياة الانسان ومصدر البركات.

ان مفهوم الذكر هو من أعظم المفاهيم وأوسعها ومن أسمى الحقائق التي تعود على البشر بأعظم البركات والخيرات.

وما بعث الأنبياء ولا نصب الأوصياء وما انزال الكتب المقدسة من السماء إلا من أجل ترسيخ هذه الحقيقة في وجدان البشر ذلك ان الذكر الالهي هو البوصلة التي تشير إلى المسار الصحيح في حياة الانسان.

وعندما يتدفق الذكر الالهي في قلب الانسان وعند ما يجري على لسانه ويتجسد في سلوكه، فان ذلك سوف ينعكس على حياة الانسان ويجعل منه كائناً اسماً من الملائكة.

ان الذكر الالهي يرفع من كرامة الانسان، لأن القلب المفعم بالايمان يتلقى كرامة الملكوت من الأنبياء:

عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنُّبُوَّةِ.^(١)

ويتلقى أنوار الولاية من أئمة الهدى.

روى زرارة عن الامام الباقر عليه السلام قوله الشريف:

بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ

وَالْوَلَايَةِ. قَالَ زُرَّارَةُ: فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ لِأَنَّهَا

مِفْتَاحُهُنَّ وَالْوَالِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ.^(٢)

وعندما يتطهر الانسان من رذائل الأخلاق ويمتلئ صدره بحقائق الدين

١. بحار الأنوار: ٣٩٢/٤٤؛ الإرشاد، الشيخ المفيد: ٩١/٢.

٢. الكافي: ١٨/٢؛ وسائل الشيعة: ١٣/١.

الالهي، ويتصرف الإنسان في ضوء التعاليم الإلهية، فيعمل بأوامر الشريعة وينتهي بنواهيها فان هكذا انسان يرتفع ليلبغ درجة الذاكرين، وهذا مجد عظيم للانسان.

من أجل ذلك يدعو الامام السجاد عليه السلام قائلاً:

يَا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ.

ذكر الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم

ان أداء الفرائض والواجبات والورع عن ارتكاب المحرمات وتقديم الخدمات للناس واستحضار ذكر المعاد وحقائق القيامة لرب العباد هو الذي يرشد حركة الانسان في طريق السداد.

ويبلغ الانسان هذه الدرجة عند ما يتأمل ما حوله من مظاهر الخلق وآثار الوجود فيسلك في طريق الكمال والقرب من المحبوب المعبود وهذا من صفات الذاكرين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويستفكرون في خلق السماوات والأرض.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. (١)

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ

بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (٢)

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. (٣)

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَثَّقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

١. سورة البقرة (٢): ٦٣.

٢. سورة البقرة (٢): ٢٣١.

٣. سورة البقرة (٢): ٢٣٩.

- وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ^(١).
 ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾^(٢).
 ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).
 ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٤).
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٥).

ان الذكر الالهي حقيقة تسطع بنور الله فتملأ القلوب والصدور بنور الله تبارك وتعالى فيسموا إلى درجة الشرف الرفيعة المفعمة بالقرب من الله عز وجل.
 يَا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ.

انفتاح الذكر الالهي

لا توجد حدود للذكر الالهي فهو مفتوح على ما لا نهاية، جاء في رسالة «نور على نور»، ذكر وذاكر ومذكور» التي هي مقدمة لكتاب «مفتاح الفلاح» للشايخ البهائي:

ان الله عز وجل جعل لكل شيء حداً محدوداً فالصلاة مثلاً محددة بخمسة أوقات، والصوم في شهر رمضان وعين للزكاة نصاباً معيناً اما الذكر فلم يحده بحد ولم يقصر على وقت معين.

جاء في الحديث الشريف عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قوله:

١. سورة المائدة (٥): ٧.
٢. سورة المائدة (٥): ٢٠.
٣. سورة الأعراف (٧): ٦٩.
٤. سورة الأعراف (٧): ٧٤.
٥. سورة الأحزاب (٣٣): ٤١.

مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ إِلَّا الذِّكْرُ، فَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ: فَرَضَ
 اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الْفَرَائِضَ فَمَنْ أَدَاهُنَّ فَهُوَ حَدُّهُنَّ، وَشَهْرَ رَمَضَانَ فَمَنْ صَامَهُ فَهُوَ
 حَدُّهُ، وَالْحَجَّ فَمَنْ حَجَّ فَهُوَ حَدُّهُ، إِلَّا الذِّكْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَرْضَ مِنْهُ
 بِالْقَلِيلِ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(١)، فَقَالَ: لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ
 عَزَّوَجَلَّ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ.^(٢)

غير ان للذكر الحقيقي شروط في طليعتها عدم الانشغال عن ذكر الله في كل
 الظروف.

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
 الزَّكَاةِ﴾.^(٣)

يقول الامام الصادق عليه السلام:

لَا بُاسَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَأَنْتَ تَبُولُ فَإِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ حَسَنٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَلَا تَسْأَمْ
 مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ.^(٤)

قال عز وجل:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.^(٥)

وقال سبحانه:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.^(٦)

٢. الكافي: ٢/ ٤٩٨؛ وسائل الشيعة: ١٥٤/ ٧.

١- احزاب (٣٣): ٤١- ٤٢.

٤. الكافي: ٢/ ٤٩٧؛ وسائل الشيعة: ٣١٠/ ١.

٣. سورة النور (٢٤): ٣٧.

٦. سورة طه (٢٠): ١٤.

٥. سورة العنكبوت (٢٩): ٤٥.

وقال الرسول الأكرم ﷺ:

جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ. ^(١)

أجل ان الصلاة قرّة أعين للذاكرين ، لأن الله عزوجل يذكر كل من ذكره:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. ^(٢)

وقال الرسول الأكرم ﷺ:

الْمُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ. ^(٣)

وبما ان الصلاة مناجاة فاذن الصلاة ذكر الهي ومن يذكر الله يكون جليساً له
ويكون الله جليسه والجليس يرى جليسه، ومن أجل ذلك قال الامام
أمير المؤمنين عليه السلام:

مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ. ^(٤)

واذن فان الصلاة مشاهدة ورؤية، يعني مشاهدة عيانية روحانية وشهود
روحي في مقام جمعي ورؤية عينية في مظهر فرقي، وبعبارة أوجز مشاهدة في
مقام جمعي ورؤية في مظهر فرقي.

واذن اذا لم يكن المصلي صاحب بصر وعرفان ولا يعلم ان الله يتجلى لكل
شيء وهو ظهر من كل شيء فانه لا يرى الحق تبارك وتعالى.
وجملة «ولذكر الله أكبر» وجه هو ان ذكر الله في الصلاة أكبر من الأقوال

١. وسائل الشيعة: ١٤٤/٢؛ مجموعة ورام: ٩١/١.

٢. سورة البقرة (٢): ١٥٢. ٣. بحار الأنوار: ٢١٦/٦٨.

٤. الكافي: ٩٨/١؛ التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٠٩.

والأفعال التي تشتمل عليها الصلاة يعني ليس فيها ما هو أكبر من الذكر الالهي .
 ووجه آخر ان ذكر الله للعبد أكبر من ذكر العبد لله لأن كبرياء الحق تبارك
 وتعالى حق .

واذن فان العبارة تشتمل ذكر الله للعبد وذكر العبد لله كما هو قوله تعالى : وقوله
 ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ تعالى : ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾^(١).

فضائل الذكر وأسراره

ومن فضائل الذكر وأسراره ما ورد في «شرح فصوص الحکم» :
 وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَفْضَلُ مِنْ أَنْ
 تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ؟ ذَكَرَ اللَّهُ» .
 وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَغْلَمُ قَدْرَ هَذِهِ النَّشْأَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ الذَّكَرَ الْمَطْلُوبَ
 مِنْهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَهُ، وَالْجَلِيسُ مَشْهُودُ الذَّاكِرِ، وَمَتَى لَمْ يُشَاهِدِ
 الذَّاكِرُ الْحَقَّ الَّذِي جَلِيسُهُ فَلَيْسَ بِذَاكِرٍ^(٢).
 وينبغي للمؤمن أن يذكر الله بقلبه لأن روح الذكر في حضور القلب فلا ذكر
 للرب في سهو القلب وقد جاء في الحديث :
 لَيْسَ الذَّكَرُ قَوْلًا بِاللِّسَانِ فَقَطُّ^(٣).
 وقال الله سبحانه وتعالى :

١ . النبأ (٧٨) : ٢٦ .

٢ . شرح فصوص الحکم : ٩٧٩؛ مسند أحمد بن حنبل : ٤٤٧/٦ .

٣ . منهاج النجاح في ترجمة مفتاح الفلاح : ٣٨ .

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. (١)

وقال عز وجل:

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. (٢)

وقال جلّ وعلا:

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾. (٣)

وقال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾. (٤)

وقال سبحانه:

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾. (٥)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

قَالَ مَعْنَاهُ: لَأَفْذَنَاهُمْ عِلْمًا كَثِيرًا يَتَعَلَّمُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. (٦)

وقال عليه السلام:

﴿لَوْ اسْتَقَامُوا﴾ عَلَى وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١. سورة الكهف (١٨): ٢٨. ٢. سورة الزمر (٣٩): ٢٢.

٣. سورة الأعراف (٧): ٢٠٥ - ٢٠٦. ٤. سورة فصلت (٤١): ٣٠.

٥. سورة الجن (٧٢): ١٦.

٦. بحار الأنوار: ١٥١/٢؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٧٠٣.

وَقَبِلُوا طَاعَتَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ «لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» يَقُولُ: لَأَشْرَبُنَا قُلُوبُهُمُ الْإِيمَانَ.^(١)

وقد فسر الماء الغدق بالعلم، ذلك ان الماء صورة العلم لأن العلم سبب في حياة الأرواح والماء سبب في حياة الأشباح.

وقد فسر ابن عباس الماء الآية الكريمة: «أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»^(٢) بالعلم، والايمان علم أيضاً لأنّ الايمان تصديق والعلم إمّا تصوّر أو تصديق، بل ان العلوم والادراكات فوق التصوّر والتصديق وفوق ضوء العلم والايمان يصدق كلّ مراتب ومراحل تلك العلوم والادراكات.

وكلّ عمل وذكر يكون أقل من الأربعين فلا تترتب عليه نتيجة تذكر، وخاصيّة الأربعين في ظهور الفعلية وبروز الاستعداد والقوّة وحصول الملكة أمر مستفاد من الآيات والروايات.

وفي استمرار العمل إلى سنة كاملة حتّى ادراك ليلة القدر.

الذكر في الروايات

قال رسول الله ﷺ في هذا المضمّار:

رُويَ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ. فَقَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: الذِّكْرُ غُدُوًّا وَرَوَاحًا، فَادْكُرُوا. وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ؟ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْزِلُ الْعَبْدَ حَيْثُ أَنْزَلَ اللَّهُ الْعَبْدُ مِنْ

١. الكافي: ١/ ٢٢٠؛ تفسير فرات الكوفي: ٥١٢، ذيل تفسير آية ١٦ من سورة الجن.

٢. سورة المؤمنون (٢٣): ١٨.

نَفْسِهِ. أَلَا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ وَأَرْفَعُهَا عِنْدَ رَبِّكُمْ فِي
دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ذِكْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَدْ أَخْبَرَ
عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: «أَنَا جَلِي سُمْ مَنْ ذَكَرَنِي». وَأَيُّ مَنَزَلَةٍ أَرْفَعُ مِنْ مَنَزَلَةِ جَلِيسِ
اللَّهِ تَعَالَى؟! (١)

وجاء في الروايات:

فِيمَا نَاجَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا مُوسَى، لَا تَنْسِنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ،
فَإِنَّ نِسْيَانِي يُمِيتُ الْقَلْبَ. (٢)

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ وَإِنْ قَلَّ. (٣)

وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

لَا تَكْثُرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوُ الْقَلْبِ. إِنَّ
أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي. (٤)

وقال الإمام السجاد عليه السلام في مناجاة الذاكرين:

وَأَنَسْنَا بِالدُّكْرِ الْخَفِيِّ... فَلَا تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ إِلَّا بِذِكْرِكَ... أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ
بِغَيْرِ ذِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ رَاحَةٍ بِغَيْرِ أُنْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ سُرُورٍ بِغَيْرِ قُرْبِكَ. (٥)

١. إرشاد القلوب، الديلمي: ٦٠/١؛ عدة الداعي: ٢٥٣.

٢. الكافي: ٤٩٨/٢؛ وسائل الشيعة: ١٥٥/٧.

٣. الكافي: ٨٢/٢؛ بحار الأنوار: ٢١٩/٦٨.

٤. وسائل الشيعة: ١٩٤/١٢؛ الأمالي، الشيخ الطوسي: ٣.

٥. بحار الأنوار: ١٥١/٩١، مناجاة الذاكرين.

ان الفكر والذكر جناحان لطائر الملكوت الذي ينطلق من القلب الذاكر فيخلق
في معراج السعادة، والانسان الذاكر يعرض عن الأوهام والخيالات لأنها شأن
الحيوانات والانسان بعقله انسان .

الهي لانهاية لكرمك ! ولا حدود لجودك؛

الهي قلبي بين يديك ، فاجعله صادقاً؛

ولساني اجعله يا الهي بحبك ناطقاً!

[﴿٢﴾] فَإِنْ قَدَّرْتَ لَنَا فَرَاغًا مِنْ شُغْلٍ فَاجْعَلْهُ فَرَاغَ سَلَامَةٍ لَا تُذَرِّكُنَا فِيهِ تَبِعَةٌ وَلَا تَلْحَقُنَا فِيهِ سُمْئَةٌ حَتَّى يَنْصَرِفَ عَنَّا كُتَّابُ السَّيِّئَاتِ بِصَحِيفَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا وَيَتَوَلَّى كُتَّابُ الْحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا].

الفراغ والإحساس بالرضا

الفراغ هو الخلاص من المهام والشغل اسم من شغله شغلاً والسلامة الخلاص من الآفات ويتضمن هذا المقطع من دعاء الإمام السجّاد عليه السلام تضرّعاً إلى الله عزّ وجلّ إذا قدّر له فراغاً من شغل أن يجعله سبباً له فراغ سلامة.

أي إذا لم نشتغل بطاعتك يا ربّ وكانت لنا فسحة من الفراغ فاجعله يا ربنا فراغاً سالماً بعيداً عن المعاصي، لأن من البواعث على اقتراف الذنوب هو الفراغ. فإذا فرغ الإنسان ولم يكن له عمل يشغله، تحول وقت الفراغ هذا إلى اللهو غير البريء.

ونحن نلاحظ في حياتنا اليوميّة كيف يبحث بعض العاطلين عن العمل عن أمثالهم لقتل الوقت في لعب الورق والدومينو وأشياء أخرى.

واستناداً إلى الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فإن الفراغ والصحة تربطها علاقة اللازم والملزوم، يعني ان الإنسان كلّما فرغ من عمل فأنّه يجب أن يكون

في سلامة في روحه وجسمه، وإلا فإن الأفكار الشيطانية تنفذ في خياله وفكره وتراوده وتوسوس إليه في ممارسة بعض الأمور اللاأخلاقية لملء الفراغ وقتل الوقت.

قال الله عز وجل:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾. (١)

والخطاب الالهي موجه إلى رسوله الأكرم ﷺ في أنه إذا فرغ من أداء رسالة الله عز وجل لا يبقى عاطلاً ولا يدع السعي والعمل وعليه أن يشتغل في عبادة الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه جلّ وعلا حتى يبلغ مقام الرضا.

والخطاب يشمل بطبيعة الحال اتباع النبي الأكرم ﷺ والذين آمنوا به واتبعوه. وهذه موعظة الهيّة عميقة وإشارة واضحة على خطورة الفراغ في حياة الانسان، إذ يتوجب عليه أن تكون له حرفة وعمل وشغل ومهنة يمارسها ولا يبقى عاطلاً بطلاً.

جاء في السيرة النبوية للنبي الأكرم ﷺ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا نَظَرَ الرَّجُلَ فَأَعْجَبَهُ، قَالَ: هَلْ لَهُ حِرْفَةٌ، فَإِنْ قَالُوا: لَا، قَالَ: سَقَطَ مِنْ عَيْنِي، قِيلَ: كَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حِرْفَةٌ يَعْيشُ بِدِينِهِ. (٢)

وفي هذه الكلمات المقدسة رسالة واضحة وعميقة في أن الفراغ أساس للمفاسد الاجتماعية.

١. سورة الإنشراح (٩٤): ٧ - ٨.

٢. بحار الأنوار: ٩/١٠٠؛ جامع الأخبار: ١٣٩.

ان العمل والاشتغال في المهن والعمل من ضرورات الحياة خاصّة لدى الشباب .

اضافة إلى ان الانسان المؤمن إذا لم يكن له عمل يرتزق من ورائه فانه سيعيش بدينه ولا ينبغي للمؤمن أن يعيش ويرتزق بالدين وإنما عليه أن يعيش من أجل الدين لا أن يعتاش عليه .

من أجل ذلك يدعو الامام السّجاد عليه السلام إذا قدّر الله لنا فراغاً من شغل أن يكون وقت هذا الفراغ في سلامة من ديننا .

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام :

وَأَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فُرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١)

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء «مكارم الأخلاق» .

اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الْإِهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَدًا عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلَا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي وَلَا تَبْتَلِيَنِي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجِرْ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيِ الْخَيْرِ وَلَا تَمَحِّقْهُ بِالْمَنْ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَقْرِ^(٢).

١ . نهج البلاغة: الكتاب ٥٩ .

٢ . الصحيفة السجّادية : دعاء ٢٠ .

الملائكة الكرام الكاتبون

ان حركات الانسان وسكناته وكل نشاطاته من قول وعمل خاضعة للمراقبة والتسجيل وان من الملائكة من هم موكلون بحفظ أعمال الناس، وان أفعالهم محسوبة ومسجلة بدقة، ليوم المعاد ويوم الحساب.

قال تعالى:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

ومهمة الملائكة الكرام هي تسجيل أعمال البشر وقد وكل بكل انسان ملكين لمراقبته وتسجيل أقواله وضبط أفعاله وأعماله.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٢).

وهذا يعني ان الله عزوجل أراد أن يؤكد لعباده انهم مراقبون وان ملائكة كراماً يكتبون أعمالهم وأقوالهم فلا يغترون ويغفلوا.

جاء في الروايات:

سَأَلَ الرَّزْدِيقُ الصَّادِقَ عَ مَا عَلَّمَهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُؤَكَّلِينَ بِعِبَادِهِ يَكْتُبُونَ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ السِّرِّ وَمَا هُوَ أَخْفَى قَالَ اسْتَغْبَدَهُمْ بِذَلِكَ وَجَعَلَهُمْ شُهُوداً عَلَى خَلْقِهِ لِيَكُونَ الْعِبَادُ لِمُلَازِمَتِهِمْ إِثَابُهُمْ أَشَدَّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ مُوَاطَبَةً وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ أَشَدَّ انْقِبَاضاً وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ يَهُمُّ بِمَعْصِيَةٍ فَذَكَرَ مَكَانَهَا فَأَزَعَوَى وَكَفَّ فَيَقُولُ رَبِّي يَرَانِي وَحَفَظَتِي بِذَلِكَ تَشْهَدُ وَإِنَّ اللَّهَ بِرَأْفَتِهِ وَلُطْفِهِ أَيْضاً وَكُلَّهُمْ

١. سورة الإنفطار (٨٢): ١٠ - ١٢. ٢. سورة ق (٥٠): ١٧ - ١٨.

بِعِبَادِهِ يَذُبُّونَ عَنْهُمْ مَرَدَّةَ الشَّيَاطِينِ وَهَوَامَّ الْأَرْضِ وَأَفَاتٍ كَثِيرَةً مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ إِلَيَّ أَنْ يَجِيءَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ^(١)

ويروي سعيد بن قيس الهمداني إحدى ذكرياته في حرب صفين قائلاً:

نَظَرْتُ يَوْمًا فِي الْحَرْبِ إِلَى رَجُلٍ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ فَحَرَكْتُ فَرَسِي فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ نَعَمْ يَا سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَافِظٌ وَوَاقِيَةٌ مَعَهُ مَلَكَانِ يَحْفَظَانِهِ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ أَوْ يَقَعَ فِي بئرٍ فَإِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ خَلِيًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ. ^(٢)

فالملائكة تحفظ الإنسان إلى وقت حلول أجله.

قال الامام الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾. ^(٣)

يقول بأمر الله من أن يقع في ركي أو يقع عليه حائط أو يصيبه شيء، حتى إذا جاء القدر خلوا بينه وبينهم يدفعونه إلى المقادير، وهما ملكان يحفظانه بالليل وملكان يحفظانه بالنهار يتعاقبانه. ^(٤)

ويستفاد من الآيات والروايات أن الله عز وجل وكل بعض ملائكته بتسجيل أعمال عباده وأيضاً المحافظة عليهم من الحوادث لحين حلول الأجل والقدر. جاء في موسوعة بحار الأنوار:

١. بحار الأنوار: ٣٢٣/٥. ٢. بحار الأنوار: ١٥٤/٦٧.

٣. سورة الرعد (١٣): ١١.

٤. تفسير القمي: ٣٦٠/١، ذيل آية ١١ من سورة الرعد؛ بحار الأنوار: ١٧٩/٥٦.

وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

قال الطبرسي رحمته الله: حبل الوريد هو عرق يتفرق في البدن أو عرق الحلق أو عرق متعلق بالقلب والمتلقيان الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه والمراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح وقيل عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات وقيل الحفظة أربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل ما يلفظ أي ما يتكلم بكلام فيلفظه أي يرميه من فيه إلا لديه حافظ حاضر معه والرقيب الحافظ والعتيد المعد للزوم الأمر يعني الملك الموكل به إما صاحب اليمين وإما صاحب الشمال يحفظ علمه لا يغيب عنه والهاء في لديه تعود إلى القول أو إلى القائل انتهى قوله فإن عالم السر يعلم أي يكفي لصدق الآية اطلاع الرب تعالى وهو الرقيب على عباده وقد قال سبحانه قبل ذلك: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. ^(١)

مراقبة الأعمال

تؤثر نوايا الانسان في كل وجوده وحياته، وتدرك الملائكة أسرار الانسان من خلال انعكاسها في الخارج، ومن المؤكد انها تطلع على ذلك لأنها تستطيع ضبط أعمال البشر بدقة، حيث النوايا والاخلاص في العمل تؤلف جزءاً أساسياً من العمل نفسه.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام في الحث على التقوى وان هناك من يراقب

أعمال البشر:

إَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعَيْنًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ وَحِفَافَ
صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ
وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابُ دُورٍ تَاجٍ.^(١)

[﴿٣﴾] وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ حَيَاتِنَا وَتَصَرَّمَتْ مُدَدُ أَعْمَارِنَا وَاسْتَخْضَرْتُنَا دَعْوَتُكَ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا وَمِنْ إِبْجَابَتِهَا فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ خِتَامَ مَا تُخْصِي عَلَيْنَا كِتَابَةً أَعْمَالِنَا تَوْبَةً مَقْبُولَةً لَا تُوقِفُنَا بَعْدَهَا عَلَى ذَنْبٍ اجْتَرَحْنَاهُ وَلَا مَعْصِيَةٍ اقْتَرَفْنَاهَا].

فصل الختام

الله سبحانه له مفاتيح الغيب والحكمة وهو سبحانه وحده الذي يعلم ما يؤول إليه مصير الانسان في الفصل الأخير من حياته والله يهدي من يشاء وهو عز وجل يمتحن عباده بأنواع المحن والعاقبة الحسنة ستكون من نصيب المتقين الصابرين. وليس مثل المحن ما يكشف عن معدن الانسان وجوهره، وهذه الاختبارات هي التي تعبّد الطريق للانسان نحو الكمال.

ومصير البشر يتوقف على سيرتهم وموقفهم النهائي فاذا كان ايجابياً كان مصيرهم إلى الجنة وإذا كان سلبياً آل مصيرهم إلى الجحيم والعذاب الأليم.

قال عز وجل:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ

وَالْعَلَقِيَّةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١).

ان المستقبل الحقيقي سيكون من نصيب الانسان المؤمن المتقي الذي يقوم بأعمال الخير والذي لا تتحكم به الغرائز الحيوانية وشهوة السيطرة واذلال الآخرين .

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

وفي ضوء الآيات القرآنية والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فإن الإيمان والصلاة والصبر والتسليم لله تعالى والرضا بما قسم الله عز وجل والتقوى والتوبة والشهادة في سبيل الله ودعاء الوالدين وأعمال الخير والبر ان كل ذلك يؤدي دوراً في حسن العاقبة للانسان ، فلا يغادر الدنيا حتى يختم له بالخير وتكون عاقبة أمره إلى النعيم الخالد ورضوان الله من الله أكبر .

يقول العلامة الطباطبائي رضوان الله عليه في مضممار العلاقات الاجتماعية في الاسلام في البحث الخامس عشر :

«ان الدين الحق هو الغالب على الدنيا بالآخرة ، والعاقبة للتقوى ، فان النوع الانساني بالفطرة المودوعة فيه تطلب سعادته الحقيقية وهو استواؤه على عرش حياته الروحية والجسمية (مؤلفة) معاً حياة اجتماعية باعطاء نفسه حظاً من السلوك الديني والأخروي وقد عرفت ان هذا هو الاسلام ودين التوحيد .

وأما الانحرافات الواقعة في سير الانسانية نحو غايته وفي ارتقائه إلى أوج كماله فأنما هو من جهة الخطأ في التطبيق لا من جهة بطلان الفطرة والغاية التي

يعقبها الصنع والايجاد لا بد أن تقع يوماً معجلاً أو على مهل .

قال تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١). (٢)

يقول الامام الصادق عليه السلام في بيان الاختلاف بين ارادة الله عز وجل وما يقول

الناس :

يُسَلِّكُ بِالسَّعِيدِ طَرِيقَ الْأَشْقِيَاءِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ: مَا أَشَبَّهُهُ بِهِمْ، بَلْ هُوَ مِنْهُمْ! ثُمَّ يَتَذَرُكُهُ السَّعَادَةُ. وَقَدْ يُسَلِّكُ بِالشَّقِيِّ طَرِيقَ السُّعْدَاءِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَا أَشَبَّهُهُ بِهِمْ بَلْ هُوَ مِنْهُمْ! ثُمَّ يَتَذَرُكُهُ الشَّقَاءُ. إِنَّ مَنْ عَلِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَعِيداً وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا فُوقَ نَاقَةٍ خَتَمَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ. (٣)

وجاء في الروايات المعتبرة :

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِأَصْحَابِهِ يَوْماً وَهُوَ يَعِظُهُمْ: تَرَضُّدُوا مَوَاعِيدَ الْأَجَالِ وَبَاشِرُوهَا بِمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى ذَخَائِرِ الْأَمْوَالِ فَتُخْلِيَكُمْ خَدَائِعُ الْأَمَالِ، إِنَّ الدُّنْيَا خَدَاعَةٌ صَرَاعَةٌ مَكَارَةٌ غَرَارَةٌ سَحَارَةٌ أَنْهَارُهَا لَامِعَةٌ وَثَمَرَاتُهَا يَانِعَةٌ ظَاهِرُهَا سُرُورٌ وَبَاطِنُهَا غُرُورٌ تَأْكُلُكُمْ بِأَضْرَاسِ الْمَنَآيَا وَتُسَبِّرُكُمْ بِإِتْلَافِ الرِّزَايَا لَهُمْ بِهَا أَوْلَادُ الْمَوْتِ وَآثَرُوا زِينَتَهَا فَطَلَبُوا رُتْبَتَهَا جَهْلُ الرَّجُلِ وَمَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُوَلَعُ بِلَذَّتِهَا وَالسَّائِكُ إِلَى فَرْحَتِهَا وَالْأَمِينُ لِعِذْرَتِهَا دَارَتْ عَلَيْكُمْ بِصُرُوفِهَا وَرَمَتْكُمْ بِسِهَامِ خُتُوفِهَا فَهِيَ تَنْزِعُ أَرْوَاحَكُمْ نَزْعاً وَأَنْتُمْ

٢. تفسير الميزان: ١٣١/٤ - ١٣٢.

١. سورة الروم (٣٠): ٣٠.

٣. الكافي: ١/١٥٤؛ بحار الأنوار: ٥/١٥٩.

تَجْمَعُونَ لَهَا جَمْعاً لِمُوتٍ تُولَدُونَ وَإِلَى الْقُبُورِ تُنْقَلُونَ وَعَلَى التُّرَابِ
تَتَوَسَّدُونَ وَإِلَى الدُّودِ تُسَلَّمُونَ وَإِلَى الْحِسَابِ تُبْعَثُونَ يَا ذَوِي الْحِيلِ وَالْأَرَءِ
وَالْفَقْهِ وَالْأَنْبَاءِ اذْكُرُوا مَصَارِعَ الْأَبَاءِ فَكَأَنَّكُمْ بِالنَّفُوسِ قَدْ سُلِبَتْ وَبِالْأَبْدَانِ قَدْ
عُرِيَتْ وَبِالْمَوَارِيثِ قَدْ قُسِمَتْ فَتَصِيرُ يَا ذَا الدَّلَالِ وَالْهَيْبَةِ وَالْجَمَالِ إِلَى مَنْزِلَةٍ
شَعْنَاءَ وَمَحَلَّةٍ غَبْرَاءَ فَتَنْتَوِمُ عَلَى خَدِّكَ فِي لَحْدِكَ فِي مَنْزِلٍ قَلَّ زَوَارُهُ وَمَلَّ
عَمَلُهُ حَتَّى تُشَقَّ عَنِ الْقُبُورِ وَتُبْعَثَ إِلَى النُّشُورِ.

فَإِنْ خُتِمَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ صِرْتَ إِلَى الْخُبُورِ وَأَنْتَ مَلِكٌ مُطَاعٌ وَآمِنٌ لَا تَرَاغُ
يَطُوفُ عَلَيْكُمْ وَلَدَانُ كَأَنَّهُمْ الْجَمَانُ بِكَاسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيَضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ
أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا يَتَنَعَّمُونَ وَأَهْلُ النَّارِ فِيهَا يُعَذَّبُونَ هَؤُلَاءِ فِي السُّنْدُسِ
وَالْخَرِيرِ يَتَبَخَّرُونَ وَهَؤُلَاءِ فِي الْجَحِيمِ وَالسَّعِيرِ يَتَقَلَّبُونَ.^(١)

وقال صلوات الله عليه :

إِنَّ حَقِيقَةَ السَّعَادَةِ أَنْ يُخْتَمَ لِلْمَرْءِ عَمَلُهُ بِالسَّعَادَةِ، وَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّقَاءِ أَنْ
يُخْتَمَ لِلْمَرْءِ عَمَلُهُ بِالشَّقَاءِ.^(٢)

واذن فان الفصل الأخير من حياة الانسان في عالم الدنيا هو الذي يحدد
مصيره ومستقبله في عالم الآخرة.

والعاقبة الحسنة تعني حياة جديدة مشرقة مفعمة بالسعادة الأبدية والنعيم
الخالد.

جاء في السيرة النبوية المباركة في رواية عن الامام الصادق عليه السلام:

١. بحار الأنوار: ٣٧٣/٧٤؛ الأمالي، الشيخ الطوسي: ٦٥٢.

٢. معاني الأخبار: ٣٤٥؛ بحار الأنوار: ٣٦٤/٦٨.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِرَجُلٍ أَتَاهُ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ يُدْخِلُكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْلِ مِمَّا أَتَاكَ اللَّهُ قَالَ فَإِنْ كُنْتُ أَخْوَجَ مِمَّنْ أَنْيَلُهُ قَالَ فَانْصُرِ الْمَظْلُومَ قَالَ فَإِنْ كُنْتُ أَضْعَفُ مِمَّنْ أَنْصُرُهُ قَالَ فَاصْنَعْ لِلْأَخْرَقِ يَغْنِي أَشْرُ عَلَيْهِ قَالَ فَإِنْ كُنْتُ أَخْرَقَ مِمَّنْ أَصْنَعُ لَهُ قَالَ فَاصْصِمْتُ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ أَمَا يَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ فِيكَ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ تَجُرُّكَ إِلَى الْجَنَّةِ. ^(١)

يقول العلامة المجلسي في ذيل هذه الرواية :

أنل مما أتاك الله أي أعط المحتاجين مما أعطاك الله تعالى قال الجوهرى نال خيرا ينال نيلا أي أصاب وأناله غيره والأمر فيه نل بفتح النون للأخرق أي الجاهل بمصالح نفسه وفي القاموس صنع إليه معروفا كمنع صنعا بالضم وصنع به صنيعا قبيحا فعله والشيء صنعا بالفتح والضم عمله وصنعة الفرس حسن القيام عليه وأصنع أعان آخر والأخرق تعلم وأحكم واصطنع عنده صنعة اتخذها وفي النهاية الخرق بالضم الجهل والحمق وقد يخرق خرقا فهو أخرق والاسم الخرق بالضم ومنه الحديث تعين ضائعا أو تصنع لأخرق أي جاهل بما يجب أن يعمل ولم يكن في يده صنعة يكسب بها انتهى. والظاهر أن يعني من كلام الصادق ع ويحتمل كونه كلام بعض الرواة أي ليس المراد نفعه بمال ونحوه بل برأي ومشورة ينفعه وفيه حث على إرشاد كل من لم يعلم أمرا من مصالح الدين والدنيا.

فإن كنت أخرق أي أشد خرقا وإن كان نادرا فاصمت على بناء المجرد والإفعال في القاموس الصمت والصموت والصمات السكوت كالإصمات

والتصميم وأصمته أسكته لازمان متعديان والمراد بالخير ما يورث ثوابا في الآخرة أو نفعاً في الدنيا بلا مضرة أحد فالمباح غالباً مما ينبغي السكوت عنه والأمر لمطلق الطلب الشامل للوجوب والرجحان.

واختلف في المباح هل يكتب أم لا نقل عن ابن عباس أنه لا يكتب ولا يجازى عليه والأظهر أنه يكتب لعموم قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ ولدلالة كثيرة من الروايات عليه وقد أوردناها في كتاب العدل وعدم المجازات لا يدل على عدم الكتابة إذ لعل الكتابة لغرض آخر كالتأسف والتحسر على تضييع العمر فيما لا ينفع مع القدرة على فعل ما يوجب الثواب.

ويدل الخبر على أن كمال خصلة واحدة من تلك الخصال يوجب الجنة ويحتمل اشتراطها بترك الكبائر أو نحوه أو يكون الجر إليها كناية عن القرب منها.

وقيل يمكن أن يراد أن الخصلة الواحدة تجر إلى أسباب الدخول في الجنة وهي الخصال الأخر فإن الخير بعضه يفضي إلى بعض.^(١)

وقد سئل أحد العرفاء عن الذكر فأورد له معاني عديدة:

سُئِلَ سَهْلٌ^(٢): مَا الذِّكْرُ؟ قَالَ: الطَّاعَةُ. قُلْتُ: مَا الطَّاعَةُ؟ قَالَ: الْإِخْلَاصُ. قُلْتُ: مَا الْإِخْلَاصُ؟ قَالَ: الْمُشَاهَدَةُ. قُلْتُ: وَمَا الْمُشَاهَدَةُ؟ قَالَ: الْعُبُودِيَّةُ. قُلْتُ: مَا الْعُبُودِيَّةُ؟ قَالَ: الرِّضَا. قُلْتُ: مَا الرِّضَا؟ قَالَ: الْإِفْتِقَارُ. قُلْتُ: مَا الْإِفْتِقَارُ؟ قَالَ:

١. بحار الأنوار: ٢٩٦/٦٨ - ٢٩٧.

٢. سهل بن عبدالله التستري من كبار أهل التصوف والطريقة. (لغت نامه دهخدا).

التَّضَرُّعُ وَالِإِلْتِجَاءُ، سَلَّمَ ثُمَّ سَلَّمَ إِلَى الْمَمَاتِ^(١).

حكاية عن سوء العاقبة

نقل عن الإمام الخميني قوله :

في شبابي كنت أعرف رجلاً أمضى عمره من أجل الدنيا فبنى قصرًا منيفاً له ولأبنائه فلما انتقل إليه إذا به يلزم فراش المرض وشعر بدنو الأجل، وحضر الملكن يلقنه كلمة التوحيد، فامتنع عن قولها وقال بمرارة:

ـ لقد أفنيت عمري من أجل بناء هذا القصر الكبير، والآن وقد حان وقت الاستمتاع به مع أبنائي إذا بالموت يحضرني!

ثم نطق بكلمة الكفر ومات!

وهذا التاريخ يقدم لنا نماذج من أشخاص بدأوا حياتهم مجاهدين في سبيل الله ثم ختموا حياتهم بالقتال من أجل الدنيا وحاربوا امام زمانهم من قبيل طلحة والزبير!

حمامة المسجد

كان عبد الملك بن مروان في شبابه زاهداً ناسكاً في المدينة قبل الخلافة وقد عرف بـ «حمامة المسجد» لمداومته على تلاوة القرآن.

١. تفسير السلمى: ١٤٦/٢، ذيل آية ٣٥ من سورة الأحزاب؛ لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٥٧٠/٢، الدعاء ١١.

ولمّا بشر بالخلافة كان يقرأ القرآن فأطبق المصحف وقال: هذا فراق بيني وبينك!

وانغمس في المعاصي وسفك الدماء حتّى مريته لما قالت له: سمعت أنك تشرب الخمر!

فقال لها: والدماء أيضاً!

لقد تحوّل عبد الملك في النهاية إلى طاغية سفاح، وكان في طليعة جرائمه انه سلّط الحجاج على أقاليم واسعة من الدولة يحكمها حكماً مطلقاً، والحجاج معروف بجرائمه المروعة وسجونه ومعتقلاته الرهيبة.

وكانت آخر وصايا عبد الملك أن أكّد على وريثه في العرش!

باكرام الحجاج «فأنّه هو الذي وطأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناوأك!!»^(١)

عاقبة عابد من بني إسرائيل

جاء في تفسير الطبرسي رحمته الله عن ابن عباس قال:

كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصا عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعودهم فيبرءون على يده وإنه أتى بامرأة في شرف قد جنت وكان لها إخوة فأتوه بها وكانت عنده فلم يزل به الشيطان

١. قال المسعودي: «كان لعبد الملك إقدام على الدماء وكان عمّاله على مذهبه كالحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وهشام بن إسماعيل بالمدينة وغيرهم، وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء» مروج الذهب المجلد الثالث ص ٩٩ - المترجم.

يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا ثم أتى بقية إخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول والله لقد أتاني آت ذكر لي شيئاً يكبر علي ذكره فذكره بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فसार الملك والناس فاستنزله فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال أنا الذي ألقيتك في هذا فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة واحدة فقال كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة فقال أكتفي منك بالإيماء فأوماً له بالسجود فكفر بالله وقتل الرجل فأشار الله تعالى إلى قصته في هذه الآية .

وجاء في كتب التاريخ ان «الفضيل» كان يقطع الطريق على القوافل التجارية، ولم يكن يتورع عن السطو ليلاً على البيوت للسرقة فتسور ذات ليله سطح أحد الدور فتنهض إليه صوت رجل يتلو القرآن بصوت حزين فسمعه يتلو قوله تعالى: ﴿الْمَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١). فسرت القشعريرة في جسمه وحدثت الكلمات المقدسة تأثيراً عميقاً وجذرياً في حياته إذ تحول من «لص» إلى إنسان «مخلص» .

وما أكثر الحكايات عن أشخاص امضوا سنوات طويلة من أعمارهم في الموبقات والآثام ثم ختموا حياتهم بالتوبة.

١. سورة الحديد (٥٧): ١٦.

وجاء في الروايات عن الامام الصادق عليه السلام:

إِيَّاكُمْ وَالْمِزَاحَ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِمَاءِ الْوَجْهِ وَمَهَابَةِ الرَّجَالِ.

كان أصحاب رسول الله ﷺ يجلسون فيلهون ويتحدثون ويضحكون حتى أنزل الله عز وجل: ﴿الَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ فلما قرأ رسول الله ﷺ عليهم هذه الآية تركوا الحديث واللهو والمزاح.^(١)

١. مشكاة الأنوار: ١٩١.

[﴿٤﴾ وَلَا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْرًا سَتَرَتْهُ عَلَي رُءُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ تَبْلُو أَخْبَارَ عِبَادِكَ .

[﴿٥﴾ إِنَّكَ رَحِيمٌ بِمَنْ دَعَاكَ وَمُسْتَجِيبٌ لِمَنْ نَادَاكَ.]

رحمة الحق

وباله من مشهد رهيب في يوم القيامة حيث يقف الانسان أمام الحساب ،
يومئذٍ لا تخفى على الله خافية وتنكشف الحقائق ، وحتى الأعمال التي تبدو
صالحة في الدنيا ستتكشف حقيقتها ، حتى الصلاة والحج ، هل كانت صلاتنا
خالصة لله أم رياء ؟ وهل كان حجنا خالصاً لله أم لا ؟
وتلك الأعمال التي كنا نفترفها سرّاً أو تحت جنح الظلام أجل كلّ شريط حياتنا
سنجده في ذلك اليوم والله سبحانه هو أرحم الراحمين يتوجّه إليه الانسان بالدعاء
الآ يفضحه يوم القيامة على رؤوس العباد .

يَا سَتَّارَ الْغُيُوبِ ، وَيَا كَاشِفَ الْكُرُوبِ .^(١)

أجل هو الذي يستر على عيوبنا وعلى ما اقترفنا من أعمال سيّئة .

١ . بحار الأنوار : ٣٤١ / ٨٤ ؛ المصباح ، الكفعمي : ٢٤٧ .

وَبِرَحْمَتِكَ أَخْفَيْنَهُ، وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ.^(١)

يوم القيامة يوم عظيم تنكشف فيه جميع الأسرار.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.^(٢)

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.^(٣)

ستار العيوب

ان من أوصاف الحقّ تبارك وتعالى الجمالية هو انه ستار العيوب فهو سبحانه يظهر الجميل ويستر القبيح، فما أجراً الانسان على ارتكاب المعاصي في رحاب ربّ العالمين.

وقد جاء في الروايات عن الامام الصادق عليه السلام: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله تعالى فستر عليه.

انه سبحانه يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين، فيستر على عيوب الانسان في «يوم تبلى السرائر».

والبلاء هو الاختبار وحقيقته في حقّه تعالى يرجع إلى الكشف والاظهار لذا يتعيّن على العبد أن يتّقى الله عزّ وجلّ وأن يشعر بالحياء والخجل منه سبحانه وتعالى.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

١. مصباح المتهجد: ٨٤٩، دعاء الخضر عليه السلام، دعاء كميل؛ إقبال الأعمال: ٧٠٩.

٢. سورة الطارق (٨٦): ٩.

٣. سورة التوبة (٩): ١٠٥.

إَتَّقِ اللَّهَ بَغْضَ التَّقَىٰ وَإِنْ قَلَّ، وَأَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ. (١)

فالتقوى جسر إلى ستر العيوب في يوم تنكشف فيه أعمال العباد.

قال رجل لرسول الله ﷺ:

أُحِبُّ أَنْ يَسْتُرَ اللَّهُ عَلَيَّ عُيُوبِي قَالَ: أَسْتُرْ عُيُوبَ إِخْوَانِكَ يَسْتُرْ اللَّهُ عُيُوبَكَ. (٢)

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ فِي فَاحِشِيهِ رَأَاهَا عَلَيْهِ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (٣)

ان الكرم والسخاء من صفات الله عز وجل المتان، وانه شجرة في الجنة تتدلى أغصانها في عالم الدنيا فمن كان سخيًا في الدنيا تعلق بغصن من أغصانها ويكون مصيره إلى الجنة.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

السَّخَاءُ سَتْرُ الْعُيُوبِ. (٤)

وقال عليه السلام:

١. نهج البلاغة: الحكمة ٢٤٢.

جاء في الروايات: «عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَمِلَ بِهَذَا غَيْرُ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ نَحْنُ ذَكَرْنَا اللَّهَ فَلَا نَنْسَاهُ وَنَحْنُ شَكَرْنَا اللَّهَ فَلَا نَكْفُرُهُ وَنَحْنُ أَطَعْنَا اللَّهَ فَلَا نَعْصِيهِ فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتِ الصَّحَابَةُ لَا نُطِيقُ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ قَالَ وَكَيْفَ يَغْنِي مَا أَطَقْتُمْ ثُمَّ قَالَ وَاسْمَعُوا مَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَأَطِيعُوا يَغْنِي أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِيمَا يَأْمُرُونَكُمْ بِهِ»

بحار الأنوار ٦٣/٣٨ - المترجم . ٢. كنز العمال: ١٦/١٢٩.

٣. كنز العمال: ٢٥٠/٣؛ كشف الخفاء: ٢٥٢/٢.

٤. غرر الحكم: ٣٧٩.

غَطَاءُ الْعُيُوبِ السَّخَاءُ وَالْعَفَافُ^(١)

كيف يمكن أن يكون السخاء غطاءً للعيوب؟!

مثلاً ان الله عزوجل يعفو عن الانسان ويتجاوز عن أخطائه وخطاياها ويوفقهم إلى التوبة فانه ينبغي على الانسان المؤمن أن يكون كريماً مع الناس فيستر عيوبهم ويتجاوز عن أخطائهم.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

إِحْتِمَالُ مَا يَمُرُّ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ الْإِحْتِمَالَ سِتْرُ الْعُيُوبِ وَإِنَّ الْعَاقِلَ نِصْفُهُ إِحْتِمَالٌ وَنِصْفُهُ تَغَافُلٌ^(٢).

مطلوب من الانسان أن يحتمل المكاره والمحن فلا يشكو ولا يتذمر.

وجاء في الروايات ان جماعة من المشركين ارتكبوا جرائم قتل بحق المسلمين، فالقي القبض عليهم، فأمر النبي عليه السلام بالاقتصاص منهم.

ثُمَّ أَمَرَهُ بِإِفْرَادِ وَاحِدٍ لَا يَقْتُلُهُ فَقَالَ الرَّجُلُ لِمَ أَفَرَدْتَنِي مِنْ أَصْحَابِي وَالْجَنَائَةِ وَاحِدَةً فَقَالَ لَهُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكَ سَخِي قَوْمِكَ وَلَا أَقْتُلُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَقَادَهُ سَخَاؤُهُ إِلَى الْجَنَّةِ^(٣).

ومن أراد الله عزوجل أن يوفقه قل كلامه وقل طعامه وقل منامه لأنه من أسرف في الكلام والطعام والمنام قاده اسرافه إلى ارتكاب الذنوب وقل حياؤه

١. غرر الحكم: ٣٧٩.

٢. غرر الحكم: ٢٨٤.

٣. بحار الأنوار ٦٨ / ٣٥٤ - ٣٥٥.

وزالت تقواه ومات قلبه فيكبّه الله في نار جهنّم .
 من أجل ذلك يوصي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم
 بالاقبال من الكلام والاكتثار من التأمل والتفكير لأن ذلك يضيء القلوب .
 يستدلّ على نبل الرجل بقلّة مقالته وعلى تفضّله بكثرة احتماله .
 إذا تمّ العقل نقص الكلام .

والكلام كالدواء قليله ينفع وكثيره قاتل .^(١)

قلّة الكلام يستترّ العيوب ويقلّل الذنوب .^(٢)

٢ . غرر الحكم: ٢١١ .

١ . غرر الحكم: ٢١١ .

الدعاء الثاني عشر
الاعتراف وطلب التوبة

- ﴿١﴾ اَللّٰهُمَّ اِنَّهُ يَخْجُبُنِي عَنْ مَسْأَلَتِكَ خِلَالَ ثَلَاثٍ وَتَخْذُونِي عَلَيْهَا خَلَّةً وَاحِدَةً.
- ﴿٢﴾ يَخْجُبُنِي اَمْرٌ اَمَرْتُ بِهِ فَاَبْطَأْتُ عَنْهُ وَنَهَيْ نَهَيْتَنِي عَنْهُ فَاَسْرَعْتُ اِلَيْهِ وَنِعْمَةً اَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَقَصَّرْتُ فِي شُكْرِهَا.
- ﴿٣﴾ وَيَخْذُونِي عَلَى مَسْأَلَتِكَ تَفْضُلُكَ عَلَى مَنْ اَقْبَلَ بِوَجْهِهِ اِلَيْكَ وَوَقَدَ بِحُسْنِ ظَنِّهِ اِلَيْكَ اِذْ جَمِيعُ اِحْسَانِكَ تَفْضُلٌ وَاِذْ كُلُّ نِعْمِكَ اِبْتِدَاءٌ.
- ﴿٤﴾ فَهَآ اَنَا ذَا يَا اِلٰهِي وَاَقِفْ بِبَابِ عِرْكَ وَتُوقِفِ الْمُسْتَغْنِي الدَّلِيلِ وَسَائِلُكَ عَلَى الْحَيَاءِ مِنِّي سُؤَالَ الْبَائِسِ الْمُعِيلِ .
- ﴿٥﴾ مُقَرَّرٌ لَكَ بِأَنِّي لَمْ أَتَسَلِمْ وَقَدْ اِحْسَانُكَ اِلَّا بِالْاِقْلَاعِ عَنْ عِصْيَانِكَ وَلَمْ اَخْلُ فِي الْحَالَاتِ كُلِّهَا مِنْ اِمْتِنَانِكَ .
- ﴿٦﴾ فَهَلْ يَنْفَعُنِي يَا اِلٰهِي اِقْرَارِي عِنْدَكَ بِسُوءٍ مَا اَكْتَسَبْتُ؟ وَهَلْ يُنْجِينِي مِنْكَ اِعْتِرَافِي لَكَ بِقَبِيحٍ مَا اَزْكَبْتُ؟ اَمْ اَوْجَبْتَ لِي فِي مَقَامِي هَذَا سُخْطَكَ؟ اَمْ لَزَمَنِي فِي وَقْتِ دُعَايَ مَقْتُكَ؟ .
- ﴿٧﴾ سُبْحَانَكَ لَا اِيْتَسُ مِنْكَ وَقَدْ فَتَحْتَ لِي بَابَ التَّوْبَةِ اِلَيْكَ بَلْ اَقُولُ مَقَالَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُسْتَخِفِّ بِخُزْمَةِ رَبِّهِ .
- ﴿٨﴾ الَّذِي عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ فَجَلَّتْ وَاَدْبَرَتْ اَيَّامُهُ فَوَلَّتْ حَتَّى اِذَا رَأَى مُدَّةَ الْعَمَلِ قَدِ

انْقَضَتْ وَغَايَةَ الْعُمْرِ قَدْ انْتَهَتْ وَأَيُّنَ أَنَّهُ لَا مَحِيصَ لَهُ مِنْكَ وَلَا مَهْرَبَ لَهُ عَنْكَ تَلَقَّاكَ
بِالْإِنَابَةِ وَأَخْلَصَ لَكَ التَّوْبَةَ فَقَامَ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ طَاهِرٍ نَقِيٍّ ثُمَّ دَعَاكَ بِصَوْتٍ حَائِلٍ خَفِيِّ .

﴿٩﴾ قَدْ تَطَأْتَ لَكَ فَانْحَنَى وَنَكَّسَ رَأْسَهُ فَانْتَنَى قَدْ أَرَعَشْتَ خَشْيَتُهُ رِجْلَيْهِ
وَعَرَقَتْ دُمُوعُهُ خَدَّيْهِ يَدْعُوكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَيَا أَرْحَمَ مَنْ انْتَابَهُ الْمُسْتَزِحْمُونَ
وَيَا أَعْطَفَ مَنْ أَطَافَ بِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ وَيَا مَنْ عَفُوهُ أَكْثَرُ مِنْ نِقْمَتِهِ وَيَا مَنْ رِضَاهُ أَوْفَرُ
مِنْ سَخَطِهِ .

﴿١٠﴾ وَيَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى خَلْقِهِ بِحُسْنِ التَّجَاوُزِ وَيَا مَنْ عَوَّدَ عِبَادَهُ قَبُولَ الْإِنَابَةِ وَيَا
مَنْ اسْتَصْلَحَ فَاسَدَهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَيَا مَنْ رَضِيَ مِنْ فِعْلِهِمْ بِالْيَسِيرِ وَيَا مَنْ كَافَى قَلِيلَهُمْ
بِالْكَثِيرِ وَيَا مَنْ ضَمِنَ لَهُمْ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ وَيَا مَنْ وَعَدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِتَفْضُلِهِ حُسْنَ
الْجَزَاءِ .

﴿١١﴾ مَا أَنَا بِأَعْصَى مَنْ عَصَاكَ فَغَفَرْتَ لَهُ وَمَا أَنَا بِأَلْوَمَ مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ فَقَبِلْتَ مِنْهُ
وَمَا أَنَا بِأَظْلَمَ مَنْ تَابَ إِلَيْكَ فَعُدْتَ عَلَيْهِ .

﴿١٢﴾ أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا تَوْبَةً نَادِمٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ مُشْفِقٍ مِمَّا اجْتَمَعَ
عَلَيْهِ خَالِصِ الْحَيَاءِ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ .

﴿١٣﴾ عَالِمٍ بِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ لَا يَتَعَاظَمُكَ وَأَنَّ التَّجَاوُزَ عَنِ الْإِثْمِ
الْجَلِيلِ لَا يَسْتَضِعُّكَ وَأَنَّ اخْتِمَالَ الْجَنَايَاتِ الْفَاحِشَةِ لَا يَتَكَادَاكَ وَأَنَّ أَحَبَّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ
مَنْ تَرَكَ الْإِسْتِكْبَارَ عَلَيْكَ وَجَانَبَ الْإِضْرَارَ وَلَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ .

﴿١٤﴾ وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ أَسْتَكْبِرَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُصِرَّ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا قَصَّرْتُ
فِيهِ وَأَسْتَغْنِي بِكَ عَلَى مَا عَجَزْتُ عَنْهُ .

﴿١٥﴾ اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَكَ وَعَافِنِي مِمَّا

أَسْتَوجِبُهُ مِنْكَ وَأَجِرْنِي مِمَّا يَخَافُهُ أَهْلُ الْإِسَاءَةِ فَإِنَّكَ مَلِيٌّ بِالْعَفْوِ مَرْجُوٌّ لِلْمَغْفِرَةِ
 مَعْرُوفٌ بِالتَّجَاوُزِ لَيْسَ لِحَاجَتِي مَطْلَبٌ سِوَاكَ وَلَا لِدَنْبِي غَافِرٌ غَيْرُكَ حَاشَاكَ.

﴿١٦﴾ وَلَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا إِيَّاكَ إِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ صَلِّ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَفْضِ حَاجَتِي وَأَنْجِحْ طَلِبَتِي وَاعْفُ ذَنْبِي وَآمِنْ خَوْفَ نَفْسِي إِنَّكَ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَذَلِكَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

[﴿١﴾ اَللّٰهُمَّ اِنَّهُ يَخْجُبُنِيْ عَنْ مَسْأَلَتِكَ خِلَالَ ثَلَاثٍ وَتَخْذُوْنِيْ عَلَيَّهَا خَلَّةً وَاحِدَةً .
﴿٢﴾ يَخْجُبُنِيْ اَمْرٌ اَمَرْتُ بِهِ فَاَبْطَأْتُ عَنْهُ وَنَهَيْتَنِيْ عَنْهُ فَاَسْرَعْتُ اِلَيْهِ وَنِعْمَةٌ
اَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَقَصَّرْتُ فِي شُكْرِهَا]

التكليف الالهي

الانسان مخلوق عظيم وكائن كرمه الله عزوجل وأودع في طياته الحقائق
اللاهوتية ليكون خليفة الله في الأرض، وهبه الله عزوجل قوة العقل ونفخ فيه من
روحه فهو كالبذرة تنطوي على كل أسرار النمو والتكامل والرقى الأخلاقي
والروحي .

ومن لطفه سبحانه وتعالى ان بعث أنبياءه ليبلغون رسالات الله إلى عباده
ويدلّونهم على طريق الخير والصلاح، فمن آمن واتبع تعاليم السماء فانه يسلك
الطريق إلى الله وينعم بقربه ويكون شأنه أرفع من الملائكة .

روى الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه الكرام عن جدّه الرسول
الأكرم صلّى الله عليه وآله قوله الشريف :

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ كَمَثَلِ مَلِكٍ مُّقْرَّبٍ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ

أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ.^(١)

أما إذا كفر أو أشرك أو نافق وتزندق وأعرض عن الرسالات الإلهية والتعاليم السماوية فإن مصيره السقوط إلى حضيض الحيوانية وإلى أسوأ من ذلك.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.^(٢)

وهكذا ينقسم البشر ازاء مسألة الايمان بالله واليوم الآخر إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، ولا يوجد بينهما أي قاسم مشترك على الإطلاق.

لأنه لا يوجد وجه شبه بين هذين الفريقين، فالذين آمنوا بالله ورسله وكتبه يحبون الدار الآخرة ويعملون لها، ويعمرون الأرض باعتبارها امتداد للسماء ويهتمون بشؤونهم الدنيوية على أساس ان الدنيا مزرعة الآخرة فهذه ثقافة الحب الإلهي أما الذين يلحدون بآيات الله ولا يلتزمون بالشرائع السماوية فإنهم قد أخلدوا إلى حب الدنيا فلا هم لهم غيرها ولا يفكرون إلا بها شأنهم في ذلك شأن الحيوانات همها علفها، قد استغرقوا في حب الدنيا وغفلوا عن التفكير في المصير.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا

الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا

أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.^(٣)

ان الذين يؤمنون بالله عز وجل ويصبرون على طاعته ويتحملون مشاق السير في طريقه هم من أسعد البشر لأن مصيرهم إلى الخير والخلود ومستقبلهم مشرق بنور الآخرة، لأن الله عز وجل قد ارتضى لهم الدار الآخرة حيث الحياة الحقيقية

١. بحار الأنوار: ٢١/٦؛ مستدرک الوسائل: ١٢/١٢٥.

٢. سورة الأنفال (٨): ٥٥. ٣. سورة الفاطر (٣٥): ١٩ - ٢٢.

الخالية من نكد العيش وهموم الأيام.

وهم في الدنيا يعيشون بطمأنينة وراحة بال لأنهم في طاعة الله سبحانه وتعالى،
قد توكلوا عليه ورضوا بقدره وقضائه، فهم يصلّون ويصومون ويحجّون إلى بيته
الحرام ويزكّون أموالهم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قد أضاء
الايمان بنوره قلوبهم.

نور المؤمن في الروايات

جاء في الروايات:

فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثَةُ أَنْوَارٍ: نُورُ الْمَعْرِفَةِ، وَنُورُ الْعَقْلِ، وَنُورُ الْعِلْمِ. فَنُورُ
الْمَعْرِفَةِ كَالشَّمْسِ، وَنُورُ الْعَقْلِ كَالْقَمَرِ، وَنُورُ الْعِلْمِ كَالْكَوْكَبِ، فَنُورُ الْمَعْرِفَةِ
يَسْتُرُ الْهَوَى، وَنُورُ الْعَقْلِ يَسْتُرُ الشَّهْوَةَ، وَنُورُ الْعِلْمِ يَسْتُرُ الْجَهْلَ، فَبِنُورِ
الْمَعْرِفَةِ يُرَى الْحَقُّ، وَبِنُورِ الْعَقْلِ يُقْبَلُ الْحَقُّ، وَبِنُورِ الْعِلْمِ يُعْمَلُ بِالْحَقِّ.^(١)

انّ الانسان المؤمن يصبح كائناً نورانياً، لأن نور الايمان يسطع في قلبه ثم
يسطع من بين يديه وعن يمينه وشماله فيضيء إلى أهل السماء كما يضيء النجم
لأهل الأرض.

روى الامام الصادق عن آبائه الكرام، عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام:

الْمُؤْمِنُ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسَةِ مِنَ النُّورِ، مَدْخُلُهُ نُورٌ، وَمَخْرَجُهُ نُورٌ، وَعِلْمُهُ نُورٌ،
وَكَلَامُهُ نُورٌ، وَمَنْظَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النُّورِ.^(٢)

١. جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ١٥٨٤. ٢. بحار الأنوار: ١٧/٦٥؛ الخصال: ٢٧٧/١.

الانسان في الحديث الشريف

قال رسول الله ﷺ:

النَّاسُ مَعَادُنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.^(١)

والانسان المؤمن معدنه نبيل، قد خلا من الشوائب وصفت نفسه من كل يشينها
لا هم له إلا هم رضوان الله عز وجل يقوم بالأعمال الصالحة والخير منه مأمول
والشر منه مأمون، فهو يعيش في الدنيا عيش الأتقياء وفي الآخرة مع السعداء.
يقول الامام علي عليه السلام في إحدى وصاياه الأخلاقية:

الْفَرَائِضُ الْفَرَائِضُ، أَذُوها إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ
مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ.^(٢)

أرض الإله وأسخط الشيطان	تعطى الرضا في الحشر والرضوانا
وامحض ولاءك للذين ولاؤهم	فرض على من يقرأ القرآنا
آل النبي محمد خير الوري	و أجلبهم عند الإله مكانا
قوم قوام الدين والدنيا هم	إذ أصبحوا لهما معا أركانا
قوم إذا أصفى هواهم مؤمن	أعطى غدا مما يخاف أمانا
قوم يطيع الله طائع أمرهم	و إذا عصاه فقد عصى الرحمانا
وهم الصراط المستقيم وحبهم	يوم المعاد يثقل الميزانا

١. بحار الأنوار: ٥٨ / ٦٥؛ من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٣٨٠.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٦.

المحرّمات الالهية

الشريعة الالهية والتعاليم السماوية أوامر ونواهي، إنّ الله عزّ وجلّ يأمر بالخير والاحسان، وينهى عن الشرّ والاساءة وارتكاب المحرّمات الالهية يهدم العقل البشري والانغماس فيها يطفئ هذا السراج.

والانسان الذي ينتهك المحرّمات الالهية هو انسان جاهل لأنّ المعصية عين الجهل في مقابل الطاعة الالهية التي هي عين النور ومن يرتكب المحرّمات الالهية فانه يتعرّض إلى الضياع ويبقى يتخبّط في مسيره إلى أن يسقط في هاوية الخسران.

المحرّمات الالهية في القرآن الكريم

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(١).

وجاء على لسان الأنبياء والرسل الالهيّين:

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا

اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٢).

وفي مصير الامم التي تنتهك المحرّمات الالهية قال عزّ وجلّ:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرُّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ

٢. سورة هود (١١): ٨٨.

١. سورة النحل (١٦): ٩٠.

بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا^(١).

ويوم القيامة ترى الظالمين على حافات الوادي المليء بالجحيم:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا
وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا
لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ^(٢)﴾.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ^(٣)﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ
قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ^(٤)﴾.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا
كَرِيمًا^(٥)﴾.

المحرّمات الإلهية في الروايات

يقول الامام علي عليه السلام في هذا المضمار:

أَهْجُرَ اللَّهُوَ فَإِنَّكَ لَمْ تَخْلُقْ عَبْنًا فَتَلْهُوَ، وَلَمْ تُتْرِكْ سُدًّا فَتَلْعُو^(٦).

وقال عليه السلام:

إِخْذِرِ الْخَيْفَ وَالْجَوْرَ، فَإِنَّ الْخَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ، وَالْجَوْرَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ

١. سورة النساء (٤): ١٦٠ - ١٦١. ٢. سورة الأنعام (٦): ٢٧ - ٢٨.

٣. سورة الأعراف (٧): ١٦٦. ٤. سورة الأنعام (٦): ٥٦.

٥. سورة النساء (٤): ٣١. ٦. غرر الحكم: ٤٦٠.

وَيُعَجِّلُ الْعُقُوبَةَ وَالْإِنْتِقَامَ.^(١)

وقال عليه السلام في رفض الدنيا ونبذها:

ارْضُوا هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا ذَمِيمَةٌ فَقَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْعَفَ بِهَا مِنْكُمْ.^(٢)

وقال عليه السلام في عدم الانقياد للشهوات والغرائز الحيوانية:

اهْجُرُوا الشَّهَوَاتِ فَإِنَّهَا تَقُودُكُمْ إِلَى رُكُوبِ الذُّنُوبِ وَالتَّهَجُّمِ عَلَى السَّيِّئَاتِ.^(٣)

وقال عليه السلام أيضاً:

اتَّقُوا الْبَغْيَ فَإِنَّهُ يَجْلِبُ النِّقَمَ، وَيَسْلُبُ النِّعَمَ، وَيُوجِبُ الْغَيْرَ.^(٤)

وقال عليه السلام أيضاً:

اخْذَرْ الْهَزَلَ وَاللَّعِبَ وَكَثْرَةَ الْمُزَاحِ وَالضَّحْكَ وَالتُّرَاهَاتِ.^(٥)

الهي!

لا تعاقبني بسبب ما اقترفته يداي من الذنوب ولا تؤدبني يا رب بعقوبتك على ما فعلته في الخلوات.

يا رب!

اعترف بجهلي وتهافتي على الشهوات؛

واعترف يا الهي بغفلتي؛

١. غرر الحكم: ٤٥٧.

٢. غرر الحكم: ١٣٨؛ عيون الحكم والمواعظ: ٨٨.

٣. غرر الحكم: ٣٠٥؛ مستدرک الوسائل: ١١/ ٣٤٣.

٤. غرر الحكم: ٤٥٦؛ مستدرک الوسائل: ١٢/ ٨٧.

٥. غرر الحكم: ٤٦١.

أيُّها الأوَّل والآخِر!

يا نور السماوات والأرض!

وأنت وحدك الذي تراقب الأعماق!

أعماق الكون وأعماق البحار وأعماق الانسان!

أنت وحدك الحبيب الودود!!

وأنت وحدك الأمل المنشود.

الهي!

مالي أحد سواك؛

إلى من أتوجّه وإلى من أشكو غيرك؛

لقد زلت عن الطريق المضيء يا الهي!

وحدث عن نهجك الذي أضاه آلاف الأنبياء بنورك.

الهي!

اغفر لي ذنوبي لا يغفرها غيرك يا رب!

ليس خلق إلا وفيه إذا ما	وقع الفحص عن خير وشرّ
لازم ذاك في الجبلة لا	يدفعه من له بذلك خبر
حكمة الصانع المدبّر أن لا	شيء إلا وفيه نفع وضرّ
فاجتهد أن يكون أكبر قسميك	من النفع والأقل الأضرّ
رض بفعل التدبير نفسك واقصرها	عليه ففيه فضل وفخر

لا تطعمها على الذي تبتغيه وليرعها منك اعتساف وقهر
ان من شأنها مجانية الخير واتيان كل ما قد يغرّ

التقصير في أداء شكر النعمة

الشكر هو عرفان النعمة من المنعم، والفرح به والعمل بموجب الفرح باضمار الخير، والتحميد للمنعم واستعمال النعمة في طاعته.
ومن طبيعة الانسان العاقل أن يشكر من أنعم عليه، وقد أودع الله عز وجل في نفوس عباده حب من أحسن إليها.

والانسان الذي لا يشكر من أنعم عليه وأحسن إليه هو انسان لئيم.

يقول الامام الحسن المجتبي سبط رسول الله ﷺ:

اللُّؤْمُ أَنْ لَا تَشْكُرَ النِّعْمَةَ. (١)

وقال والده وصي رسول الله ﷺ:

نِعْمَةٌ لَا تُشْكُرُ كَسَيِّئَةٍ لَا تُغْفَرُ. (٢)

ان عدم شكران النعمة سيئة لا تغفر، ومن هنا كان الرسول الأكرم ﷺ سيّد الكائنات يخشى على أمته من عدم شكران النعم أكثر ممّا يخشى عليها من اقتراف الذنوب لأن في عدم شكران النعم هلاك حتم. (٣)

قال تعالى:

١. بحار الأنوار: ١٠٥/٧٥؛ تحف العقول: ٢٣٣.

٢. غرر الحكم: ٢٨٠.

٣. انظر نهج الفصاحة: ٦٢١، حديث ٢٢٠٢.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾. (١)

وقال عز وجل مخاطباً آل داود ﷺ:

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾. (٢)

وجاء في الروايات عن الامام الصادق ﷺ قوله الشريف:

فِي كُلِّ نَفْسٍ مِّنْ أَنْفَاسِكَ شُكْرٌ لَّازِمٌ لَّكَ بَلْ أَلْفٌ وَأَكْثَرُ وَأَدْنَى الشُّكْرِ رُؤْيَةُ النِّعْمَةِ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ يَنْتَعِلُ الْقَلْبُ بِهَا دُونَ اللَّهِ وَالرِّضَا بِمَا أَعْطَاهُ وَأَنْ لَا تَغْصِيَهُ بِنِعْمَتِهِ وَتُخَالِفَهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ بِسَبَبِ نِعْمَتِهِ وَكُنْ لِلَّهِ عَبْدًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ تَجِدِ اللَّهَ رَبًّا كَرِيمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَوْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عِبَادَةٌ تُعْبَدُ بِهَا عِبَادَةُ الْمُخْلِصِينَ أَفْضَلَ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ لِأَطْلَقَ لَفْظُهُ فِيهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ بِهَا فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ أَفْضَلَ مِنْهَا خَصَّهَا مِنْ بَيْنِ الْعِبَادَاتِ وَخَصَّ أَرْبَابَهَا فَقَالَ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ وَتَمَامُ الشُّكْرِ اعْتِرَافُ لِسَانِ السِّرِّ خَاضِعًا لِلَّهِ تَعَالَى بِالْعَجْزِ عَنْ بُلُوغِ أَدْنَى شُكْرِهِ لِأَنَّ التَّوْفِيقَ لِلشُّكْرِ نِعْمَةٌ حَادِثَةٌ يَجِبُ الشُّكْرُ عَلَيْهَا وَهِيَ أَعْظَمُ قَدْرًا وَأَعَزُّ وَجُودًا مِنَ النِّعْمَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا وَفَقَتْ لَهُ فَيَلْزَمُكَ عَلَى كُلِّ شُكْرٍ شُكْرٌ أَعْظَمُ مِنْهُ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مُسْتَعْرِقًا فِي نِعْمَتِهِ قَاصِرًا عَاجِزًا عَنْ دَرْكِ غَايَةِ شُكْرِهِ وَأَتَى يَلْحَقُ الْعَبْدُ شُكْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ وَمَتَى يَلْحَقُ صَنِيعُهُ بِصَنِيعِهِ وَالْعَبْدُ ضَعِيفٌ لَا قُوَّةَ لَهُ أَبَدًا إِلَّا بِاللَّهِ وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ طَاعَةِ الْعَبْدِ قَوِيٌّ عَلَى مَزِيدِ النِّعَمِ عَلَى الْأَبَدِ فَكُنْ لِلَّهِ عَبْدًا

١. سورة الأعراف (٧): ١٠.

٢. سورة سبأ (٣٤): ١٣.

شَاكِرًا عَلَى هَذَا الْأَصْلِ تَرَى الْعَجَبَ. ^(١)

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْكُمْ أَطْرَافَ النِّعَمِ فَلَا تُنْفَرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ. ^(٢)

ومن السنن الالهية ان الامم التي تتمرغ بالنعم دون أن تؤدّي ما يجب عليها من الشكران والطاعة للمنعم إنما هي امم متمادية في العصيان وكفران النعم وإنها تمرّ بمرحلة الاستدراج الالهي التي تسبق السقوط والانهيار والاندثار.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾. ^(٣)

الاستدراج الالهي

قال الامام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام:

الاسْتِدْرَاجُ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِعَبْدِهِ أَنْ يُسْبِعَ عَلَيْهِ النِّعَمَ وَيَسْلُبَهُ الشُّكْرَ. ^(٤)

وسئل الامام الصادق عليه السلام عن الاستدراج الالهي فقال عليه السلام:

هُوَ الْعَبْدُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُفْلِي لَهُ وَيَجِدُّ لَهُ عِنْدَهُ النِّعَمَ فَيُلْهِيه عَنِ الاسْتِغْفَارِ مِنْ الذُّنُوبِ فَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ. ^(٥)

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في تحذير الانسان الذي تتوالى عليه النعم وهو لا يشكر المنعم.

١. بحار الأنوار: ٥٢/٦٨. ٢. نهج البلاغة: الحكمة ١٣.

٣. سورة الأعراف (٧): ١٨٢ - ١٨٣. ٤. بحار الأنوار: ١١٧/٧٥.

٥. بحار الأنوار: ٢١٨/٥.

يَا بَنَ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاخْذِرْهُ.^(١)

الاعتراف بالتقصير

جاء في الروايات:

كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ يَقُولُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ نِعَمِهِ إِلَّا الْمَعْرِفَةَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَتِهَا كَمَا لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ إِذْرَاكِهِ أَكْثَرَ مِنَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَا يُدْرِكُهُ فَشَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ مَعْرِفَةَ الْعَارِفِينَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَجَعَلَ مَعْرِفَتَهُمْ بِالتَّقْصِيرِ شُكْرًا كَمَا جَعَلَ عِلْمَ الْعَالَمِينَ أَنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَهُ إِيمَانًا عِلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ قَدْرٌ وَسِعَ الْعِبَادَ فَلَا يُجَاوِزُونَ ذَلِكَ.

وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْاعْتِرَافَ بِالنِّعْمَةِ لَهُ حِمْدًا سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْاعْتِرَافَ بِالْعَجْزِ عَنِ الشُّكْرِ شُكْرًا.^(٢)

وهنا سؤال يخطر في أذهان العارفين والسالكين في طريق الحقيقة وهو ان المعصومين (عليهم السلام) هم خلفاء الله في أرضه وهم واسطة الفيض الالهي وبهم يرزق الورى وتثبت بوجودهم الأرض والسماء وإذا كانوا هم معصومين من الخطأ والخطيئة فما معنى التقصير الذي نرى الإشارة إليه في أدعيتهم من قبيل ما ورد في دعاء الامام السجاد (عليه السلام):

اللَّهُمَّ إِنَّ أَحَدًا لَا يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةً إِلَّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِكَ مَا يُلْزِمُهُ شُكْرًا.

٢. بحار الأنوار: ١٤١/٧٥ - ١٤٢.

١. نهج البلاغة: الحكمة ٢٥.

وَلَا يَبْلُغُ مَبْلَغًا مِنْ طَاعَتِكَ وَإِنْ اجْتَهَدَ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا دُونَ اسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ.
فَأَشْكُرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ، وَأَعْبُدُهُمْ مُقْصِرٌ عَنْ طَاعَتِكَ.^(١)

يقول بعض الأكابر:

ان المعصومين يجعلون أنفسهم في مرتبة العبد الذليل المذنب المقصّر ويتضرّعون إلى الله عزّ وجلّ، ذلك أنّهم يعرفون باطن النفس الانسانية وظاهرها، ويعرفون ما تنطوي عليه من الفضائل والردائل فهم يتضرّعون إلى الله سبحانه نيابة عن البشر جميعاً لأنّهم خلفاء الله في عبادته ومن اصطفاهم لهدايتهم.

٢ - ان المعصومين قد بلغوا درجة سامية في خشية الله عزّ وجلّ وفي محاسبة النفس، لهذا فهم يلهجون ويكثرون الاعتراف بالتقصير وفي هذا رياضة روحية تجعلهم في سمو دائم وحركة مستمرة نحو مقام القرب الالهي وهم بعد ذلك أئمة الهدى والأدلاء على ربّ العالمين فمن اقتدى بهم سلك الطريق إلى الكمال الذي هو الغاية العليا والهدف المنشود.

والخلاصة ان الاعتراف بالتقصير هو من خصال المؤمنين الواعين الذين يدركون انه لا يمكن للانسان أداء الحق الالهي والشكران.

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٣٧.

[﴿٣﴾ وَيَخْذُونِي عَلَى مَسْأَلَتِكَ تَفْضُلُكَ عَلَى مَنْ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ إِلَيْكَ وَوَقَدْ بِحُسْنِ ظَنِّهِ
إِلَيْكَ إِذْ جَمِيعُ إِحْسَانِكَ تَفْضُلٌ وَإِذْ كُلُّ نَعِيمِكَ ابْتِدَاءٌ.]

[﴿٤﴾ فَهَذَا أَنَا ذَا يَا إِلَهِي وَاقِفٌ بِبَابِ عِزِّكَ وَقُوفٌ الْمُسْتَسْلِمِ الذَّلِيلِ وَسَائِلُكَ عَلَى الْحَيَاءِ
مِنِّي سُؤَالَ الْبَائِسِ الْمُعِيلِ.]

[﴿٥﴾ مُقِرُّكَ لَكَ بِأَنِّي لَمْ أَشْتَسْلِمِ وَقَدْ إِحْسَانِكَ إِلَّا بِالْإِفْلَاحِ عَنْ عِضْيَانِكَ وَلَمْ أَخْلُ فِي
الْحَالَاتِ كُلِّهَا مِنْ امْتِنَانِكَ]

يشتمل هذا المقطع البليغ من دعاء الامام السجّاد عليه السلام على محورين : هما :

١ - حسن الظنّ بالله تبارك وتعالى ؛

٢ - الفضل الالهي .

حسن الظنّ

جاء في الحديث الشريف عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِاللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ بِي إِِنْ خَيْرًا
فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.^(١)

١ . بحار الأنوار : ٣٦٦/ ٦٧؛ مستدرک الوسائل : ٢٥١/ ١١ .

«ووفد بحسن ظنّه إليك» بمعنى قدم على الرب بحسن الظن أي بأمل في الغفران الالهي والايمان بالفضل الرباني وقد جاء في الحديث النبوي الشريف:

وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أُعْطِيَ مُؤْمِنٌ قَطُّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِحُسْنِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ وَرَجَائِهِ لَهُ وَحُسْنِ خُلُقِهِ وَالْكَفَّ عَنِ اغْتِيَابِ الْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ مُؤْمِنًا بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ إِلَّا بِسُوءِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ وَتَقْصِيرِهِ مِنْ رَجَائِهِ وَسُوءِ خُلُقِهِ وَاعْتِيَابِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يَحْسُنُ ظَنُّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ إِلَّا كَانَ اللَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ لِأَنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ بِيَدِهِ الْخَيْرَاتُ يَسْتَحْيِي أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ قَدْ أَحْسَنَ بِهِ الظَّنَّ ثُمَّ يُخْلِفُ ظَنَّهُ وَرَجَاءَهُ فَأَحْسِنُوا بِاللَّهِ الظَّنَّ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ. ^(١)

إنّ الله عزّ وجلّ هو الرحمن الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة:

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. ^(٢)

يقول العلامة المجلسي في شرحه الحديث أعلاه:

حسن ظنه بالغفران إذا ظنه حين يستغفر وبالقبول إذا ظنه حين يتوب وبالإجابة إذا ظنه حين يدعو وبالكفاية إذا ظنها حين يستكفي لأن هذه صفات لا تظهر إلا إذا حسن ظنه بالله تعالى وكذلك تحسين الظن بقبول العمل عند فعله إياه فينبغي للمستغفر والتائب والداعي والعامل أن يأتوا بذلك موقنين بالإجابة بوعد الله الصادق فإن الله تعالى وعد بقبول التوبة

١. الكافي: ٧١/٢.

٢. سورة الأعراف (٧): ١٥٦.

الصادقة والأعمال الصالحة وأما لو فعل هذه الأشياء وهو يظن أن لا يقبل ولا ينفعه فذلك قنوط من رحمة الله تعالى والقنوط كبيرة مهلكة وأما ظن المغفرة مع الإصرار وظن الثواب مع ترك الأعمال فذلك جهل وغرور يجر إلى مذهب المرجئة والظن هو ترجيح أحد الجانبين بسبب يقتضي الترجيح فإذا خلا عن سبب فإنما هو غرور وتمن للمحال. ^(١)

وسوء الظن بالله عز وجل من أخطر الذنوب التي تجرّ على الانسان الوبال يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. ^(٢)
 ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. ^(٣)
 ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ^(٤)

وجاء في الروايات عن الامام محمد الباقر عليه السلام:

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيِّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى مَنْبَرِهِ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أُعْطِيَ مُؤْمِنٌ قَطُّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِحُسْنِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ وَرَجَائِهِ لَهُ وَحُسْنِ خُلُقِهِ وَالْكَفِّ عَنِ اغْتِيَابِ الْمُؤْمِنِينَ. وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعَذِّبُ اللَّهَ مُؤْمِنًا بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ إِلَّا بِسُوءِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ وَتَقْصِيرٍ مِنْ رَجَائِهِ وَسُوءِ خُلُقِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يَحْسُنُ ظَنُّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ إِلَّا كَانَ اللَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، لِأَنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ بِيَدِهِ الْخَيْرَاتُ يَسْتَحْيِي أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ قَدْ أَحْسَنَ بِهِ الظَّنَّ وَالرَّجَاءَ ثُمَّ يُخْلِفُ ظَنَّهُ وَرَجَاءَهُ، فَأَحْسِنُوا بِاللَّهِ

١. بحار الأنوار: ٣٦٦/٦٧.

٢. سورة الرعد (١٣): ٦.

٣. سورة النور (٢٤): ٥٢.

٤. سورة الشعراء (٢٦): ٥١.

الظَّنَّ، وَارْغَبُوا إِلَيْهِ^(١)

الشيب عنوان المنية و هو تاريخ الكبر
و بياض شعرك موت شعرك ثم أنت على الأثر
فإذا رأيت الشيب عم الرأس فالحذر الحذر

الفضل الإلهي

«ويحدوني عن مسألتك تفضلك على من أقبل بوجهه إليك».

انّ التفضّل الإلهي يعني ان الله عزّ وجلّ يبتدئ بالاحسان إلى عباده ابتداءً
وينعم عليهم تكملاً فهو الذي يعطي من سألّه وهو سبحانه يرزق من لم يسأله ومن
لم يعرفه!

أبواب توبته مشرعة للتائبين فان أقبلوا عليه قبلهم بل وأحبّهم فأنه سبحانه
يحبّ التوابين ويحب المتطهرين .

والامام السجّاد عليه السلام يقول في دعائه ان التفضّل الالهي ثابت متحقّق من غير
استحقاق ذلك ان الفضل الإلهي كلّ أساس هو من غير استحقاق إذ كان ابتداءً
ولأن كلّ النعم الالهية هي احسان وليست جزاءً لحق سابق، وهذا لا ينافي كون
العمل سبباً لدخول الجنّة، وقد قال تعالى:

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)

١. بحار الأنوار: ٣٩٤/٦٧؛ مشكاة الأنوار: ٣٥ - ٣٦.

٢. سورة النحل (١٦): ٣٢.

فكلّ ذلك هو تطوّل وتفَضُّل إلهي إذ جعل العبد المؤمن مستحقّاً للثواب بعمله .
﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. ^(١)

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. ^(٢)
﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾. ^(٣)
﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. ^(٤)
﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. ^(٥)
﴿فَاتَّقَلَّبُوا فِي نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسْنَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾. ^(٦)
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبْغَتْ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا﴾. ^(٧)
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. ^(٨)
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. ^(٩)

إذا اشتملت على اليأس القلوب و ضاق لما به الصدر الرحيب

- | | |
|----------------------------|--------------------------------|
| ١. سورة البقرة (٢): ٦٤. | ٢. سورة البقرة (٢): ١٠٥. |
| ٣. سورة البقرة (٢): ٢٤٣. | ٤. سورة آل عمران (٣): ٧٣ - ٧٤. |
| ٥. سورة آل عمران (٣): ١٥٢. | ٦. سورة آل عمران (٣): ١٧٤. |
| ٧. سورة النساء (٤): ٨٣. | ٨. سورة الأنفال (٨): ٢٩. |
| ٩. سورة يونس (١٠): ٥٨. | |

و أوطنت المكاره واطمأنت	و أرسـت في أماكنـها الكروب
و لم ير لانكشاف الضر وجه	و لا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث	يمن به اللطيف المستجيب
و كل الحادثات إذا تناهت	فموصول به فرج قريب ^(١)

١. ديوان الإمام علي عليه السلام : ٦١.

[﴿٦﴾ فَهَلْ يَنْفَعُنِي يَا إِلَهِي إِقْرَارِي عِنْدَكَ بِسُوءِ مَا اكْتَسَبْتُ؟ وَهَلْ يُنْجِينِي مِنْكَ اعْتِرَافِي لَكَ بِقَبِيحِ مَا أَرْتَكِبْتُ؟ أَمْ أُوجِبَتْ لِي فِي مَقَامِي هَذَا سُخْطُكَ؟ أَمْ لَزِمَنِي فِي وَفْتِ دُعَائِي مَقْتُكَ؟]

الاعتراف بالذنب

جاء في الروايات عن الامام الصادق عليه السلام قوله الشريف:

إِنَّ الرَّجُلَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ قُلْتُ يُدْخِلُهُ اللَّهُ بِالذَّنْبِ الْجَنَّةَ قَالَ

نَعَمْ إِنَّهُ لَيُذْنِبُ فَلَا يَزَالُ مِنْهُ خَائِفًا مَا قَتَا لِنَفْسِهِ فَيَرْحَمُهُ اللَّهُ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ. ^(١)

وجاء في الأثر:

الاعتراف يهدم الاقتراف.

والاعتراف بالذنوب يصبح طريقاً لاستجابة الدعاء.

فقد جاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

إِيَّاكُمْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ شَيْئاً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَتَّى يَبْدَأَ

بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْمِدْحَةِ لَهُ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ ثُمَّ الْاعْتِرَافِ

بِالذَّنْبِ ثُمَّ الْمَسْأَلَةِ^(١).

ومن خلال أدعية أهل البيت عليهم السلام يتعلم الانسان المؤمن أدب الدعاء، فمن آداب الدعاء وأركانه الاعتراف بالذنوب عندما يتوقف العبد بين يدي الله خاشعاً خاضعاً متضرعاً يبتهل إليه ويسأله العفو والمغفرة مقرراً بذنبه معترفاً.

يقول الامام السجّاد عليه السلام في مقام الاعتراف:

فَهَذَا مَقَامُ الْعَانِدِ بِكَ ، وَمَحَلُّ الْمُعْتَرِفِ لَكَ ، فَلَا يَضِيقُنَّ عَنِّي فَضْلُكَ ، وَلَا يَقْصُرَنَّ دُونِي عَفْوُكَ ، وَلَا أَكُنْ أَخِيْبَ عِبَادِكَ التَّائِبِينَ ، وَلَا أَقْنَطُ وُفُودَكَ الْأَمْلِينَ ، وَاعْفُ لِي ، إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ^(٢).

ويقول عليه السلام في مقام آخر:

هَذَا مَقَامٌ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ وَقَادَتْهُ أَرْمَةُ الْخَطَايَا وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرَتْ بِهِ تَفْرِيطاً وَتَعَاطَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَغْرِيراً كَالْجَاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ أَوْ كَالْمُنْكَرِ فَضْلَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ^(٣).

ويقول في دعاء آخر:

مَوْلَايَ ارْحَمْ كَبَوْتِي لِحُرٍّ وَجْهِي وَزَلَّةِ قَدَمِي وَعُدِّ بِحِلْمِكَ عَلَى جَهْلِي وَبِإِحْسَانِكَ عَلَى إِسَاءَتِي فَأَنَا الْمُقَرَّبُ بِذَنْبِي الْمُعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِي وَهَذِهِ يَدِي وَنَاصِيَتِي أَسْتَكَينُ بِالْقَوْدِ مِنْ نَفْسِي^(٤).

وجاء في حديث للامام الباقر عليه السلام قوله:

١. بحار الأنوار: ٣١٢/٩٠. ٢. الصحيفة السجادية: الدعاء ٣٢.
٣. الصحيفة السجادية: الدعاء ٣١. ٤. الصحيفة السجادية: الدعاء ٥٣.

لَا وَاللَّهِ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خِصْلَتَيْنِ أَنْ يُقَرُّوا لَهُ بِالنَّعَمِ فَيَزِيدَهُمْ
وَبِالدُّنُوبِ فَيَغْفِرَ لَهُمْ. ^(١)

وَاللَّهُ مَا يَنْجُو مِنَ الذَّنْبِ إِلَّا مَنْ أَقَرَّ بِهِ. ^(٢)

وقال الامام الصادق عليه السلام ان الاصرار على الذنب يؤدي إلى الكفران وان
الاقرار بالذنب يؤدي إلى الغفران:

إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا خَرَجَ عَبْدٌ مِنْ ذَنْبٍ بِإِصْرَارٍ وَمَا خَرَجَ عَبْدٌ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا بِإِقْرَارٍ. ^(٣)

ضرورة الايمان بالله ورساله

جاء في كتاب عيون أخبار الامام الرضا عليه السلام:

قال الفضل بن شاذان:

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكْلِفَ الْحَكِيمُ عَبْدَهُ فَعَلًا مِنْ

الْأَفَاعِيلِ لَغَيْرِ عِلَّةٍ وَلَا مَعْنَى؟

قِيلَ لَهُ: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ حَكِيمٌ غَيْرٌ عَابِثٌ وَلَا جَاهِلٌ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَخْبِرْنِي لِمَ كَلَفَ الْخَلْقَ؟

قِيلَ: لَعَلَّ كَثِيرَةً.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ تِلْكَ الْعِلَلِ مَعْرُوفَةٍ مَوْجُودَةٍ هِيَ أَمْ غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ

وَلَا مَوْجُودَةٍ؟

١. بحار الأنوار: ٣٦/٦؛ الكافي: ٤٢٦/٢.

٢. الكافي: ٤٢٦/٢؛ بحار الأنوار: ٣٦/٦.

٣. الكافي: ٤٢٧/٢؛ وسائل الشيعة: ٥٩/١٦.

قيل: بل هي معروفة موجودة عند أهلها.

فإن قال: أتعرفونها أنتم أم لا تعرفونها؟

قيل لهم: منها ما نعرفه ومنها ما لا نعرفه.

فإن قال قائل: فما أول الفرائض؟

قيل له: الإقرار بالله وبرسوله وحجته وبما جاء من عند الله عز وجل.

فإن قال قائل: لم أمر الخلق بالإقرار بالله وبرسوله وبحججه وبما جاء من عند

الله عز وجل؟

قيل: لعل كثيرة، منها: أن من لم يقر بالله عز وجل ولم يجتنب معاصيه ولم

ينته عن ارتكاب الكبائر ولم يراقب أحدا فيما يشتهي ويستلذ عن الفساد

والظلم وإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من

غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ووثوب بعضهم على

بعض فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدماء والنساء وقتل بعضهم

بعضا من غير حق ولا جرم فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق وفساد

الحرث والنسل.

ومنها: أن الله عز وجل حكيم ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلا الذي

يحظر الفساد ويأمر بالصالح ويزجر عن الظلم وينهى عن الفواحش ولا

يكون حظر الفساد والأمر بالصالح والنهي عن الفواحش إلا بعد الإقرار بالله

عز وجل ومعرفة الأمر والنهي ولو ترك الناس بغير إقرار بالله عز وجل ولا

معرفته لم يثبت أمر بصالح ولا نهي عن فساد إذ لا أمر ولا ناهي.

ومنها: أنا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمور باطنة مستورة عن الخلق فلو لا

الإقرار بالله وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحدا في ترك معصية وانتهاك حرمة وارتكاب كبيرة إذا كان فعله ذلك مستورا عن الخلق غير مراقب لأحد فكان يكون في ذلك خلاف الخلق أجمعين فلم يكن قوام الخلق وصالحهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير يعلم السر وأخفى أمر بالصالح ناه عن الفساد ولا تخفى عليه خافية ليكون في ذلك انزجار لهم عما يخلون به من أنواع الفساد.

فإن قال قائل: فلم وجب عليهم معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة؟

قيل: لأنه لما إن لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملون به مصالحهم وكان الصانع متعاليا عن أن يرى وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهرا لم يكن بد لهم من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويقفهم على ما يكون به اجترار منافعهم ومضارهم فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سد حاجة ولكان يكون إتيانه عبثا لغير منفعة ولا صلاح وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء.

فإن قال قائل: فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم.

قيل: لعل كثيرة منها: أن الخلق لما وقفوا على حد محدود وأمروا أن لا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أمينا يمنعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم لأنه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره فجعل عليهم قيما يمنعهم

من الفساد وقيم فيهم الحدود والأحكام.

و منها: أنا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس ولما لا بد لهم منه في أمر الدين والدنيا فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لا بد له منه ولا قوام لهم إلا به فيقاتلون به عدوهم ويقسمون فيئهم وقيم لهم جمهم وجماعتهم ويمنع ظالمهم من مظلومهم. و منها: أنه لو لم يجعل لهم إماما قيما أمينا حافظا مستودعا لدرست الملة وذهب الدين وغيرت السنن والأحكام ولزاد فيه المبتدعون ونقص منه الملحدون وشبهوا ذلك على المسلمين لأنا وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتت أنحائهم فلو لم يجعل لهم قيما حافظا لما جاء به الرسول ﷺ لفسدوا على نحو ما بينا وغيرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين.

فإن قال قائل: فلم لا يجوز أن لا يكون في الأرض إمامان في وقت واحد وأكثر من ذلك؟

قيل: لعل، منها: أن الواحد لا يختلف فعله وتدبيره والاثنين لا يتفق فعلهما وتدبيرهما وذلك أنا لم نجد اثنين إلا مختلفي الهمم والإرادة فإذا كانا اثنين ثم اختلفت هممهما وإرادتهما وتدبيرهما وكانا كلاهما مفترضي الطاعة لم يكن أحدهما أولى بالطاعة من صاحبه فكان يكون في ذلك اختلاف الخلق والتشاجر والفساد ثم لا يكون أحد مطيعا لأحدهما إلا وهو عاص لآخر فتعم معصية أهل الأرض ثم لا يكون لهم مع ذلك السبيل إلى الطاعة والإيمان

ويكونون إنما أتوا في ذلك من قبل الصانع الذي وضع لهم باب الاختلاف والتشاجر والفساد إذ أمرهم باتباع المختلفين.

و منها: أنه لو كانا إمامين لكان لكل من الخصمين أن يدعو إلى غير الذي يدعو إليه صاحبه في الحكومة ثم لا يكون أحدهما أولى بأن يتبع صاحبه فيبطل الحقوق والأحكام والحدود.

و منها: أنه لا يكون واحد من الحجتين أولى بالنطق والحكم والأمر والنهي من الآخر وإذا كان هذا كذلك وجب عليهما أن يبتديا بالكلام وليس لأحدهما أن يسبق صاحبه بشيء إذا كانا في الإمامة شرعا واحدا فإن جاز لأحدهما السكوت جاز السكوت لآخر وإذا جاز لهما السكوت بطلت الحقوق والأحكام وعطلت الحدود وصار الناس كأنهم لا إمام لهم.

فإن قال قائل: فلم لا يجوز أن يكون الإمام من غير جنس الرسول؟

قيل: لعل، منها: أنه لما كان الإمام مفترض الطاعة لم يكن بد من دلالة تدل عليه ويتميزه بها من غيره وهي القرابة المشهورة والوصية الظاهرة ليعرف من غيره ويهتدى إليه بعينه.

و منها: أنه لو جاز في غير جنس الرسول لكان قد فضل من ليس برسول على الرسل إذ جعل أولاد الرسول أتباعا لأولاد أعدائه كأبي جهل وابن أبي معيط لأنه قد يجوز بزعمهم أن ينتقل ذلك في أولادهم إذا كانوا مؤمنين فيصير أولاد الرسول تابعين وأولاد أعداء الله وأعداء رسوله متبوعين فكان الرسول أولى بهذه الفضيلة من غيره وأحق.

و منها: أن الخلق إذا أقروا للرسول بالرسالة وأذعنوا له بالطاعة لم يتكبر

أحد منهم عن أن يتبع ولده ويطيع ذريته ولم يتعاضم ذلك في أنفوس الناس وإذا كان ذلك في غير جنس الرسول كان كل واحد منهم في نفسه أنهم أولى به من غيره ودخلهم من ذلك الكبر ولم تسنح أنفسهم بالطاعة لمن هو عندهم دونهم فكان لكون ذلك داعية لهم إلى الفساد والنفاق والاختلاف.

فإن قال قائل: فلم وجب عليهم الإقرار والمعرفة بأن الله واحد أحد؟

قيل: لعل، منها: أنه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز لهم أن يتوهموا مدبرين أو أكثر من ذلك وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره لأن كل إنسان منهم كان لا يدري لأنه إنما يعبد غير الذي خلقه ويطبع غير الذي أمره فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم ولا يثبت عندهم أمر أمر ولا نهى ناه إذا لا يعرف الأمر بعينه ولا الناهي من غيره.

و منها: أنه لو جاز أن يكون اثنين لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يعبد ويطاع من الآخر وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع الله وفي إجازة أن لا يطاع الله كفر بالله وبجميع كتبه ورسله وإثبات كل باطل وترك كل حق وتحليل كل حرام وتحريم كل حلال والدخول في كل معصية والخروج من كل طاعة وإباحة كل فساد وإبطال كل حق.

و منها: أنه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لإبليس أن يدعي أنه ذلك الآخر حتى يضاد الله تعالى في جميع حكمه ويصرف العباد إلى نفسه فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشد النفاق.

فإن قال قائل: فلم وجب عليهم الإقرار بالله بأنه ليس كمثله شيء؟

قيل: لعل، منها: أن لا يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة والطاعة دون غيره

غير مشتبه عليهم أمر ربهم وصانعهم ورازقهم.

ومنها: أنهم لو لا يعلموا أنه ليس كمثله شيء لم يدروا لعل ربهم وصانعهم هذه الأصنام التي نصبها لهم آباؤهم والشمس والقمر والنيران إذا كان جائزاً أن يكون عليهم مشتبه وكان يكون في ذلك الفساد وترك طاعته كلها وارتكاب معاصيه كلها على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الأرباب وأمرها ونهيها.

ومنها: أنه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أن ليس كمثله شيء لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل والتغيير والزوال والفناء والكذب والاعتداء ومن جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فناؤه ولم يوثق بعدله ولم يحقق قوله وأمره ونهيته ووعدته ووعدته وثوابه وعقابه وفي ذلك فساد الخلق وإبطال الربوبية.

فإن قال قائل: لم أمر الله تعالى العباد ونهاهم؟

قيل: لأنه لا يكون بقاؤهم وصلاحهم إلا بالأمر والنهي والمنع من الفساد والتغاصب.

فإن قال قائل: فلم تعبدتهم؟

قيل: لئلا يكونوا ناسين لذكره ولا تاركين لأدبه ولا لاهين عن أمره ونهيته إذا كان فيه صلاحهم وقوامهم فلو تركوا بغير تعبد لطلال عليهم الأمد فقسست قلوبهم.

فإن قال قائل: فلم أمروا بالصلاة؟

قيل: لأن في الصلاة الإقرار بالربوبية وهو صلاح عام لأن فيه خلع الأنداد

والقيام بين يدي الجبار بالذل والاستكانة والخضوع والخشوع والاعتراف وطلب الإقالة من سالف الذنوب ووضع الجبهة على الأرض كل يوم وليلة ليكون العبد ذاكرة لله غير ناس له ويكون خاشعا وجلا متذللا طالبا راغبا في الزيادة للدين والدنيا مع ما فيه من الانزجار عن الفساد وصار ذلك عليه في كل يوم وليلة لئلا ينسى العبد مدبره وخالقه فيبطل ويطغى وليكون في طاعة خالقه والقيام بين يدي ربه زاجرا له عن المعاصي وحاجزا ومانعا له عن أنواع الفساد.^(١)

الاعتراف بالذنوب لدى الناس !

جاء في الروايات:

عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، فَأَعْرَضَ عَنْهُ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَقَالَ: أَيْعَجَزُ أَحَدُكُمْ إِذَا قَارَفَ هَذِهِ السَّيِّئَةَ أَنْ يَسْتَرْ عَلَى نَفْسِهِ كَمَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ؟ فَقَامَ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، فَقَالَ: وَمَا دَعَاكَ إِلَى مَا قُلْتَ؟ قَالَ: طَلَبْتُ الطَّهَارَةَ، قَالَ: وَأَيُّ طَهَارَةٍ أَفْضَلُ مِنَ التَّوْبَةِ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ، فَقَامَ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، فَقَالَ لَهُ: أَتَقْرَأُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: اقْرَأْ، فَقَرَأَ فَأَصَابَ، فَقَالَ لَهُ: أَتَعْرِفُ مَا يَلْزَمُكَ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ فِي صَلَاتِكَ وَزَكَاتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَسَأَلَهُ فَأَصَابَ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ بِكَ مَرَضٌ يَعْرُوكَ أَوْ تَجِدُ وَجَعًا فِي رَأْسِكَ أَوْ بَدَنِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: اذْهَبْ حَتَّى نَسْأَلَ

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٩٩ - ١٠٤.

عَنْكَ فِي السِّرِّ كَمَا سَأَلْنَاكَ فِي الْعَلَانِيَةِ فَإِنْ لَمْ تَعُدْ إِلَيْنَا لَمْ نَطْلُبْكَ. (١)

وان من آداب الدعاء الاعتراف والاقرار بالذنب أمام الله عز وجل فقط ، ولا يجوز أن يفعل ذلك أمام الناس ، ولذلك أنب الامام علي عليه السلام ذلك الرجل الذي اعترف بالزنا أمام الناس وجاء للامام ليظهره فالامام أمره بالانصراف وطلب منه عدم العودة .

يقول الامام الصادق عليه السلام في آداب الدعاء :

إِنَّمَا هِيَ الْمَدْحَةُ ثُمَّ الثَّنَاءُ ثُمَّ الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ الْمَسْأَلَةُ إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا خَرَجَ عَبْدٌ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ. (٢)

وقال عليه السلام :

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ فَلْيَتَأَسَّ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَا يَكُونُ لَهُ رَجَاءٌ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَسْأَلْهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ وَفِيمَا وَعَظَ اللَّهُ بِهِ عِيسَى ع يَا عِيسَى ادْعُنِي دُعَاءَ الْحَزِينِ الْغَرِيقِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُغِيثٌ يَا عِيسَى سَلْنِي وَلَا تَسْأَلْ غَيْرِي فَيَحْسُنَ مِنْكَ الدُّعَاءُ وَمِنِّي الْإِجَابَةُ وَلَا تَدْعُنِي إِلَّا مُتَضَرِّعًا إِلَيَّ وَهَمُّكَ هَمًّا وَاحِدًا فَإِنَّكَ مَتَى تَدْعُنِي كَذَلِكَ أَجَبْتُكَ. (٣)

واذن فان للاقرار والاعتراف بالذنب خمس فوائد :

الاولى : الانقطاع إلى الله عز وجل .

١ . وسائل الشيعة ٣٨ / ٢٨ .

٢ . بحار الأنوار : ٣١٤ / ٩٠ .

٣ . بحار الأنوار : ٣١٤ / ٩٠ .

الثانية: انكسار القلب الذي يتضمّن فضيلة كبرى ذلك ان الله عزّوجلّ عند المنكسرة قلوبهم.

الثالثة: حصول الرقة في القلب وهذه من علامات الاخلاص وحصول الاستجابة.

الرابعة: ان الاقرار والاعتراف بالذنب يبعث على البكاء وهو في طليعة آداب الدعاء.

[٧] ﴿سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مِنْكَ وَكَدُ فَتَحَتْ لِي بَابَ التَّوْبَةِ إِلَيْكَ بَلْ أَقُولُ مَقَالَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُسْتَخِفِّ بِخُرْمَةِ رَبِّهِ .

﴿٨﴾ الَّذِي عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ فَجَلَّتْ وَأَدْبَرَتْ أَيَّامُهُ فَوَلَّتْ حَتَّى إِذَا رَأَى مُدَّةَ الْعَمَلِ قَدْ انْقَضَتْ وَغَايَةَ الْعُمْرِ قَدْ انْتَهَتْ وَأَيَّقَنَ أَنَّهُ لَا مَحِيصَ لَهُ مِنْكَ وَلَا مَهْرَبَ لَهُ عَنْكَ تَلَقَّاكَ بِالْإِنَابَةِ وَأَخْلَصَ لَكَ التَّوْبَةَ فَقَامَ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ طَاهِرٍ نَقِيٍّ ثُمَّ دَعَاكَ بِصَوْتٍ حَائِلٍ خَفِيِّ .

انفتاح باب التوبة

ان من لطف الله سبحانه وتعالى بعباده أن فتح لهم باب التوبة ليعودوا إليه .
وعندما يتوب الانسان إلى ربه و يعود إليه و عيه و ينتبه إلى ما أحدثته الذنوب من أضرار و تخريب في نفسه ، فانه يشعر بالندم و ينتابه حزن عميق و هذه بدايات الوعي و تتولد الارادة بالعزم على ترك الذنوب و هجران المعاصي .^(١)

١ . يقول المولى محمد مهدي النراقي في هذا المضمار :

و توضيح حقيقة التوبة انه إذا علم العبد علماً يقيناً أن ما صدر عنه من الذنوب حائلة بينه وبين محابه ، ثار من هذا العلم تألم بسبب فوات المحبوب ، و صار متأسفاً على ما صدر عنه من الذنوب ، سواء كانت أفعالاً أو تروكاً للطاعات و يسمي تألمه - بسبب فعله أو تركه المفوت لمحبوبه - ندماً .

وفي هذا المقطع من الدعاء ترسم لوحة معبرة عن حقيقة الانسان المذنب الذي يعود إلى جادة الصواب وينتبه إلى ما بدر منه من أخطاء فيقف على باب التوبة ذليلاً مستكيناً يتضرع إلى الله في الغفران والعفو والصفح. ويجد العبد الباب مفتوحاً على مصراعيه ويشعر بنبع من الحب الالهي الذي يترقق:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾. (١)

والتوبة تطهر النفس من لوث الذنوب وتغسل القلب فيعود لينبض بحب الخالق المحبوب.

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (٢)

الله عز وجل كتب على نفسه الرحمة وسبقت رحمته غضبه وهو الرحمن الرحيم التواب الكريم، لا حدود لكرمه ولا نهاية لرحمته. والآية أعلاه نزلت بشأن السارق والسارقة، فإذا تاب السارق وأصلح فإن الله يقبل توبته أنه هو التواب الغفور الرحيم.

☞ وإذا غلب هذا الندم على القلب، انبعثت منه حالة أخرى تسمى ارادة وقصداً إلى فعل له تعلق بالحال بترك الذنب الذي كان ملائماً له، وبلاستقبال بعزمه على ترك الذنب المفوت لمحبوبه إلى آخر عمره، وبالماضي بتلافيه ما فات بالجبر والقضاء.

جامع السعادات: ٣ / ٥٠ - المترجم.

٢. سورة المائدة (٥): ٣٩.

١. سورة الشورى (٤٢): ٢٥.

وذلك ان التوبة إلى الله توبتان: توبة العبد بالرجوع إليه بالتوفيق للتوبة كما قال تعالى:

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ (١).

وتوبة بعد توبة العبد بالرجوع إليه بالمغفرة وقبول التوبة كما في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ (٢).

يقول الامام الصادق عليه السلام:

التَّوْبَةُ حَبْلُ اللَّهِ وَمَدَدُ عِنَايَتِهِ وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ مُدَاوِمَةِ التَّوْبَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَكُلِّ فِرْقَةٍ مِنَ الْعِبَادِ لَهُمْ تَوْبَةٌ فَتَوْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ اضْطِرَابِ السَّرِّ، وَتَوْبَةُ الْأَصْفِيَاءِ مِنَ التَّنَفُّسِ، وَتَوْبَةُ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ تَلْوِينِ الْخَطَرَاتِ، وَتَوْبَةُ الْخَاصِّ مِنَ الْأَشْتِغَالِ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَتَوْبَةُ الْعَامِّ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَعْرِفَةٌ وَعِلْمٌ فِي أَصْلِ تَوْبَتِهِ وَمُنْتَهَى أَمْرِهِ وَذَلِكَ يَطُولُ شَرْحُهُ هَاهُنَا فَأَمَّا تَوْبَةُ الْعَامِّ فَإِنَّهُ يَغْسِلُ بَاطِنَهُ بِمَاءِ الْحَسْرَةِ وَالْاعْتِرَافِ بِالْجِنَايَةِ دَائِمًا وَاعْتِقَادِ النَّدَمِ عَلَى مَا مَضَى وَالْخَوْفِ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ وَلَا يَسْتَصْغِرُ ذُنُوبَهُ فَيَحْمِلُهُ ذَلِكَ إِلَى الْكَسَلِ وَيُدِيمُ الْبُكَاءَ وَالْأَسْفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَيَحْبِسَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَيَسْتَغِيثَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِيَحْفَظَهُ عَلَى وَفَاءِ تَوْبَتِهِ وَيَعْصِمَهُ عَنِ الْعُودِ إِلَى مَا سَلَفَ وَيَرَوْضَ نَفْسَهُ فِي مِيدَانِ الْجُهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَيَقْضِيَ عَنِ الْفَوَائِتِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَيُرَدِّ الْمَظَالِمَ وَيَعْتَزِلَ قُرْنَاءَ السَّوِّءِ وَيَسْهَرُ لَيْلَهُ وَيُظْمَأُ نَهَارَهُ وَيَتَفَكَّرَ دَائِمًا فِي عَاقِبَتِهِ وَيَسْتَهِينُ بِاللَّهِ سَائِلًا مِنْهُ الْأَسْتِقَامَةَ فِي

١. سورة التوبة (٩): ١١٨.

٢. سورة المائدة (٥): ٣٩.

سَرَائِهِ وَضَرَائِهِ وَيَثْبُتَ عِنْدَ الْمَحَنِ وَالْبَلَاءِ كَيْلًا يَسْقُطَ عَنْ دَرَجَةِ التَّوَابِينَ
فَإِنَّ فِي ذَلِكَ طَهَارَةً مِنْ ذُنُوبِهِ وَزِيَادَةً فِي عَمَلِهِ وَرِفْعَةً فِي دَرَجَاتِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ^(١).

ويقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَادْخُلُوا فِي مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ التَّوَابِينَ
وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ وَالْمُؤْمِنُ تَوَّابٌ^(٢).

وانها لفرصة رائعة للانسان في العودة إلى الله عز وجل وهجران الشيطان الذي
هو عدو الانسان اللدود.

يقول عليه السلام:

مَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَمَرَتْ جَوَارِحُهُ أَنْ تَسْتُرَ عَلَيْهِ، وَبِقَاعِ الْأَرْضِ أَنْ تَكْتُمَ
عَلَيْهِ وَأُنْسِيَتِ الْحَفَظَةُ مَا كَانَتْ تَكْتُمُ عَلَيْهِ^(٣).

وقال الامام الرضا عليه السلام في جواب من سأل عن السبب في عدم قبول ايمان
فرعون؟

قُلْتُ لِلرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَأَيِّ عِلَّةٍ أَعْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَدْ آمَنَ بِهِ وَأَقَرَّ بِتَوْحِيدِهِ؟ قَالَ:
لَأَنَّهُ آمَنَ عِنْدَ رُؤْيَا الْبَاسِ وَالْإِيمَانُ عِنْدَ رُؤْيَا الْبَاسِ غَيْرُ مَقْبُولٍ وَذَلِكَ حُكْمُ
اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي السَّلَفِ وَالْخَلَفِ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا
آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا

١. بحار الأنوار: ٣١/٦.

٢. بحار الأنوار: ٢١/٦؛ الخصال: ٦٢٣/٢.

٣. بحار الأنوار: ٢٨/٦؛ ثواب الأعمال: ١٧٩.

رَأَوْا بِأُسْنَا ۖ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا
إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۖ وَهَكَذَا فِرْعَوْنُ
لَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۖ فَقِيلَ لَهُ: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ ۖ﴾. (١)

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

ثَمَرَةُ التَّوْبَةِ، اسْتِذْرَاكَ فَوَارِطِ النَّفْسِ. (٢)

نظرت إلى الدنيا بعين مريضة	و فكرة مغرور وتأميل جاهل
فقلت هي الدنيا التي ليس مثلها	و نافست منها في غرور وباطل
و ضيعت أحقاباً أمامي طويلة	بلذات أيام قصار قلائل

١. بحار الأنوار: ٢٣/٦.

٢. غرر الحكم: ١٩٥.

[﴿٩﴾ قَدْ تَطَاطَأَ لَكَ فَانْحَنَى وَنَكَّسَ رَأْسَهُ فَانْتَنَى قَدْ أَرْعَشَتْ خَشْيَتُهُ رِجْلَيْهِ وَغَرَّقَتْ دُمُوعُهُ خَدَّيْهِ يَدْعُوكَ بِنَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَيَا أَرْحَمَ مَنْ انْتَابَهُ الْمُسْتَزْحِمُونَ وَيَا أَعْظَفَ مَنْ أَطَافَ بِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ وَيَا مَنْ عَفُوهُ أَكْثَرُ مِنْ نِقْمَتِهِ وَيَا مَنْ رِضَاهُ أَوْفَرُ مِنْ سَخَطِهِ]

الخشوع في رحاب الله عز وجل

الخشوع والخشوع في حضرة الرب هي حالة الانسان المثلى التي يجب أن يكون عليها في كل الظروف، ان من يسطع نور المعرفة على قلبه لا بد وأن يدرك انه كائن فقير مطلق الفقر لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة.

ويرسم الدعاء حالة الانسان وقد طأطأ برأسه أمام الله عز وجل وهي حالة خفض الرأس مع احساس بالخضوع وانحناء في خشوع واعترافاً بعظمة الخالق وحياءً من المحبوب وقد غمرته حالة من الاضطراب إذ يقف أمام علام الغيوب. يذرف دموع الندم على الماضي وما ارتكبه من الذنوب، فهو حالة خوف ووجل تمتزج مع حالة رجاء وأمل.

ثم تصل الحالة بالانسان إلى السجود باكياً منتحباً راجياً مستعطفاً نادماً حزيناً.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.^(١)

ويخرون بمعنى يسقطون على الأرض بدون ارادة منهم واستخدام هذه المفردة بدلاً من السجود ينطوي على اشارة لطيفة، هي أن الواعين وذوي القلوب اليقظة عندما يسمعون آيات القرآن وكلام الخالق عز وجل، ينجذبون إليه ويولّهون به إلى درجة أنهم يسقطون على الأرض ويسجدون دون وعي واختيار.

و «الأذقان» جمع ذقن ومن المعلوم ان ذقن الانسان عند السجود لا يلمس الأرض، إلا أن تعبير الآية اشارة إلى أن هؤلاء يضعون كامل وجوههم على الأرض قبال خالقهم حتى ان اذقانهم قد تلامس الأرض عند السجود». ^(٢)

وللتأكيد - أكثر - على تأثرهم بآيات ربهم وعلى سجدة الحب التي يسجدونها تقول الآية التي بعدها: «ويزيدهم خشوعاً» دليل على التأكيد وعلى الاستمرار أيضاً.

و «يبكون» دليل على استمرار البكاء بسبب حبّهم لخالقهم وعلى أنهم لا يتوقفون عند حالة واحدة بل يتحرّكون نحو ذروة التكامل».

يقول الامام الصادق عليه السلام:

فَلَا يُقْبَلُ إِلَّا الْإِيمَانُ وَلَا إِيْمَانٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِيَقِينٍ، وَلَا يَقِينٌ إِلَّا بِالْخُشُوعِ.^(٣)

١. سورة الإسراء (١٧): ١٠٩.

٢. احتمل بعض المفسرين ان الانسان عند سجوده يضع أولاً جبهته على الأرض ولكن الشخص المدهوش عندما يسقط على الأرض يضع ذقنه أولاً، فيكون استخدام هذا التعبير في الآية تأكيداً لمعنى «يخرون». تفسير الأمل، ج ٩، ص ١٧٤.

٣. بحار الأنوار: ٢٨٢/٧٥؛ تحف العقول: ٣٠٣.

وجاء في حديث المعراج عن النبي ﷺ:

يَا أَحْمَدُ مَا عَرَفَنِي عَبْدٌ وَخَشَعَ لِي إِلَّا خَشَعَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ. ^(١)

وجاء في الروايات فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى وهارون عليهما السلام:

رُوي أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ قَالَ لَهُمَا: لَا يَرَوْعُكُمَا لِبَاسُهُ فَإِنَّ نَاصِيَتَهُ بِيَدِي وَلَا يُعْجِبُكُمَا مَا مُتَّعَ بِهِ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَةِ الْمُسْرِفِينَ فَلَوْ شِئْتُ زَيَّنْتُكُمَا بِزِينَةٍ يَعْرِفُ فِرْعَوْنُ حِينَ يَرَاهَا أَنَّ مَقْدَرَتَهُ تَعْجِزُ عَنْهَا وَلَكِنِّي أَرْغَبُ بِكُمْ عَنْ ذَلِكَ فَأَرْوِي الدُّنْيَا عَنْكُمْمَا وَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِأَوْلِيَائِي إِنِّي لَأُدْوِدُهُمْ عَنْ نَعِيمِهَا كَمَا يَدْوِدُ الرَّاعِي غَنَمَهُ عَنْ مَرَاتِعِ الْهَلَكَةِ وَإِنِّي لَأُجَنِّبُهُمْ سُلُوكَهَا كَمَا يُجَنِّبُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ إِبِلَهُ مِنْ مَوَارِدِ الْغَرَةِ وَمَا ذَاكَ لِهَوَانِهِمْ عَلَيَّ وَلَكِنْ لِيَسْتَكْمِلُوا نَصِيبَهُمْ مِنْ كَرَامَتِي سَالِمًا مُوقَرًا إِنَّمَا يَتَزَيَّنُّ لِي أَوْلِيَائِي بِالذُّلِّ وَالْخُشُوعِ وَالْخَوْفِ الَّذِي يَنْبُتُ فِي قُلُوبِهِمْ فَيُظْهِرُ عَلَى أَجْسَادِهِمْ فَهُوَ شِعَارُهُمْ وَدِثَارُهُمْ الَّذِي يَسْتَشْعِرُونَ وَنَجَاتُهُمُ الَّتِي بِهَا يَفُوزُونَ وَدَرَجَاتُهُمُ الَّتِي يَأْمَلُونَ وَمَجْدُهُمُ الَّذِي بِهِ يَفْخَرُونَ وَسِيمَاهُمْ الَّتِي بِهَا يَعْرِفُونَ فَإِذَا لَقِيتَهُمْ يَا مُوسَى فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَالْإِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَذَلَّلْ لَهُمْ قَلْبَكَ وَلِسَانَكَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ أَخَافَ لِي أَوْلِيَائِي فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ ثُمَّ أَنَا النَّائِرُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ^(٢)

والصلاة المثلَى أن يقف الانسان أمام الله خاضعاً خاشعاً مقبلاً على الخالق بكل وجوده قد امتلأ قلبه بالايمان والحب يتلو بحزن وخشوع الآيات وتنساب من

١. الجواهر السننية: ١٩٧؛ ارشاد القلوب، ديلمى: ٢٠٣.

٢. بحار الأنوار: ٤٩/١٣.

فمه بأمل ورجاء كلمات الدعاء والمناجاة.

يقول الرسول الأكرم ﷺ في علامات الانسان الخاشع:

وَأَمَّا عِلَامَةُ الْخَاشِعِ فَأَرْبَعَةٌ: مُرَاقِبَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَرُكُوبُ الْجَمِيلِ
وَالْتَفَكُّرُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْمُنَاجَاةُ بِهِ.^(١)

١. بحار الأنوار: ١/ ١٢٠؛ تحف العقول: ٢٠.

[﴿١٠﴾] وَيَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى خَلْقِهِ بِحُسْنِ التَّجَاوُزِ وَيَا مَنْ عَوَّدَ عِبَادَهُ قَبُولَ الْإِنَابَةِ وَيَا مَنْ اسْتَصْلَحَ فَاسِدَهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَيَا مَنْ رَضِيَ مِنْ فِعْلِهِمْ بِالْيَسِيرِ وَيَا مَنْ كَافَى قَلِيلَهُمْ بِالكَثِيرِ].

ثواب كثير مقابل عمل يسير

وله سبحانه وتعالى الحمد اذ يتجاوز عن المسيئين ولا يؤاخذهم بما فعلوا فاستحق عز وجل الشكر لأن المسيء يستحق العقوبة ولكنه سبحانه عود عباده على قبول كل من يتوب قد فتح أبواب رحمته لكل من ينيب .
فالعبد اعتاد العصيان وارتكاب الذنوب والخالق المنان من عادته قبول كل من يتوب .

بالتوبة سبحانه يصلح عباده وبالمغفرة والعفو يجتذبهم إلى الايمان والعبادة .
ويرضى تبارك وتعالى من أعمالهم الصالحة اليسير ، ويجزيهم عليها بالثواب الكثير .

فرض على الناس الصلاة خمس مرات والصوم في شهر رمضان والحج مرة في العمر كله فان لم يستطع سقط عنه الواجب وكافأهم على ذلك بجنة عرضها السماوات والأرض يعيشون فيها أبد الآبدين .

﴿إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ﴾. (١)

كم هو رائع هذا التعبير فالله الخالق الوهاب للنعم الذي له كل شيء يستقرض
من عباده ثم يعدهم بأنه سيعوضهم أضعاف ذلك!
انه لطف ما بعده لطف! لطف مطلق لا تحده حدود يغمر به عباده.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

مَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِالْقَلِيلِ مِنْ عَمَلِهِ أَظْهَرَ اللَّهُ لَهُ أَكْثَرَ مِمَّا أَرَادَ النَّاسُ بِالْكَثِيرِ
مِنْ عَمَلِهِ فِي تَعَبٍ مِنْ بَدَنِهِ وَسَهَرٍ مِنْ لَيْلِهِ أَبَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا أَنْ يُقَلِّلَهُ فِي عَيْنِ
مَنْ سَمِعَهُ. (٢)

وما أسعد الانسان المؤمن الذي يدّخر القليل من أعمال الخير وفي طليعتها
الانفاق فيجد رصيده يوم القيامة أضعافاً مضاعفة تخرج عن حدود الحساب.

يقول الامام الصادق عليه السلام أيضاً:

مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ ابْنُ آدَمَ كُنْ كَيْفَ شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تَدَانُ مَنْ رَضِيَ مِنَ اللَّهِ
بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ قَبْلَ اللَّهِ مِنْهُ الْيَسِيرَ مِنَ الْعَمَلِ وَمَنْ رَضِيَ بِالْيَسِيرِ مِنَ
الْحَلَالِ خَفَّتْ مَنُونَتُهُ وَزَكَتْ مَكْسَبَتُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْفُجُورِ. (٣)

وجاء في كتب التفسير ان معنى «حساباً يسيراً» هو اثابة العبد يوم القيامة على
أعماله الصالحة والستر على أعماله السيئة لأنه لو حوسب الانسان على ما اقترفت

٢. بحار الأنوار: ٦٩ / ٢٩٠؛ الكافي: ٢ / ٢٩٦.

١. سورة التغابن (٦٤): ١٧.

٣. بحار الأنوار: ٧٠ / ١٧٥.

يداه لآل مصيره إلى العذاب الأبدي»^(١).

ويروي الامام الصادق بعض ذكريات شبابه :

اجْتَهَدْتُ فِي الْعِبَادَةِ وَأَنَا شَابٌّ فَقَالَ لِي أَبِي: يَا بُنَيَّ دُونَ مَا أَرَاكَ تَصْنَعُ، فَإِنَّ

اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا رَضِيَ عَنْهُ بِالْيُسِيرِ^(٢).

وقال نجله الامام موسى الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم:

يَا هِشَامُ! قَلِيلُ الْعَمَلِ مِنَ الْعَاقِلِ مَقْبُولٌ مُضَاعَفٌ وَكَثِيرُ الْعَمَلِ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى

وَالْجَهْلِ مَرْدُودٌ^(٣).

١. تفسير نور الثقلين: ٥/ ٥٣٧؛ تفسير جوامع الجوامع: ٣/ ٧٥٣.

٢. الكافي: ٢/ ٨٧؛ بحار الأنوار: ٤٧/ ٥٥.

٣ - تحف العقول: ٣٨٧؛ بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٠١.

[وَيَا مَنْ ضَمِنَ لَهُمْ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ وَيَا مَنْ وَعَدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِتَفْضُلِهِ حُسْنَ الْجَزَاءِ].

الضمان على استجابة الدعاء

الضمان هو الالتزام أي أن الله ضمن لعباده استجابة دعائهم وتكفل لهم بذلك وفي هذا اشارة واضحة إلى قوله تعالى :
﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).

وقوله تعالى :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(٢).

والوعد هو الخبر عن ايصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل ، سواء كان النفع مستحقاً أو لا وعداه بعلى لتضمينه معنى الايجاب ، أي وعدهم موجباً على ذاته الشريفة ايجاب كرم وتفضل^(٣).

ويقول الامام علي عليه السلام في رسالته إلى نجله الامام الحسن عليه السلام سبط رسول

الله ﷺ :

٢ . سورة البقرة (٢) : ١٨٦ .

١ . سورة غافر (٤٠) : ٦٠ .

٣ . رياض السالكين : ٥٠٣ / ٢ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكْفُلُ لَكَ
بِالْإِجَابَةِ وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ. ^(١)

ويقول الامام الباقر (عليه السلام):

لَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ بِكَلِمَتَيْنِ دَعَا بِهِمَا قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ
تُعَذِّبْنِي فَأَهْلُ ذَلِكَ أَنَا وَإِنْ تَغْفِرْ لِي فَأَهْلُ ذَلِكَ أَنْتَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ. ^(٢)

وجاء في الروايات:

عَنِ الْبَرْنَطِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَاءِ (عليه السلام): جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي قَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى حَاجَةً مُنْذُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَقَدْ دَخَلَ قَلْبِي مِنْ إِبْطَائِهَا شَيْءٌ.
فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ إِيَّاكَ وَالشَّيْطَانُ أَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَيْكَ سَبِيلًا حَتَّى يَعْزِضَكَ إِنَّ أَبَا
جَعْفَرٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْأَلُ اللَّهَ الْحَاجَةَ فَيُؤَخِّرُ عَنْهُ
تَعْجِيلَ حَاجَتِهِ حُبًّا لِمَصَوْتِهِ وَاسْتِمَاعَ نَجِيهِ.

ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَمَا أَحَزَّ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا يَطْلُبُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا
عَجَّلَ لَهُمْ مِنْهَا وَأَيُّ شَيْءٍ الدُّنْيَا.

إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ كَانَ يَقُولُ: يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ دُعَاؤُهُ فِي الرَّخَاءِ نَحْوًا مِنْ
دُعَائِهِ فِي الشَّدَّةِ لَيْسَ إِذَا ابْتُلِيَ فِتْرٌ فَلَا تَمَلَّ الدُّعَاءَ فَإِنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
بِمَكَانٍ وَعَلَيْكَ بِالصَّدَقِ وَطَلَبِ الْحَلَالِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِيَّاكَ وَمُكَاشَفَةِ الرَّجَالِ
إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ نَصِلُ مَنْ قَطَعَنَا وَنُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا فَتَرَى وَاللَّهِ فِي الدُّنْيَا

١. نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

٢. بحار الأنوار: ٩١/٩١.

فِي ذَلِكَ الْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ إِنَّ صَاحِبَ النِّعْمَةِ فِي الدُّنْيَا إِذَا سَأَلَ فَأُعْطِيَ طَلَبَ
غَيْرِ الَّذِي سَأَلَ وَصَغُرَتِ النِّعْمَةُ فِي عَيْنِهِ فَلَا يَمْنَعُ مِنْ شَيْءٍ أُعْطِيَ وَإِذَا
كَثُرَتِ النِّعْمُ كَانَ الْمُسْلِمُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى خَطَرٍ لِلْحُقُوقِ وَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ وَمَا
يُخَافُ مِنَ الْفِتْنَةِ.

فَقَالَ لِي: أَخْبِرْنِي عَنْكَ لَوْ أَنِّي قُلْتُ قَوْلًا كُنْتَ تَتَّقُ بِهِ مِنِّي.
قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَإِذَا لَمْ أَتَّقُ بِقَوْلِكَ فَبِمَنْ أَتَّقُ وَأَنْتَ حُجَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ.

قَالَ: فَكُنْ بِاللَّهِ أَوْثَقَ فَإِنَّكَ عَلَى مَوْعِدٍ مِنَ اللَّهِ الْيَسَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ:
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
وَقَالَ: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ
وَفَضْلًا﴾ فَكُنْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْثَقَ مِنْكَ بغيرِهِ وَلَا تَجْعَلُوا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا خَيْرًا
فَإِنَّكُمْ مَغْفُورٌ لَكُمْ. ^(١)

من شروط الدعاء ألا يدعو الانسان بشيء يتصادم مع قوانين الطبيعة والحياة
كأن يدعو ألا يشيخ أبدأ أو ألا ينام مدى العمر أو أن يصبح ثرياً في ليلة واحدة!
ذلك ان الحياة والطبيعة تسيرها قوانين من لدن حكيم عليم.

يقول الامام علي عليه السلام في هذا المضمار:

إِنَّ كَرَمَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا يَنْقُصُ حِكْمَتَهُ فَلِذَلِكَ لَا يَقَعُ الْإِجَابَةُ فِي كُلِّ دَعْوَةٍ. ^(٢)

وجاء في موسوعة بحار الأنوار:

١. بحار الأنوار: ٩٠ / ٣٦٧ - ٣٦٨. ٢. غرر الحكم: ١٩٣.

قال الشيخ ابن سينا: سبب إجابة الدعاء توافي الأسباب معا لحكمة إلهية وهو أن يتوافي سبب دعاء رجل فيما يدعو فيه وسبب وجود ذلك الشيء معا عن البارئ.

فإن قيل: فهل يصح وجود ذلك الشيء من دون الدعاء وموافاته لذلك الدعاء؟ قلنا: لا لأن علتها واحدة وهو البارئ الذي جعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء كما جعل سبب صحة المريض شرب الدواء وما لم يشرب الدواء لم يصح وكذلك الحال في الدعاء وموافاة ذلك الشيء فلحكمة ما توافيا معا على حسب ما قدر وقضا فالدعاء واجب وتوقع الإجابة واجب فإن انبعاثها للدعاء يكون سببه من هناك ويصير الدعاء سببا للإجابة وموافاة الدعاء لحدوث الأمر المدعو لأجله هما معلولا علة واحدة وربما يكون أحدهما بواسطة الآخر.

و قد يتوهم أن السماويات تنفعل من الأرضية وذلك أنا ندعوها فتستجيب لنا ونحن معلولها وهي علتنا والمعلول لا تفعل في العلة البتة وإنما سبب الدعاء من هناك أيضا لأنها تبعثنا على الدعاء وهما معلولا علة واحدة وإذا لم يستجب الدعاء لذلك الرجل وإن كان يرى الغاية التي يدعو لأجلها نافعة فالسبب فيه أن الغاية النافعة إنما يكون بحسب نظام الكل لا بحسب مراد ذلك الرجل فربما لا تكون الغاية بحسب مراده نافعة ولذلك لا يصح استجابة دعائه.

و النفس الزكية عند الدعاء قد يفيض عليها من الأول قوة تصير بها مؤثرة في العناصر بتطاوعها العناصر متصرفة على إرادتها فيكون ذلك إجابة

للدعاء فإن العناصر موضوعة لفعل النفس فيها واعتبار ذلك في أبداننا بحسب ما تقتضيه أحوال نفوسنا وتخيلاتنا وقد يمكن أن تؤثر النفس في غير بدننا كما تؤثر في بدننا وقد تؤثر النفس في نفس غيرها كما يحكى عن الأوهام التي تكون لأهل الهند إن صحت الحكاية وقد يكون الباري أو الأول يستجيب لتلك النفس إذا دعت فيما يدعو فيه إذا كانت الغاية التي تدعو فيها نافعة بحسب نظام الكل.^(١)

وجاء في الروايات عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

جاء رجل إلى أمير المؤمنين ع فقال إني دعوت الله فلم أر الإجابة فقال لقد وصفت الله بغير صفاته وإن للدعاء أربع خصال إخلاص السريرة وإحضار النية ومعرفة الوسيلة والإنصاف في المسألة فهل دعوت وأنت عارف بهذه الأربعة قال لا قال فاعرفهن.^(٢)

وجاء في الروايات عن الامام الصادق عليه السلام أيضاً:

لَقِيَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ع عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ كَيْفَ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا وَهُوَ يَسْخَطُ قِسْمَهُ وَيَحْقِرُ مَنْزِلَتَهُ وَالْحَاكِمُ عَلَيْهِ اللَّهُ وَأَنَا الضَّامِنُ لِمَنْ لَمْ يَهْجُسْ فِي قَلْبِهِ إِلَّا الرِّضَا أَنْ يَدْعُو اللَّهَ فَيُسْتَجَابَ لَهُ.^(٣)

وقال عليه السلام في آداب الدعاء:

احْفَظْ آدَابَ الدُّعَاءِ وَانْظُرْ مَنْ تَدْعُو وَكَيْفَ تَدْعُو وَلِمَاذَا تَدْعُو وَحَقِّقْ عَظَمَةَ اللَّهِ وَكِبَرِيَاءَهُ وَعَايِنْ بِقَلْبِكَ عِلْمَهُ بِمَا فِي ضَمِيرِكَ وَأَطْلَاعَهُ عَلَى سِرِّكَ وَمَا

٢. مجموعة ورام: ٣٠٢/١.

١. بحار الأنوار: ٣٦١/٩٠.

٣. بحار الأنوار: ٣٥١/٤٣.

يَكُنْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَاعْرِفْ طُرُقَ نَجَاتِكَ وَهَلَاكِكَ كَيْلًا تَدْعُو اللَّهَ بِشَيْءٍ مِنْهُ هَلَاكَكَ وَأَنْتَ تَتَطَنَّ فِيهِ نَجَاتَكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ وَتَفَكَّرْ مَاذَا تَسْأَلُ وَكَمْ تَسْأَلُ وَلِمَاذَا تَسْأَلُ وَالِدُعَاءِ اسْتِجَابَةُ الْكُلِّ مِنْكَ لِلْحَقِّ وَتَذْوِيبُ الْمُهْجَةِ فِي مُشَاهَدَةِ الرَّبِّ وَتَرْكُ الْاِخْتِيَارِ جَمِيعاً وَتَسْلِيمُ الْأُمُورِ كُلِّهَا ظَاهِراً وَبَاطِناً إِلَى اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَأْتِ بِشَرْطِ الدُّعَاءِ فَلَا تَتَنَظَّرِ الْإِجَابَةَ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى فَلَعَلَّكَ تَدْعُوهُ بِشَيْءٍ قَدْ عَلِمَ مِنْ سِرِّكَ خِلَافَ ذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لِبَعْضِهِمْ أَنْتُمْ تَتَنَظَّرُونَ الْمَطَرِ بِالدُّعَاءِ وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْحَجَرَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ أَمَرَنَا بِالدُّعَاءِ لَكُنَّا إِذَا أَخْلَصْنَا الدُّعَاءَ تَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِالْإِجَابَةِ فَكَيْفَ وَقَدْ ضَمِنَ ذَلِكَ لِمَنْ أَتَى بِشَرَائِطِ الدُّعَاءِ.

وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ؟ قَالَ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ أَعْظَمُ فَفَرَّغَ قَلْبَكَ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَادْعُهُ بِأَيِّ اسْمٍ شِئْتَ فَلَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلَّهِ اسْمٌ دُونَ اسْمِ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. (١)

[﴿١١﴾ مَا أَنَا بِأَعْصَىٰ مَنْ عَصَاكَ فَغَفَرْتَ لَهُ وَمَا أَنَا بِأَلْوَمَ مَنْ اِغْتَدَرَ إِلَيْكَ فَقِيلَتْ مِنْهُ وَمَا أَنَا بِأَظْلَمَ مَنْ تَابَ إِلَيْكَ فَعُدْتَ عَلَيْهِ .

﴿١٢﴾ أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا تَوْبَةً نَادِمٍ عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ مُشْفِقٍ مِمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَالِصِ الْحَيَاءِ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ .

﴿١٣﴾ عَالِمٍ بِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ لَا يَتَعَاظَمُكَ وَأَنَّ التَّجَاوُزَ عَنِ الْإِثْمِ الْجَلِيلِ لَا يَسْتَضْعِبُكَ].

غفران الكبائر

وفي هذا المقطع من الدعاء صورة مؤثرة في النفس الانسانية حيث يمثل الامام السجاد عليه السلام الانسان الكامل إلا أنه عليه السلام يعلمنا من خلال الدعاء وهو القدوة للبشر جميعاً كيف يتضرعون إلى الله عز وجل ليغفر لهم.

مَا أَنَا بِأَعْصَىٰ مَنْ عَصَاكَ فَغَفَرْتَ لَهُ.

ولست يا الهي أشقى الناس بمعاصيك فهناك الكثيرون ممن اقترفوا المعاصي وعادوا إليك فغفرت لهم ولست بأسوأهم، فاغفر لي ذنوبي كما غفرت لمن كانت ذنوبه ومعاصيه أكثر من ذنوبي!

وَمَا أَنَا بِأَلْوَمٍ مِّنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ فَقَبِلْتَ مِنْهُ.

فما أكثر الذين يستحقّون اللوم والعتب أكثر مني ولكنّك يا الهي قبلت اعتذارهم ورضيت عنهم فاغفر لي واقبل عذري يا ربّ!
ومهما كان ذنبي يا ربّ كبيراً فان عفوك أكبر ومهما كانت معصيتي عظيمة فأنت يا الهي أجلّ وأعظم.

وأنت قلت يا ربّ وقولك الحقّ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾. (١)

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾. (٢)

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾. (٣)

﴿لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾. (٤)

وقد حثّ الباري تبارك وتعالى عباده على العفو والصفح وغفران الاساءة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ
وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (٥)

ومفهوم العفو أوسع من المغفرة ذلك ان الغفران يعني ستر الشيء أمّا العفو فمعنى مسح أثره تماماً.

جاء في أدعية التعقيب بعد أداء الصلاة عن أهل البيت (عليه السلام):

- | | |
|---------------------------|-------------------------|
| ١. سورة الزمر (٣٩): ٥٣. | ٢. سورة النساء (٤): ٤٣. |
| ٣. سورة النساء (٤): ٩٩. | ٤. سورة الحج (٢٢): ٦٠. |
| ٥. سورة التغابن (٦٤): ١٤. | |

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (١)

وجاء في الحديث النبوي الشريف عن النبي ﷺ قوله :

مَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يَقِفَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَبِيحِ أَعْمَالِهِ وَلَا يُنْشَرَ لَهُ دِيْوَانٌ فَلْيَقْرَأْ هَذَا الدُّعَاءَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ وَهُوَ اللَّهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَرْجَى مِنْ عَمَلِي وَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَوْسَعُ مِنْ ذَنْبِي اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ ذَنْبِي عِنْدَكَ عَظِيمًا فَعَفُوكَ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِي اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ تَرْحَمَنِي فَرَحْمَتِكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي وَتَسْعَنِي لِأَنَّهَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. (٢)

واستجابة الدعاء تتوقف على الحالة النفسية التي يعيشها الانسان إذا لا تكفي لقلقة اللسان وقراءة بضعة كلمات ، ولكن يتعين عليه ان يعيش الدعاء بروحه وقلبه .

وجاء في الروايات :

أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ كُلُّ يَوْمٍ تَكُونُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ بان السرور بين عيني أبي الدرداء فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا السرور يا أبا الدرداء؟ فقال: نجونا ورب العزة يا رسول الله، قال: وكيف ذلك يا أبا الدرداء؟ قال: إذا كان كل يعمل على شاكلته فشاكلتنا الذنب والعصيان وشاكلته العفو والغفران فسر المسلمون حينئذ سرورا عظيما. (٣)

وجاء أيضاً:

١ . بحار الأنوار: ٥١ / ٨٣؛ المصباح، الكفعمي: ٢٥.
٢ . بحار الأنوار: ٣٧ / ٨٣ - ٣٨ .
٣ . أعلام الدين : ٢٨٥ .

قال أعرابي: يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: الله عز وجل،
قال: نجونا ورب الكعبة، قال: وكيف ذاك يا أعرابي؟ قال: لأن الكريم إذا قدر
عفا. (١)

وقال الامام الصادق عليه السلام يوصي أحد تلامذته:

وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ كَمَا أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ يُعْفَى عَنْكَ فَاعْتَبِرْ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ. (٢)

١. مجموعة ورام: ٩/١.

٢. تحف العقول: ٣٠٥؛ بحار الأنوار: ٢٨٤/٧٥.

[وَأَنَّ اخْتِمَالَ الْجَنَائِيَّاتِ الْفَاحِشَةِ لَا يَتَكَادُّكَ وَأَنَّ أَحَبَّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ مَنْ تَرَكَ الْإِسْتِكْبَارَ عَلَيْكَ وَجَانَبَ الْإِصْرَارَ وَلَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ .
﴿١٤﴾ وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ أَسْتَكْبِرَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُصِرَّ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا قَصَّرْتُ فِيهِ وَأَسْتَغْنِي بِكَ عَلَى مَا عَجَزْتُ عَنْهُ].

الاصرار على الذنب

العلم نور يسطع في القلب وكما قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

المَعْرِفَةُ نُورُ الْقَلْبِ. ^(١)

والعبودية لله عز وجل وحده هي ذروة الحرية والكرامة الانسانية وذروة العزة والشرف والفخار.

وفي مقابل ذلك فان الانسياق وراء الشهوات والاستغراق في اشباع الغرائز الحيوانية خارج حدود الأخلاق والدين إنما هو سقوط في الأسار فكم من عقل أسير تحت هوى أمير كما قال الامام عليه السلام وأكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع ومن هنا يقول عليه السلام:

١. غرر الحكم: ٤١.

مَنْ تَرَكَ الشَّهَوَاتِ كَانَ حُرّاً. (١)

والحب الحقيقي في الحياة هو الحبّ الالهي! يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

لَأَنَّ أَصْلَ الْحُبِّ التَّبَرُّيُّ عَنْ سِوَى الْمُخْبُوبِ. (٢)

وعندما يصل الانسان سن البلوغ يبدأ الصراع داخل كيانه بين قوى الخير وقوى الشر. (٣)

وقد ورد في الحديث النبويّ قوله ﷺ:

إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، حَتَّى أَسْتَغْفِرَ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً. (٤)

فكان ﷺ يستغفر الله عند الغروب سبعين مرّة وفي حديث آخر مرّة، فكان من سنّته ﷺ دوام الاستغفار.

والاستغفار يقرب العبد إلى الله عز وجل شرط ألا يقترب ذلك مع الاصرار، ذلك

١. تحف العقول: ٩٩؛ بحار الأنوار: ٩١/٧٥.

٢. بحار الأنوار: ٢٥١/٦٦؛ مصباح الشريعة: ١٩٤.

٣. يقول المولى محمد مهدي النراقي في موسوعته الاخلاقية «جامع السعادات» عن وجوب التوبة في ضوء الأمر الالهي ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً﴾ (النور (٢٤): ٣١) وهو يعم الكل في الكل. ومما يدلّ على وجوبها على الكل. ان كل فرد من أفراد الناس اذا بلغ سنّ التمييز والتكليف قام القتال والنزاع في مملكة بدنه، بين الشهوات جنود الشياطين وبين العقول احزاب الملائكة؛ إذ لا تكمل غريزة العقل في أحد إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة.

وإذا قام القتال بينهما لا بدّ بحكم العقل والشرع أن يغلب جنود الله على جنود الشيطان، بقمعها بكسر الشهوات ورد النفس على سبيل القهر والغلبة على الصفات المحمودة والعبادات ولا معنى لوجوب التوبة إلا هذا». جامع السعادات: ٥٩/٣ - المترجم.

٤. مستدرک الوسائل: ٣٧٥/٥؛ بحار الأنوار: ١٨٣/٦٠.

انه يعني استخفافاً بالرب تبارك وتعالى ، يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

الإِسْتِغْفَارُ مَعَ الإِصْرَارِ ذُنُوبٌ مُجَدَّدَةٌ. ^(١)

ذلك ان الاصرار والتكرار للذنوب لا تتحقق فيه شروط الاستغفار وفي طبيعتها الندم والعزم على عدم تكرار المعصية ، وإلا فان الله غفار تاب وأناب وتخلّى عن الاصرار:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الْذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. ^(٢)

يقول الامام الباقر عليه السلام في تفسير الآية الكريمة أعلاه:

الإِصْرَارُ أَنْ يُذْنِبَ الْعَبْدُ وَلَا يَسْتَغْفِرَ وَلَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ فَذَلِكَ الإِصْرَارُ. ^(٣)

ولذلك يعتبر الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن تعجبه قائلاً:

عجبت لمن علم شدة انتقام الله منه وهو مقيم على الاصرار. ^(٤)

ولذلك يقول عليه السلام:

أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبٌ أَصَرَ عَلَيْهِ غَامِلُهُ. ^(٥)

والأسوأ من ذلك عندما يشعر الانسان المذنب بالبهجة بارتكاب الذنب لأنها

١. تحف العقول: ٢٢٣؛ بحار الأنوار: ٦٣/٧٥.

٢. سورة آل عمران (٣): ١٣٥. ٣. بحار الأنوار: ٦/٣٢.

٤. غرر الحكم: ١٦٦. ٥. غرر الحكم: ١٨٧.

تضاعف من الاثم.

يقول الامام السجاد عليه السلام:

إِيَّاكَ وَالْإِبْتِهَاجَ بِالذَّنْبِ، فَإِنَّ الْإِبْتِهَاجَ بِهِ أَعْظَمُ مِنْ رُكُوبِهِ. ^(١)

ومن أجل ذلك يوصي الامام الصادق عليه السلام أحد أصحابه قائلاً:

إِذَا هَمَمْتَ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ فَلَا تُؤَخِّرْهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رُبَّمَا أَطَّلَعَ عَلَى الْعَبْدِ

وَهُوَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَةِ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَعَذُّكَ بَعْدَهَا أَبَدًا وَإِذَا

هَمَمْتَ بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَعْمَلْهَا فَإِنَّهُ رُبَّمَا أَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ

الْمَعْصِيَةِ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَعْفِرُ لَكَ بَعْدَهَا أَبَدًا. ^(٢)

١. بحار الأنوار: ١٥٩/٧٥؛ كشف الغمّة: ١٠٨/٢.

٢. الكافي: ١٤٣/٢.

[﴿١٥﴾ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَكَ وَعَافِنِي مِمَّا اَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ وَاجْزِنِي مِمَّا يَخَافُهُ اَهْلُ الْاِسَاءَةِ فَإِنَّكَ مَلِيٌّ بِالْعَفْوِ مَرْجُوٌّ لِّلْمَغْفِرَةِ مَعْرُوفٌ بِالتَّجَاوُزِ لَيْسَ لِحَاجَتِي مَطْلَبٌ سِوَاكَ وَلَا لِدَنْبِي غَافِرٌ غَيْرُكَ حَاشَاكَ .

[﴿١٦﴾ وَلَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا إِيَّاكَ إِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ].

الأمل والرجاء

ان الحياة الأبدية في ظلال النعيم الخالد رهن بالأمل برحمة الله وغفرانه، ذلك ان الآمل على نحوين :

١ - الأمل بالأمور المادية من قبيل الشغل، المرأة، الأبناء، العلم، المال وغير ذلك حين تتحقق خدمتها للانسان في ظرف معين .

٢ - الأمل بالأمور المعنوية والاعتقادية من قبيل الرحمة الالهية والغفران واللفظ الرباني والكرامة والشفاعة و...

وهذا الأمل موجود حتى عند الانسان الكافر، فالحياة مع الأمل والانسان الذي لا يمتلك حالة الأمل هو انسان ميت .

وبالرغم من أن المشرك والكافر يضع أمله في صخرة أو خشبة أو حجارة

و ثروات الدنيا، وهذه آمال فارغة وتعلق بالسراب لا يحقق للانسان سوى الضياع والهلاك بينما الأمل الحقيقي إنما يتجسد فقط من خلال الرجاء بالرحمة الالهية فهو وحده الذي يبعث الطمأنينة في قلب الانسان المؤمن، وهذه صفة المؤمنين بالله الواثقين برحمته تبارك وتعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)

والمطلوب من الانسان المؤمن أن يضع كل ثقته بالله تبارك وتعالى لذلك يوصي الامام أمير المؤمنين عليه السلام، المؤمنين:

﴿اجْعَلُوا كُلَّ رَجَائِكُمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَا تَرْجُوا أَحَدًا سِوَاهُ، فَإِنَّهُ مَا رَجَا أَحَدٌ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا خَابَ﴾^(٢)

الأمل والرجاء

الأمل هو ضد اليأس من رحمة الله عزوجل، والرجاء هو ارتياح القلب وانبساط السرور فيه لا انتظار ما هو محبوب عنده، ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وأن يكون له سبب فان كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق، وإن كان انتظاراً مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء.

وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره، لأنه انتظار من غير سبب.

١. سورة البقرة (٢): ٢١٨.

٢. غرر الحكم: ١٩٦.

وقد جاء في الروايات : ان رجلاً من بني إسرائيل كان يؤس الناس من رحمة الله فيأتيه النداء يوم القيامة بحرمانه من رحمة الله جزاء على ما كان منه في الدنيا. (١)

تفنيد ادعاء الأمل برحمة الله

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام بشأن هؤلاء المدّعين :

يَدْعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ، كَذَبَ وَالْعُظِيمُ! مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؟
فَكُلُّ مَنْ رَجَا عَرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ وَكُلُّ خَوْفٍ
مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ. يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي
الصَّغِيرِ، فَيُعْطَى الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطَى الرَّبَّ فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقْصَرُ بِهِ عَمَّا
يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً أَوْ تَكُونَ لَأْتِرَاهُ لِلرَّجَاءِ
مَوْضِعاً وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطَى رَبَّهُ،
فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً وَوَعْداً. وَكَذَلِكَ مَنْ
عَظُمَتْ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ، أَثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ
إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْدًا لَهَا. (٢)

١. معراج السعادة: ١٤٨.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٥٩.

[وَأَقْضِ حَاجَتِي وَأَنْجِحْ طَلِبَتِي وَاغْفِرْ ذَنْبِي وَأَمِنْ خَوْفَ نَفْسِي إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَذَلِكَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ].

الشعور بالأمن

بين الانسان والعالم ثمة شبه كبير والاختلاف في الحجم فقط فالعالم واسع
كبير والانسان في حجمه صغير، فالانسان عالم صغير في الحجم والعالم مظهر
للانسان، العالم واسع بالآفاق والانسان بعيد الغور في الأعماق.

والانسان المؤمن بالله عز وجل يتدفق الشعور بالأمن والطمأنينة في أعماقه،
وتكون السكينة هي السائدة في روحه، ذلك ان حالة الاضطراب النفسي وفقدان
التوازن الروحي تحصل بسبب حب الدنيا ولذلك فان الذين يترقق الحب الالهي
في قلوبهم تجدهم يعيشون حالة من الصفاء، والطمأنينة.

﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ^(١).

فالمؤمنون يشعرون بحالة الأمن النفسي الذي هو ذروة الصحة النفسية
والسلامة الروحية:

١. سورة الرعد (١٣): ٢٨.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. (١)

انهم يعيشون الطمأنينة بما وعدهم الله عز وجل يرفلون برحمة الله الواسعة ولطفه المطلق ولذلك تراهم يسرون إلى الله بخطر مطمئنة يشدهم الحب الالهي ان بلوغ مقام القرب ودرجة المقربين .

يقول الامام علي عليه السلام في توصيف السالكين إلى الله تبارك وتعالى :

قَدْ أَحْيَى عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطَفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ
كَثِيرُ الْبَرَقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَتَدَاقَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ
السَّلَامَةِ وَدَارِ الْإِقَامَةِ وَتَبَتَّتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالزَّاحَةِ،
بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ. (٢)

ويقول عليه السلام :

خَفِيَ اللَّهُ خَوْفَ مَنْ شَغَلَ بِالْفِكْرِ قَلْبَهُ فَإِنَّ الْخَوْفَ مَظْنَنَةُ الْأَمْنِ وَسِجْنُ النَّفْسِ
عَنِ الْمَعَاصِي. (٣)

وجاء في الحديث الشريف عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قوله :

حَمْسُ خِصَالٍ مَنْ فَقَدَ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً لَمْ يَزَلْ نَاقِصَ الْعَيْنِ زَائِلَ الْعَقْلِ مَشْغُولَ
الْقَلْبِ، فَأَوَّلُهَا: صِحَّةُ الْبَدَنِ وَالثَّانِيَةُ: الْأَمْنُ وَالثَّالِثَةُ: السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ
وَالرَّابِعَةُ: الْأَيْسُّ الْمُوَافَقُ.

١. سورة الأنعام (٦) : ٨٢.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٢١٠.

٣. غرر الحكم: ١٩١.

قُلْتُ: وَمَا الْأَنْبِيَاءُ الْمُؤَافِقُ؟ قَالَ: الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ وَالْخَلِيطُ
الصَّالِحُ وَالْخَامِسَةُ: وَهِيَ تَجْمَعُ هَذِهِ الْخِصَالَ الدَّعَةُ. ^(١)

الهي!

يا من لا يعتدي على أهل مملكته؛

ويا من لا يأخذ أهل الأرض بألوان العذاب؛

ويا رؤوف يا رحيم؛

أجعل في قلوبنا الطمأنينة والأمن والسلام.

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّاهِرِينَ

[تمّ بعون الله الجزء السادس]

المُؤَلِّفَات

تتمة الدعاء الثامن : اللجوء إلى الحقّ

(١٦٤ - ٥)

- ٣- الحسد ٧
- الحسد في كلام النراقي ٨
- بواعث الحسد ١٠
- حكاية عجيبة! ١٤
- أحكام الحسد ١٧
- الحسد في الروايات ١٩
- ٤- الجزع ٢٣
- الصبر في القرآن الكريم ٢٤
- الصبر والنصر ٢٤
- تفسير الصبر في كلام العلامة الطباطبائي ٢٨

٢٨	آيات اخرى في الصبر
٣٠	الصبر في الروايات
٣٥	كلام المحقق الطوسي في الصبر
٣٦	روايات اخرى
٣٨	٥- انعدام القناعة
٤٠	حكاية
٤٠	القناعة والعمل
٤٢	الحياة الطيبة
٤٤	روايات اخرى
٤٦	٦- سوء الخلق
٤٩	عذاب النفس
٥٠	٧- الاستغراق في الشهوات
٥١	سقوط الغرب
٥٢	الغرب إلى أين؟
٥٦	الاهواء النفسية في الروايات
٥٨	٨- التعصب الأعمى
٥٨	وقائع الحديدية

٦٢	الغيرة في كلام النراقي
٦٤	٩ و ١٠ - اتباع الهوى ومخالفة الهوى
٦٧	١١ - نوم الغفلة
٦٩	الغفلة في الروايات
٧٠	١٢ - التكلف
٧٢	١٣ - ترجيح الحق على الباطل
٧٣	١٤ - الاصرار على الاثم
٧٤	١٥ - استصغار الذنوب
٧٧	١٦ - الاستكبار على الطاعات
٨٠	١٧ و ١٨ - مباهاة الأثرياء وازدراء الفقراء
٨١	كنوز قارون
٨٤	١٩ - اساءة التعامل مع المرؤوسين
٨٥	٢٠ - مقابلة الاحسان بالاساءة
٨٧	٢١ و ٢٢ - مساندة الظالمين واضطهاد المظلومين
٨٧	الظالمون في القرآن الكريم
٨٨	الظالمون في الروايات
٨٩	مساندة المظلومين

- ٢٣- طلب ما ليس بحق ٨٩
- ٢٤- القول بغير علم ٩٠
- ٢٥- الغش والخداع ٩٢
- ٢٦- الاعجاب بالعمل ٩٣
- ٢٧- طول الأمل ٩٦
- ٢٨- سوء الباطن ١٠١
- ٢٩- استصغار الذنوب الصغيرة ١٠٥
- ما هي الذنوب الصغيرة ١٠٦
- تداعيات استصغار الأخطاء الصغيرة ١٠٨
- ٣٠- تحكّم الشيطان ١٠٩
- ٣١- مصاعب الزمن والحياة ١١٤
- ٣٢- ظلم الحكام ١١٨
- ٣٣- الاسراف ١٢١
- آثار الاسراف ومفاسده ١٢٢
- علامات المسرف ١٢٤
- ٣٤- انحسار الرزق ١٢٤
- ٣٥- شماتة الأعداء ١٢٧

٣- الانسان المؤذي.....	١٢٩
٣٦- الحاجة إلى الاكفاء أو النظائر.....	١٣٣
الفقر في كلام العلامة المجلسي.....	١٣٤
الفقر في كلام الراغب الاصفهاني.....	١٣٤
الفقر في كلام الغزالي.....	١٣٦
٣٧- ضنك العيش ومشاق الحياة.....	١٣٧
ضنك المعيشة في كلام العلامة الطباطبائي.....	١٣٨
تفسير الآية الشريفة في كلام الامام الصادق ٧.....	١٤٠
٣٨- الموت قبل الاستعداد لسفر الآخرة.....	١٤١
الاستعداد للموت في الروايات.....	١٤٢
٣٩- الحسرة الكبرى.....	١٤٣
أحوال المجرمين يوم القيامة.....	١٤٤
تفسير جنب الله.....	١٤٦
٤٠- المصيبة العظمى.....	١٤٨
جذور الاعراض عن الدين.....	١٥٢
٤١- ذروة الشقاء.....	١٥٤
أشدّ العذاب!.....	١٥٧

- ٤٢ - النهاية البائسة ١٥٨
- ٤٣ - الحرمان من الثواب ١٦٠
- ٤٤ - السقوط في هاوية العذاب ١٦٢
- أهوال الآخرة ١٦٣

الدعاء التاسع : في طلب العفو والغفران

(١٦٥ - ٢٠٦)

- ١٦٨ حقيقة التوبة
- ١٧١ حب التوبة
- ١٧٢ حقيقة الذنب
- ١٧٤ مرض الخطيئة
- ١٧٥ الاصرار على الخطيئة
- ١٧٨ حقيقة الدين والدنيا
- ١٧٩ آثار الدين والتدين
- ١٨٠ الدين والتدين في الروايات
- ١٨٢ روايات أخرى
- ١٨٤ الدنيا وعباد الدنيا
- ١٨٧ الدنيا وعبادة الدنيا في الروايات

١٩٠	عبّاد الدنيا في آيات القرآن الكريم
١٩١	قول الإمام علي ٧ في الدنيا
١٩٢	قرار الخير والشر
١٩٤	نوايا الخير والشر في الروايات
١٩٦	البعد الروحي في الانسان
١٩٧	خلق الانسان في القرآن الكريم
٢٠١	موجبات الثواب والعقاب

الدعاء العاشر: في اللجوء إلى الله عزّ وجلّ

(٢٠٦-٢٢٦)

٢١٠	العفو الالهي
٢١٣	ثمار معرفة الحقيقة
٢١٦	العفو في القرآن الكريم
٢١٧	العفو في الروايات
٢١٩	مناجاة المعبود
٢٢٢	شماتة الشيطان

الدعاء الحادي عشر : دعاؤه بحسن العاقبة

(٢٢٧ - ٢٦٢)

٢٢٧	وخواتيم الخير
٢٣٠	ذكر الحق
٢٣٢	ذكر الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم
٢٣٣	افتتاح الذكر الالهي
٢٣٦	فضائل الذكر وأسراره
٢٣٨	الذكر في الروايات
٢٤١	الفراغ والإحساس بالرضا
٢٤٤	الملائكة الكرام الكاتبون
٢٤٦	مراقبة الأعمال
٢٤٨	فصل الختام
٢٥٤	حكاية عن سوء العاقبة
٢٥٤	حمامة المسجد
٢٥٥	عاقبة عابد من بني إسرائيل
٢٥٨	رحمة الحق
٢٥٩	ستار العيوب

الدعاء الثاني عشر: الاعتراف وطلب التوبة

(٢٦٣ - ٣٣٠)

٢٦٨	التكليف الالهي
٢٧٠	نور المؤمن في الروايات
٢٧١	الانسان في الحديث الشريف
٢٧٢	المحرّمات الالهية
٢٧٢	المحرّمات الالهية في القرآن الكريم
٢٧٣	المحرّمات الالهية في الروايات
٢٧٦	التقصير في أداء شكر النعمة
٢٧٨	الاستدراج الالهي
٢٧٩	الاعتراف بالتقصير
٢٨١	حسن الظن
٢٨٤	الفضل الالهي
٢٨٧	الاعتراف بالذنب
٢٨٩	ضرورة الايمان بالله ورسله
٢٩٦	الاعتراف بالذنب لدى الناس!

٢٩٩	انفتاح باب التوبة
٣٠٤	الخشوع في رحاب الله عز وجل
٣٠٨	ثواب كثير مقابل عمل يسير
٣١١	الضمان على استجابة الدعاء
٣١٧	غفران الكبائر
٣٢١	الاصرار على الذنب
٣٢٥	الأمل والرجاء
٣٢٦	الأمل والرجاء
٣٢٧	تفنياد ادعاء الأمل برحمة الله
٣٢٨	الشعور بالأمن
٣٣١	المحتويات